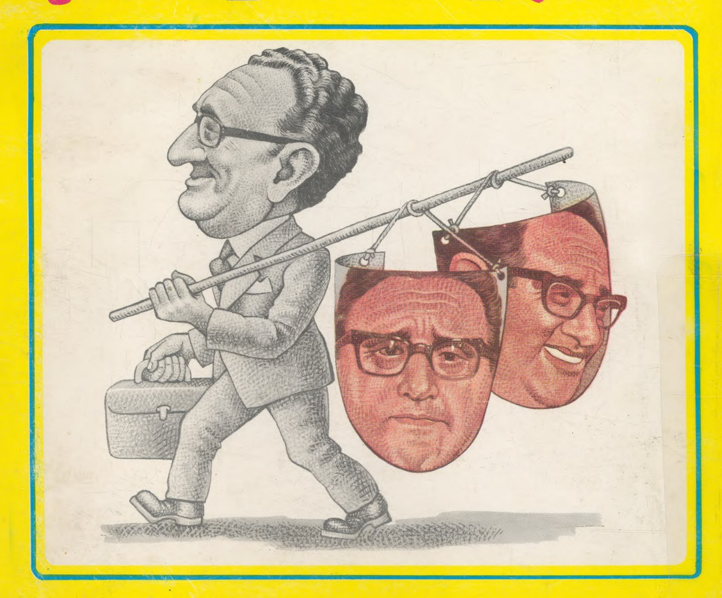
كيسنجر

المفكر ■ الإنسان ■ العاشق



اهداءات ٢٠٠٤

لواء / محمد فؤاد فريد
القاهرة

كيسنجر

- المفكر
- الإنسان
- العاشق

فبراير ١٩٧٦



الرســـوم الداخليــة : حجــازى
الغـــلاف : جــرجــس القمـــص
الاخـــراج الفنى : عـــدلى فهيـم

الطبعة الاولى : حلقات نشرت فى مجلة « صباح الخير »

كيسنجر

* المقـــدمة
* عزيزى هنرى
للصحفية الفرنسية
دانيل أونيـل
* آراء وتعليقات عـلى
حياة كيســنجر
* كيسنجر بالصـور
* النص الكامل للمؤتمر
الصحفى الذى عقده
كيسنجر عقب حرب
أكتوبر يــوم ٢٥
أكتوبر سنة ١٩٧٣ .





المقدمة

ليس من السهل تقديم كتاب عن كيسنجر • فهو من أعقد الشخصيات فى القرن العشرين ، ومن أكثر الناس اشتباكا وتشابكا مع أغلب مآسى العالم ومشاكله • أنه بحكم منصبه وبحكم الدور الذى يلعبه فى تحريك الأحداث فى العالم كله ، وبحكم ماضيه ، وحاضره ، والمستقبل الغامض الذى ينتظره قد تحول الى أسطورة حية متنقلة •

ولكنه فى نفس الوقت نتاج طبيعى ومنطقى للحضارة الغربية • وهو بكل مايفعله ويحاوله مدافع قوى وعنيد عن عالم أمريكا وحضارتها وعن تلك السيادة المادية التى تمارسها على العالم • لقد غير الرجل مواقف أمريكا وغير أسلوبها السياسى والعسكرى من أجل ان يحتفظ لها بسيادة كادت أن تفلت من يديها •

و « بالوفاق » الذى خططه ووضع نظرياته وضع السياسة بمعناها المجرد فى قلب عصر الألكترون وغزو الفضاء • لقد أربك الرجل بحركته وبتفكيره السياسى الديناميكى كثيرا من المفكرين أصحاب الشعارات والمواقف المجردة •

قد يختلف النـاس فى تقييم الحسـاب الختامى لشـخصيته وأفكاره ولكنه يبقى ظاهرة انسانية تعطى ـ كما تعطى شخصية كثير من عظماء التاريخ ـ قدرا كبيرا من الثقة فى قدرات الفرد وأهميته فى مواجهة الظروف والصعوبات .

وبعيدا عن السياسة بمعناها المباشر كتبت الصحفيـة الفرنسـية « دانيل أونيل » كتابها ـ عزيزى هنرى ـ الذى نقدمه على الصفحات التالية .

ولكنها من خلال هذا الموقف الذى يبدو وكأنه غير سياسى استطاعت أن تكشف كثيرا من المعانى السياسية الهـامة ، واستطاعت أن تصور فى أسلوب فنى ذلك الصعود الأسطورى لكيسنجر من مهاجر يهودى جاء الى أمريكا فارا من النـازية وهو طفل ، الى الرجل الذى يحكم ويتحـكم فى قلب البيت الابيض .

واستطاعت أيضا ان تتحدث بوضوح عن تلك الازمـة التى يواجهها الأنسان المثقف عندما يتحـول الى ممـارس للسـلطة ومطبق للأفكار . فكشفت عن ما تفعله السلطة فى الانسان وفى قدرته على الرؤيا والاحساس .

ان كيسنجر يقول عن نفسه « انني أنتمى الى الجيـل الذى حطم كل القيم » وهو يقصد الاشارة الى تلك الأزمـة الطـاحنة التى اجتاحت أمريكا وأوروبا عقب الحرب العالمية الثانية ، وذلك الخراب الروحى والانسانى الذى ساد العـالم . من هذا الادراك المرير يتصرف الرجل وبهذا الحطام يتعامل . أن ثقافته العميقة وانتماءه الـدينى والروحى للحضـارة الأوروبيـة يجعلان منـه صاحب هم وعبء حقيقى لايجـرؤ أحـد عـلى أن ينكره . ولقد نجحت هذه الصحفية الفرنسية فى أن تكشـف عن هذا الجانب فيه وأن ترسم له على هذا النحو صـورة تشبه صورة أبطـال الأسـاطير الاغريقيـة الذين يتصـارعون مع القدر .

وكشفت بما تتميز به المرأة من حساسية تجاه الرجل الذى تحبه عن أكثر خصوصـيات الرجل فتحدثت عن أسرته وعن

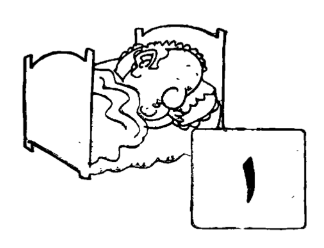
عاداته الخاصة وعن مايتميز به عن المثقف العادى صاحب النظارات • وأشارت الى تلك السرية والغموض اللذين يكتنفان شخصيته • وكتاب « عزيزى هنرى » الى جانب ذلك نموذج جيد للكتابة الصحفية التى تستخدم الاسلوب الادبي والفنى فى تقديم المعلومات والأفكار للقارىء غير المتخصص •

ان المكتبة الأمريكية والأوروبية تحتوى الآن على عشرات الكتب الهامة والجيدة التى تدرس شخصية كيسنجر وأفكاره. ولكن يبقى لكتاب « أونيل » أهمية خاصة فهو من أوائل هذه الكتب فقد صدر بعد أشهر قليلة من دخول كيسنجر الى البيت الابيض كما يتميز الكتاب بقدر كبير من الخصوصية والألفة •

وقد نشرنا على الصفحات الاخيرة من هذا الكتاب بعض الاوراق الهامة التى جمعت من الصحافة الامريكية ومن أحاديث الكتاب والمعلقين السياسيين ، كذلك لكى تكتمل الصورة نشرنا نصا كاملا للمؤتمر الصحفى التاريخى الذى عقده كيسنجر فى أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، والذى كان البداية للدور الهام الذى لعبه فى أزمة الشرق الاوسط •







وصلت نيويورك يوم الاثنين ٣ نوفمبر ١٩٦٩ ولـم اكن أتوقع اشـياء لاأعرفها ففي مهنتي (الصحافة) أركب الطائرات كما يركب أغلب النيويوركيين قطارات الانفاق . وانا أعشق الولايات المتحدة ، وانظم رحلاتي كي استطيع زيارتها عدة مرات كل سنة .

كانت كل التفاصيل مألوفة ، الطيران فوق المدينة الكبيرة .. الانتظار في مكتب الجوازات والتاكسي الاصفر الذي أقلني الى عنواني في نيويورك .

كنت سعيدة فالجو جميل ، والزيارة سوف تستغرق عـدة أسابيع . وكنت قد رتبت عدة مواعيد متتالية مع بعض المسئولين في شركات السـينما والتليفزيون لكي ابيع لهم فيلمي الاخير ، كما كنت قد رتبت أيضا مواعيد مـع اثنين أو ثلاثة من رجال السياسة من بينهم « تيد كيندي » ومستشار نيكسون الجديد « هنري كيسنجر » . ولم يكن هذا بالنسبة لي أكثر من عمل روتيني تعودت عليه : ولكنه روتين أحبه وأقدم عليه بحماس .

كانت الايام الاولى عيدا بالنسبة لي . فنيويورك هي مدينة الاحلام لمن يحبون المشي مثلي ، وحوادث الشوارع لم تكن قد زادت في تلك الايام ، نزلت عند أصدقاء في الجانب الغربي قرب النهر . وكان هـذا يوفر على الوحـدة والنفقات التي تتكلفها الاقامة في الفندق .

انشغلت فى مواعيدى مع رجال السينما الذين كنت أقابلهم فى مكاتبهم ، يقيمون فى عمارات مصممة على طراز سفن الفضاء حيث الاسانسيرات مبطنة بعازل الصوت ، والممرات مفروشة وفسيحة ، والمكاتب مزدحمة وملبئة بالعدد والاجهزة .. وفى المساء كان صاحب البيت الذى أنزل عليه ، وهو رئيس تحرير مجلة أسبوعية معروفة يدعو حلقة كبيرة من الزوار يمثلون أروستقراطية نيويورك الفكرية .

والاهم من ذلك أنه سمح لى بأن أبحث فى أرشيف مجلته عن المواد التى استخدمها فى مقابلاتى .

كنت أعرف بعض الاشياء عن « تيد كيندى » فركزت بحثى على « هنرى كيسنجر » . ان اجراء حديث صحفى مع شخص هام كان بالنسبة لى دائما موضوع مثير . وعندما يكون موضوع الحديث رجلا والصحفية امرأة ، فان عليها أن تشحذ أنوثتها الى جانب معلوماتها وخبراتها المهنية .

لم يكن هنرى كيسنجر فى نوفمبر ١٩٦٩ قد أصبح تلك الشخصية العامة المشهورة التى أصبحها فيما بعد . كان فى ذلك الوقت مازال الاستاذ المنتسب لجامعة هارفارد الذى تدفعه وتستغله قوى ضخمة وغامضة ، واهم ما يميزه أنه كان يتمتع بثقة الرئيس الواضحة — كنت قبل ذلك قد أجريت حديثا مع « مكنمارا » ، وقابلت الاخوين « بوندى » وكذلك « والت رستو » وغيرهم من المثقفين الذين شغلوا مناصب ادارية . وقد كانوا جميعا يحملون صفات وأخلاقيات مشتركة ولذلك بدا لى أن موعدى المقبل مع هنرى كيسنجر فى ٢٤ نوفمبر فى البيت الابيض سوف لايكون الا تكملة لهذه السلسلة من اللقاءات .

الا انه اثناء عملى فى الارشيف لجمع المعلومات عن كيسنجر تقدم لى زميل صحفى امريكى قائلا :

« لاتتصورى انك سوف تمضين الساعات مع كيسنجر ، فقد امضيت عاما كاملا أعمل فى موضوع غلاف عن كيسنجر ولم أستطع ان أمضى معه أكثر من ٢٠ ساعة ، انه رجل صعب ، وجاد بشكل غير عادى ، يكره رفع الكلفة . فاذا مال اليك فسوف يعطيك من وقته ربما نصف ساعة فأعملى بنصيحتى وادخلى مباشرة الى الموضوع الاساسى : دوره فى البيت الابيض ، والاتجاهات الاساسية للسياسة الخارجية ، واذا كان عندك بعض الاسئلة الخاصة فأحتفظى بها للدقائق الخمس الاخيرة » .

وأنا لاأحب أن يقال لى ماذا يجب أن افعل٠أكره أن اتلقى النصيحة او ان أقدمها ٠ ولكننى لم أقلل من نصيحة الزميل وشكرته ٠

وفى الايام القليلة التى سبقت موعدى فى البيت الابيض تلقيت عدة مكالمات تليفونية تطلب منى الموافقة على تأجيل أو تعديل الموعد ٠ كان الصوت الذى يجئنى على التليفون يحمل مرة نبرة السكرتيرة العملية المتلهفة ومـرة اخرى كان الصوت يدعى انه مساعد الدكتور كيسنجر .. ولكننى فى كل الحالات رفضت اى تعديل وتمسكت بالموعد .

● ●

بين نيويورك وواشنطن ساعة بالطائرة والموعد كان فى السادسة مساء وكان يمكننى ان اعود الى نيويورك فى المساء وبعد تقديم اوراقى للحرس على باب الزوار فى نهاية شارع بانسلفينيا ، عبرت المشى الاخضر المألوف الذى يقود الى البيت الابيض . جلست فى كرسى من الجلد الاخضر المريح ، وبما اننى كنت الزائرة الوحيدة ، فقد استطعت أن اراقب العدد الكبير من رجال الامن ، واللوحات التجريدية المخيفة ، والزنجى الضخم الذى يقوم بدور رجل الاستقبال جالسا خلف عدد كبير من التليفونات لقد كان الرجـل يشبه العم توم ، فعلت كل هذا ثم اخذت اراقب التليفزيون ..

ومضت ســاعة . طوال اشتغالى فى مهنة الصحافة لم اجعل احـدا ينتظرنى ولم اتأخر عن موعد كما اننى لم استطع أبدا أن أحتمل الانتظار ، وفى السابعة ، وبعد أن سئلت فى مكتب الاستعلامات عدة مرات ، وحصلت على نفس الابتسامة المشجعة ، قررت الانصراف . الشىء الذى ابقانى هو تذكرى لذلك الاهتمام البالغ الذى أبداه رؤسائى فى مجلة «الحقائق» بكيسنجر وبالحديث الذى ساجريه معه .. وذلك الوجه الذى ظهر على شـاشة التلبفزيون وجه زميلى مايك ويليس الذى كان يسال « ولـكن وانت تطلق الرصاص على هؤلاء الاطفال فى القرية الفيتنامية ٠٠ ألم تتذكر أطفالك ؟» ٠

كان الحديث يجرى مع الجندى الامريكى الصغير ـــ الذى اشترك فى مذبحة ماى لاى ـــ مؤلما ولا يكاد يصدق ، ولم اشعر بمرور الوقت وانا اراقبه ، حتى رايت فوق راسى ذلك الشاب الصغير حليق الراس ، العسكرى فى ملابس مدنية ، يردد اسمى .

صحوت عليه وهو يعتذر باســم كيســنجر . الذى تأخر فى اجتماع هام والذى لن يستطيع أن يرانى اليوم ، وسأل هل يمــكننى ان اتكــرم

بالحضور يوم الجمعــة القادم ، وبدون أن أدرى أن مثــل هذا الالغاء هو أمر عادى فى البيت الابيض ابديت اعتراضى . قلت له اننى طرت خصيصا من نيويورك من أجل هذا الموعد واننى اسافر الى كالفورنيا ، فوق كل هذا فان الموعد قد تأكد هذا الصباح بالذات ومع ذلك فأنا مستعدة لحل وسط ، فبدلا من أن أعود الى نيويورك الليلة ، فاننى ســـوف أحضر الى البيت الأبيض فى التاسعة من صباح الغد · كما اننى مصره على أن أقابل أحد المساعدين ان لم يكن ممكنا أن أقابل مستر كيسنجر نفسه . وسألت هل يستطيع الشـــــاب تدبير هذا ؟

فوعد ان يبذل اقصى جهده . وتركت له ملخصا مطبوعا يقول له من انا « عادة متبعة فى التعامل فى امريكا حتى يستطيع الطرف الآخر المتعجل دائما ان يعرف مع من يتعامل » ثم تركت المكان .





فى الصباح التالى بعد ليلة قلقة وصلت الى البيت الابيض متأخرة بسبب ازدحام الشوارع وادخلت مباشرة الى مكتب اثنين من المساعدين لمستر كيسنجر .

الشاب الرشيق ذو العيون الخضر تونى ليك الذى يشبه الى حد كبير نيل ارمسترونج الذى كان أول من مشى علىالقمر منـذ ثلاثة شهور (والذى أجريت معه حديثا فى هيستون) ثم الجنرال الطبيب فى ملابسه المدنيـة جنرال هيج .

كان المكتب الذى استقبلت فيه يقع فى بدروم البيت الابيض حيث كان يحكم كيسـنجر (بعد ذلك نقل الى الدور الاول بجوار الرئيس) كانت الطرقات مليئة بصور سوداء وبيضاء وصور ملونه للرئيس وعائلته يصافحون وتحييهم الجماهير ، يصعدون ويهبطون منطائرة ، يستقبلون ضيوفا وهكذا.. احزننى كل هذا التفخم المبالغ فيه . هناك شىء بدائى وسـخيف يصاحب دائما استعراض القوة الشخصية . ان مارلو قد علمنا (قبـل أن يصـبح سياسـيا) بأن الرجـل ذا القلب الكبير لا يمكن ان يكون ابدا فى الجانب الرابع . على اى حال فقد اجاب المساعدان ــ واحد منهم فى حيـوية والآخر فى جدية ــ على أسئلتى بطريقة ودية . وكان الاصغر وهو موظف رسمى

فى الحكومة وتلميذ سابق لكيسنجر فى هارفارد متخصص فى شئون فيتنام حيث أمضى هو نفسه بضعة سنوات أما الآخر ـ وهو فى الرابعة والاربعين فقد كان مساعدا سابقا لمكنمارا فى البنتاجون برتبة جنرال ، وهو صاحب خبرة حربية مباشرة وبعض المعلومات عن الشئون الدولية وكان يعبر عن نفسه بوضوح ، ويتحدث باتزان عن رئيسه .

طبقا لحديث الجنرال هيج فأن كيسنجر يمتلك مقدرة فلسفية وخبرة عملية ممتازة . وموهبته الاساسيه هى فى قدرته على تصور المشاكل تصورا مجسدا كما أنه قادر على التجاوب مع مشاكل الجيش فى وقت الحرب ، وقادر على ادراك كفاح اللاجئين من أجل البقاء (كيسنجر الذى ولد فى بافاريا اضطر أن يهرب مع عائلته وهو فى الخامسة عشرة) ولكيسنجر معرفة داخلية وعميقة بأوربا والعالم . وامتدح هيج كذلك حزم وتصميم رئيسه والتصميم غير العناد ، وقدرته على بناء الاحكام . وكذلك امتدح هيج قدرات كيسنجر الانسانية ، وخاصة حسن الفكاهة عنده فى وقت الازمات .

كل هذا كان يتفق مع ما جمعته من الجرائد والمجلات . سألت عن السبب الذى دفع عددا كبيرا من مساعدى كيسنجر على الاستقالة .

« مجموعة المساعدين تتكون الان من ثلاثين تم اختيارهم من الادارات المختلفة ، وهؤلاء الذين استقالوا أرادوا أن يعودوا الى أعمالهم لانهم لم يتوافقوا مع المجموعة الجديدة » .

وبالطبع لم يشر الجنرال هيج الى الرأى الشائع فى ذلك الوقت الذى كان يقول أن كيسنجر رئيس غريب فى العمل ، يحاول دائما أن يجذب دائرة الضوء عليه وحده مبقيا المساعدين فى الخلفية المظلمة بعد أن يستنفد منهم كل ما يمكن أن يقدموه .

ومضى جنرال هيج يقول :

نحن دائما هنا فى حالة حمى ، وكيسنجر ليس اداريا تنظيميا ، التفاصيل تزعجه جدا وتثير اعصابه وهو يتركها دائما للآخرين ، ويركز على الاستراتيجية . وتجده دائما فى وقت الازمات مستقرا وهادئا وواثقا من نفسه .

وفى تلك اللحظة حدث ما كنت اتوقعه ، حدث الشىء الذى ـ رتبت من اجله ذلك اللقاء الصباحي المبكر . فتح الباب ودخل رجل قصير ملىء يرتدى

بدلة رمادية قديمة ، وقميصا أزرق وكرافتة فاقعة الالوان ، نظر الى من فوق الى تحت وأشار لى ان أدخل مكتبه ٠

قيل لى « كيسنجر قد حصل على الطلاق من ثلاث سنوات ، وهو متفتح وحساس للسيدات الجميلات » ودون ان أنتحل لنفسى هـذه الصـفة فانني للعلم طويله ورشيقة وكنت ارتدى حلة سوداء من تفصيل « سـان لوران » وشعرى كان قد سرح عند « فيدل ساسون » ٠٠ ولابد أن كل هذا قد اعطاني المظهر الباريسي الذى يتكلمون عنه ٠

● الرجل القصير :

جلست على كرسى برتقالى منخفض ومريح فى مواجهة صورة موقع عليها من نيكسون ، وصورة اخرى لرواد ابوللو ٩ الثلاثة واخذت انظر لكيسنجر ٠ وقد اختار هو ان يجلس على مقعد فوتيل اعلى من مقعدى كاشفا بذلك دون وعى عن احدى عقد النقص الذى يعانى منها ٠ لقد سمعت مكنمارا يقول فى حفل الكوكتيل الذى عقد بعد ذلك بسـنه « هنرى ـ قبل كل شئ ـ رجل قصير ، وهذا يعقده ، فكريا ، وجسـديا ، وجنسيا ٠٠ الخ » انها ملاحظة كاشفة تأتى من صديق ٠

وبدا حوارنا بالحديث عن مكنمارا الذى كنت قد اجريت معه حديثـا من شهور ٠٠

قال كيسنجر : «انه لايمتلك مقدرة على الحكم السياسى ، ولكنه معذلك ملئ بالكفايات الانسانية النادرة » ٠

هذه الطريقة الصريحة فى الحكم على الناس هى خاصـية واضـحة فى مستشار الرئيس ، انه ناقد حاد ولا يرحم احدا ٠ فى هذا اليوم كان كيسنجر يبدو لى اصغر مما هو فى الصـور بأنفه الحاد القوى ، ونظارته السـميكة وشفتيه المكتنزتين وشعره الرمادى المجعد ٠

كان له المظهر التقليدىللاستاذ ، واثق من نفسه جدا ، دافئ ٠ يستمتع بالموقف الذى وجد فيه ٠سعيد بان يكون مركز الانتباه ،يشكل جملةالساخرة بصـوت حنون رنان وقد بدا ان لهجته الالمانية تزعجه اقل وهو يتحدث الى شخص اوربى وليس أمريكيا ٠

« الدعاية والاحاديث الصحفية ليست هى الاشـياء المطلوبة فى مثـل

موقفى ، انها لا تعنى شيئا بالنسبة لى ، لا شيء على الاطلاق ، وبالمناسبة ماهو توزيع مجلة الحقائق » هذه ؟ لقد وهبت نفسى طوال حياتى للسياسة الخارجية • ولكن الموقف الآن مختلف انت صحفية وتستطيعين تصور ماذا يعنى أن يكون فى امكانك الاطلاع فى اى وقت على جميع التقارير الرسمية والسرية القادمة من أى بلد فى العالم كله » •

● ●

شعرت لحظتها باننى اعرفه منذ زمن طويل لم يكن يتكلم الفرنسية ولكنه كان يستطيع قراءتها بسهولة • وسالته عن علاقته بالعسكريين فقال : « فى هذا الموضوع انا متوقف عن الحكم ، اننى لست ضد ولست مع » •

وبدا الحديث بعد ذلك يأخذ طابعا مرحا ماذا يمكن أن يقول فى هذا زميلى الامريكى الذى كان يقول أن مستر كيسنجر شخص جاد جدا •• الخ • سألته على أسوأ وأحسن ذكرياته • أجاب : مسز أونبيل : اذا صادف ودخلت الى حياتى مرة اخرى ، فسوف اروى لك كل ذكرياتى اما الآن ••)

ونظر الى ساعته • وسالنى ان كان عندى بضع دقائق وطلب تونى لايك • ثم قال أن عليه الآن أن يتحدث فى المؤتمر الصحفى الذى يعقده الرئيس ، واننى استطيع ان اراه وهو يعمل ، وطلب من تونى لايك أن يأخذنى الى الدور العلوى حيث قاعة روزفلت • وفجاة وجدت نفسى وجها لوجه امام الرئيس نيكسون فى مكياجه الكامل • جالسا امام ست كاميرات تليفزيونية ، وحوالى خمسين صحفيا وعشرات من كاميرات اليد • كانت الحرارة لاتطاق • كل ملابسه كانت زرقاء • قميصه وكرافتته ووجهه كان مغطى بالبودره عيناه غائرتان ، وأنفه بارز الى أعلى ، وفكه ضخم يشبه فكالبولدوج • وذقنه تقفز وتتراجع وهو يتكلم • كان نيكسون يبدو كشخصية من شخصيات الكوميديا الايطالية القديمة ، ويده الضخمة التى شوهتها المصافحة المستمرة كانت تشبه يد سفاح مستعد للخنق • كان المنظر كله مرتجلا ويشبه خيال الظل تماما كالمجتمع الامريكى •

فى ذلكالصباح كان موضوع المؤتمر هو الاسلحة البيولوجيةوالكيماوية فى فيتنام ووقف كيسنجر خلف المائدة المغطاة بالجوخ اللامع • كانت قامته أقصر من قامة الرئيس (قامة كيسنجر تعتبر عادية فى أوروبا ، ولكنه قصير وسط الامريكيين) وكان بجبهته المنحدرة وانفه المعقوف ، وذقنه الثقيلة المرتابة يبدو وكأنه طائر شهوانى هارب • ولكن كانت هناك ابتسامة هادئة مرتاحة تضيىء مظهره هذا المحرج •• وقد استوقفتنى هذه الابتسامة •

تكلم نيكسون بضع كلمات معدة من قبل وموزعة على الحاضرين • ثم تكلم بعده رونالد زيجلر ، المتحدث الصحفى ، ثم قدم شاب آخر كيسنجر ، تبينت فجأة أن لون كيسنجر أصفر رمادى ربما من وجوده الدائم فى الغرف المغلقة، للمسجونين عادة نفس اللون • على المنصة أمام الكاميرات انتصب كيسنجر فجأة وكأنه قد خرج من علبة يلعب دور الوصيف فى كوميديا يقوم فيها نيكسون بدور السيد •

وأطلق الصحفيون عليه الاسئلة ــ هل وقعت الصين أم لم توقع اتفاقية جنيف ؟ هل تستعمل الغازات المسيلة للدموع فى فيتنام أم لا ؟ ماهو الوصف العلمى لتأثير الاسلحة الكيماوية •

كان كيسنجر يجيب بصوت هادىء يبدو عليه الصدق وقد وضع يديه خلف ظهره « أنا لست خبيرا فى الأسلحة الكيماوية ولا أعرف الأسماء العلمية للآثار التى تخلفها» • قبل ان ندخل الى الحجرة كان قد همس فى أذنى «كثيرا ماأرى صحفيين ، وغالبا مايكونون مزعجين بالنسبة لى • ولكنى أراهم ربما من قبيل تعذيب النفس» •

كنت أشعر بأن كل هذا المؤتمر شىء سخيف ومبتذل • فقد كانوا يتكلمون عن الحق في استخدام الاسلحة الوبائية ، وعن قدرة الجيوش الامريكية فى استعمال الاسلحة الكيماوية فى فيتنام وكأنهم يتحدثون عن توزيع مساعدات اللبن •• لم يبدو على أى من الصحفيين الحاضرين فى الاجتماع أى تقدير او احساس بعواقب هذه الاشياء التى يتحدثون عنها •

• •

وعندما رجعنا مرة أخرى الى مكتب كيسنجر فى البدروم ، سأل عن انطباعى وهو يتوقع ردا حارا • فلم أستطع أن أخفى عليه شعورى بأن كل هذا الذى شاهدته كان شيئا شريرا ومقززا . ابدى اندهاشه ولكنه لم يقل شيئا .

كم كان كيسنجر يبدو اوروبيا فى وسط هذا الجو الامريكى النموذجى؟ المظهر والابتسامة والحساسية • قال انه يكره الاشياء السخيفة والناس المملين وسألنى ان كان يشبه الصورة التى ترسمها له الصحافة • فقلت انه يبدو أصغر وأقل سمنة ، قال ان الصحفيين يزعجونه أما أنا فلا

وبدأت أشعر اكثر واكثر بأنه طريف ومحبوب •

وقبل أن نفترق اتفقنا على ان نلتقى مرة اخرى · ولانني كنت سأسافر الى كاليفورنيا فقد اقترحت ان نلتقى فى نفس المساء ولـكنه كان على موعـد للعشاء مع سيده ·

«انت تجعلينى أتردد بين ارضاء غرورى ـ اجراء الحديث ـ وبين ارضاء نزقى · كان يضحك ولكن نزقه كسب اليوم

«ان هذه السيدة قد كلفت نفسها مشقة الحضور من نيويورك خصيصا لكى ترانى : وكانت السعادة والرضا يغمران وجهه ·

فماذا يمكن ان افعل ؟

*** بسيط ·· ومباشر**

فى الطائرة التى أقلتنى مرة أخـرى الى نيويورك · أخـذت أفـكر فى خطواتى المقبلة · كان الاتصال سهلا · ولم يكن هناك جليد ينتظر الذوبان · لقد تحاورنا دون افتعال أو تضييع للوقت ، ولقد أبدى الرجـل الذى قالوا عنه أنه جاف وجاد كل شىء ماعدا تجهمه · وسواء أكان هذا متعمدا او نتيجة للاهمال فقد أبدى الرجل ضعفه · وتشعر المرأة باهتمـام كبير أمام الرجـل الذى تحس بأنها قادرة على السيطرة عليه ـ خصوصا اذا كان رجلا ذكيا ·

وعندما هبطت الطائرة فى نيويورك ·· كنت قد أحسسـت أن كيسـنجر يملك كل المعوقات ·· ولكن شيئا لا يحدث له · لم يكن رياضيا ولا متقعرا فى التعليم · لقد كان خجولا · لكنته المانية · وعلى الرغم من كل هذا فهاهو ذا فى المقدمة ·· عاريا الامن ذكائه ·· وهو كل ما يملك · خارجا من وســط ادغال العادية موضوعا بوساطة نيكســون فوق القمة · ولكن لماذا اختـاره نيكسون ؟ أمن أجل قيمته ؟ أم لكى يكون واثقا فى الولاء الاعمى لخادم أمين ؟

● ●

وفجأة ظهر كيسنجر بسرعة وحده من خلف رجال الامن الجالسين وادخل رجل يابانى عجــوز الى مكتبه وهو رئيس وفد طوكيـــو الذى كان يمر فى واشنطن فى ذلك الوقت · قبل أن يدخل الى مكتبه لمحنى ، وابتسم · وأشار لى أن أنتظر · وبعد عشرين دقيقة عاد للظهور وخلفــه الرجل اليابانى · تقدم ناحيتى مصافحا واعتذر · ذهب الى دورة المياه القريبة ثم عاد ، ودخلنا

مرة اخرى الى مكتبه البرتقالى والاخضر وهذه المرة جاء كيسنجر وجلس الى جوارى ٠

• •

قال بلهجة عادية : أمازلت ترتدين الاسود ؟

تعجبت ٠ فقال انه ليس ضد الاسود ، ولكنه يقول هذا ليضعنى فى موقف الدفاع ٠ لم يكن هناك شىء خاص فى مكتبه ٠ على المكتب عدد قليل من الملفات ، منظمة بوساطة السكرتيرة ، وعلى الارض حقيبتان ، وجهاز تليفزيون ملون فى الركن ٠

« كتبى الخمسة التى نشرتها لا تعنى شيئا بالنسبة لاولادى وهم فى العاشرة والثامنة ــ أما اذا ظهرت فى التليفزيون فهذا حدث عظيم ، التليفزيون لايثيرنى ٠ أنه بالغ التجريد ٠ أننى انتمى الى الجيل القارىء »٠

دق التليفون ورد كيسنجر واعطى اوامره بأن لا يتصل به أحد ٠ وانتهزت الفرصة لكى أراجع عناوين الكتب المرصوصة على الرف ٠ كانت جميعا ما عدا واحد أو اثنين بالانجليزية « الصين فى أزمة » ٠ « نهاية الديمقراطية » ٠ «المخابرات المركزية فى مجتمعنا المفتوح » ٠ «تاريخ الحرب الباردة » ٠٠ الخ ٠

سألته متى يجد وقتا لكى يرى أطفاله (وهى احدى مشاكلى أيضا) فأجاب دون اهتمام :

ــ مرة فى الشهر ٠ اننى أبقيتهم أربعة أسابيع فى « سان كلمنت » طوال الاجازة ٠ ولكنهم كانوا يتصلون بى بالتليفون ٠ انهم يعرفون هذا المكتب جيدا ٠

على الجدران كانت هناك شهادة بتعيينه فى منصبه موقعة بيد نيكسون ٠ وأغلب الامريكيين الرسميين يعلقون مثل هذه الوثيقة ٠

عندما بدأ الحديث يأخذ طابعا جديا ٠ قال كيسنجر أن أخطر ما يواجه الرجل العملى هو انه يركز تركيزا بالغا على التكتيك وينسى فى هذا السبيل هدفه الاستراتيجى ٠

وقال : هنا فى هذا المكان يتحتم على الانسان أن يتماسك ، الاشياء

والاحداث تتحرك بسرعة فظيعة ، ليس هناك فرصة للتأمل أو التراجع . ان كبار المسئولين هنـــا لهم مكاتبهم القديمة المليئة بالبيروقراطيين . أما أنا فقد كان على أن أعد الطاقم الذى يعمل معى ولكنهم دائما يتدخلون .

قلت :بعض الناس يتهمونك بأنك صاحب آراء رجعية .

ـ تقصدين اننى محافظ . ان فلسفتى الاساسية واحدة لم تتغير . أنا أكره الشعارات . من يمكن أن تسميه محافظا هنا يمكن أن يكون متحررا فى مانشستر . فى أوربا يعتبروننى محافظا ليبراليا . اننى أريد التغيير بالقــدر الذى يستطيع المجتمع استيعابه . اما أن نحرم من كل التقاليد بدعوى التغيير فلا . اننى أومن بالتقدم والتطور . لقد قتل روسو كثيرا من الناس بتفاؤله الذى أدى للثورة الفرنسية . اننى أحاول أن أكون واقعيا . واعترف بالعظمة والضعف الانســـانى . عندما تعرفين التاريخ فانك تدركين كم من المآسى سببها رجال من أصحاب النوايا الطيبة . على الانسان أن يعترف بالجانب المأساوى فى الوجود . وهذا صعب بالنسبة للامريكى . »

● نيكسون ليس مثقفا :

ولاحظت ان كيسنجر ـ بالنسبة لامثاله من الاوربيين ـ قد قصد مباشرة الى قلب الموضوع دون ان يغرق فى الخطابه وصياغة الجمل . لم تكن اجاباته ملتويه أو مملة ، بل كان تحديدها ووضوحها مصدار للسرور . وتحدثنا فى موضوعات شتى ، وكشف فى حديثه عن انه يشعر بالغيب والغموض ، وان طريقة تناوله للمشاكل ليس هو الطريق العلمى ، ولكنه الطريق التاريخى . وهو يدرك ماذا يمكن ان تعنيه الولايات المتحدة بالنســـبة للدول الاخرى ، ولكنه ليس غارقا فى التعصب القومى ولا يؤمن بالتفوق المطلق لامريكا . وهو يدرك أن مرحلة الاستعمار قد انتهت ، وأن الهدف البعيد المدى ـ ان لم يكن هو ـ السلام فهو على الاقل افضل استقرار ممكن .

وعندما قلت له أن المنصب الهام الذى يشغله يعد فريدا بالنسبة للدول الاخرى وانه من الممكن فى تصورى ان يشغل نفس هذا المنصب فى الكرملين فاجاب دون انزعاج :

ـ نعم ولكن فى هذه الحالة يجب أن يكون تأثرى بالماركسية أكبر .

فسألت : ماذا كانت اكبر مفاجأتين له فى العام الذى أمضاه فى البيت الابيض .

فأجاب: أول شيء كان هو الانانية المطلقة للجهاز الادارى ٠انهم لايهتمون بالنتيجة بقدر اهتمامهم بالممارسة نفسها ٠ هذا ما اكتشفته عندما دخلت هذا المكان ٠ ولكن عندما تتصورين ضخامة مشاكل الولايات المتحدة والعالم واتساع المشاكل الاجتماعية والروحية التى تحدث ، فأنه يكون من الجنون أن يفكر احد فى قوته الشخصية فقط ٠ أن المداهنة والنفاق تكون هى الحل الافضل ٠

أما المفاجأة الثانية فقد كانت اكتشافه « أن من الممكن أن تكون على علم تام بأن اشياء ما يمكن أن تحدث ، ثم تقف امامها عاجزا عن فعل أى شيء يمنع حدوثها ٠ عندما اجتاح الروس تشيكوسلوفاكيا مثلا كنت قد تنبأت بهذا ـ اننى أجيد التنبؤ ـ ولكن لم يكن هناك وقت للتصرف » ٠

● ●

سألته : من هم الرجال الذين يقدرهم حوله ٠

نيلسون روكفلر ٠ انه يتمتع بحدس فنى نادر ، وثقة فى النفس مطلقة وطريقته فريده فى تجنب الناس الذين لايريدهم ، انه يغوص حتى ادق التفاصيل ، مثل النساء ٠ وهو قادر على أن يتبع احساسه حتى النهاية لقد عملت معه طويلا ، واشتركت معه فى حملته الانتخابية ٠ لقد كنت معجبا كذلك بروبرت كيندى ، لايمانه وعاطفته الجياشة ٠ اننى أحترم الناس الذين لا يدفنون رؤسهم غارقين فى اعباء الحاضر ، ولكن يتطلعون الى المستقبل ويحاولون قدر جهدهم صياغته ٠ من أجل هذا كنت اعتبر ديجول رجلا عظيما ٠

ما هو رايه فى نيكسون ؟

واجاب قائلا : انه على الرغم من أن نيكسون ليس مثقفا فهو يملك قدرة على التحليل والتحديد ثم قال « وليس لى معه مشاكل » ٠

هل يبدو العالم مختلفا عندما تنظر اليه من البيت الابيض ؟

لا ٠٠٠ فعلى الرغم من كل شيء فان كل هذا الكم الهائل من المعلومات الذى يتيحه وجودك فى البيت الابيض لايغير شيئا من التركيب الفكرى الاساسى ٠ فكل هذه الاشياء التى نسميها اسرارا وخبايا لاتقدم ولا تؤخر ٠ انها لم تغير شيئا فى افكارى الاساسية التى جئت بها الى هنا ٠

سألت : هل فعل مثل اغلب مواطنيه ومر بعملية تحليل نفسي ؟
فقال : أبدا أنا أراقب نفسي بشدة .. ولن أتكلم أبدا .

ما هي أهم مراحل حياته ؟ طفولته في المانيـــــا كأبن لمدرس في بداية حملة هتلر ضد اليهود ، ثم محاولة التكيف مع الحياة في الولايات المتحدة ، ثم خدمته في الجيش اثناء الحرب ، واخيرا الدراسة التي حصـــل عليها في هارفارد .. ثم الكتب التي نشرها ثم صعوده وشهرته .

« صحيح انني نشيط . انني احب الحركة ولكنني اقـــل طموحا مما يعتقد الكثيرون . انظري مثلا لما فعلته في ١٩٦٨ ، لم اكن أؤيد مرشحا أو آخر ، كنت مستقلا ، بل في الواقع انني غالبا ما اعطيت صوتي للديمقراطيين وليس للجمهوريين . ان الافكار العامة هي التي تثير أهتمامي .. وانا اعرف ما استطيع أن افعله . وما يجب أن افعله هو أن اكون ذا تأثير في المجتمع لقد كتبت خمسة كتب . في هذه الكتب وضعت كل أفكاري . !

سألت : ماهو الشيء الذي تحترمه في نفسك ؟

أجاب : شخصيتي ، صحيح انني ذكي ولكن هذا ليس مصدر فخر كبير لي ولكنني حقا فخور بشخصيتي . وأضـــــاف أنه يكره الرجال الأغبياء ، وأنه يعرف كيف يتخذ القرارات . وانه لايشعر بحنين الى المانيا . ولكنني احب باريس . وكبرياء فرنسا العظيم . عندما تذهب الى حفل هناك فان الناس لا يهتمون بلقبك . ما يهمهم هو أن تكون ظريفا وذكيا فقط . ليس من السهل أن تصنع صداقات في فرنسا ، ولكن اذا حصلت على الصداقة فانها تكون دائما وثابته ، دون أن تشوبها العاطفة الرومنتيكية الالمانية . مرة اتصـــلت بصديق في فرنسا وقلت له « اريد أن اتحدث معك خذ طـائرة وتعال امضى معي ساعة » نعم أنا لي أصـــــدقاء في كل مكان . رجال حكومة . صـــحفيون « ثم ساخرا » أن المثقفين في العالم كله لايشعـــــرون بالاطمئنان . وقال انه قبل أن يدخل البيت الابيض كان يزور باريس اربع أو خمس مـــــرات في السنة .

هل سافرت كثيرا ؟ لقد ذهبت الى فيتنام عدة مرات ، والاتحاد السوفيتي الهند ، اليابان .

وقال انه لايرى احتمال نشــــوب حرب ذرية قبل عام ٢٠٠٠ الا اذا وصلت القنبلة الى ايدي دول غير مسئولة . أن القنبلة نفسها بشكل ما يمكن

أن تشكل حماية للعالم بطريقة ما اذا امكن تحديد عدد الدول التى تملكها . أن اهتمامه الاكبر هو القيصرية ، الديمقراطية ، الفاشية الخام . « لقد كان هتلر محبوبا ، لا تنسى هذا ، ومن الممكن ان ينتخب الناس الدكتاتور ، وان يحشد الهستريا الجماعية » .

عندما وصلنا الى هذا الحد . وجدته مهتما بتاكيد ان اغلب المسئولين الذين يتعامل معهم غير قادرين ولا راغبين فى المغامرة .. الامر الذى يجعلهم عاجزين عن تحقيق أى شىء . أن جمود البيروقراطية هى واحـــدة من أهم المشاكل فى العصر الحاضر . « اكثر خطورة من الحصول على وسائل الانتاج التى تعتبر مشكلة من مشاكل القرن التاسع عشر . أن الروس لا يدركون هذا .. أن الفارق الاساسى بين روسيا وامريكا هو انه فى روسيا توجد رءوس قديمة مليئة بالايدلوجية ولا توجد منافسة بينما فى الولايات المتحدة لاتوجد ايدلوجية ولكن منافسة بين البيروقراطيين .

● وسألته عن تقييمه ووجهة نظره للاتحاد السوفيتى خلال الخمســين سنة القادمة ؟

ـ سوف يبقى ويستمر.ولو نظرت اليه بوضوح لوجدته يشبه الكنيسة الكاثوليكية فى القرن الثالث عشر . من اين يمكن ان تاتى المعارضة .

● وماذا عن الولايات الاوربية المتحدة التى طال الحديث عنها ؟

ـ للأسف . فأن ديجول وحده هو الذى كان يستطيع أن يجعلها توجد ولكنه لم يرد .

● **النساء يبحثن عن القوة :**

بعد كل هذه الجولة البعيدة الافاق سألته هل يحب الموسيقى . فقال نعم « الموسيقى الكلاسيك ، موزار ـ هايدن ـ بتهوفن فى بعض الاحيان . وفى الرسامين أحب التعبيريين أو التجـــريديين الحقيقيين ، ولكننى لا أحب بيكاسو فى مراحله المبالغ فيها والغريبة . كذلك أضاف أنه يحب النساء . وانه قد لاقى معهن نجاحا لا بأس به خصوصا بعد أن حصـــل عــلى منصبه هذا . « أن النساءيبحثن عن القوة ، لم تكن هناك ابدا مشكلة مع النســاء ولكن الامر يبدو اسهل كثيرا فى السنة الاخيرة » .

بعد كل هذا الحديث الطويل افلتت منه ملاحظة عابره كشفت عن اعمق

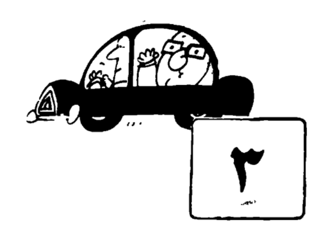
اهدافه ودوافعه : « لقد تركت العمل مع فريق كنيدى فى البيت الابيض لأننى احسست انه لا فائدة فى . اننى أحب دائما أن اشعر أن وجودى يحدث اثرا» .

لم يكن كيسنجر يحاول معى التملص من الاسئلة بل على العكس كان يغوص فى التفاصيل كلما زادت جدية الاسئلة : وكان يبدو مهتما بكشف الحقائق كانه مازال ذلك الطالب المجد فى هارفارد وليس الشخصية المسئولة ولكن على الرغم من هذا كله فقد كان مليئا بالضعف الانسانى البسيط .

ومثل الرسام الذى يملؤه القلق من ملازمة الموديل اصبحت اتوق لكى انهى الحديث ! لم يعد هناك سوى ان القى الفرشاه . كنت قد سمعت أن كيسنجر من اصل متواضع جدا فقلت « أحب أن ارى والديك ، فهما سوف يتحدثان عنك وسيساعدنى هذا على استكمال الصورة » .

نظر الى كيسنجر مترددا « لم يسبق أن ارسلت لهم احدا قط » ولكنه عاد يقول « ولكنك لست مثل الآخرين . سوف احدثهما بالتليفون » .





اتصلت بوالدى كيســـنجر مباشرة عقب عودتى الى نيويورك واعطتنى والدته موعدا فقد كان هو قد حدثها بشأنى ٠ ومن الممكن ان يتوه الانســـان فى نيويورك ، خصوصا اذا كان مثلى يفتقد الاحساس بالاتجاه ٠ تماما مثلما يحدث فى باريس عندما يخلط الناس بين الشوارع والاحياء ٠

مازال والدا كيسنجر يعيشان فى نفس المكان الذى استقرا فيه عقب وصولهما الى الولايات المتحدة سنة ١٩٣٨ : اسم الحى مرتفعات واشنجتون حيث استقر عدد كبير من الالمان المهاجرين ٠ العمارات هناك من الطوب القديم وللاسانسيرات مفاتيح لاتســـتعمل بدونها ٠ وانا اعبر العتبة القبيحة لهذا البيت وادخل الى حيث يسكن آل كيســـنجر وجدت نفسى اتأمل المســـافة الشاسعة التى تفصل بين هذا الحى المتهدم والمدخل الانيق للبيت الابيض ٠٠ وشعرت بأعجاب بالرجل الذى قطع هذه المسافة ٠

كنت قد تصورت أن والديه سيكونان عجوزين يسهل التاثير عليهما ، رقيقى الحال واحضرت معى بعض الزهور ٠ استقبلتنى والدته على الباب ، امرأة تبدو فى الخامسة والستين ، صغيرة الحجم ، ممتلئة ، يبدو عليها الذكاء الشديد وانها امرأة خاضت فى حياتها كثيرا من المحاكمات والخصـــومات ، وانها امرأة لا تخدعها المظاهر ولا ينطلى عليها النفاق ٠

عندما جاءت الى أمريكا سنة ١٩٣٨ كمهاجرة بلا نقود كان عليها أن تعمل كطباخة فى بيوت الاخرين ٠٠ أما الان فى وسط الكراسى الفوتيل والستائر ذات الاربطة لهذه الشقة المتواضعة ـ فقد بدت لى وكانها تحاول اعادة خلق نموذج وذوق البورجوازية الاوربية الصغيرة ٠

وزوجها رجل قوى فى الثمانين من عمره لايزال يحمل قوة ومهابة ناظر المدرسة الالمانى ، جلسنا جميعا فى حجرة الصالون ذات الضوء الخافت وبدءا يرويان لى تاريخ حياتهم ٠

● **ابن مدرس اللاتينية:**

« كنا نعيش فى « نورث » فى بافاريا قرب نورمبرج ، مدينة تعدادها مائة الف » كان كيسنجر الاب يتكلم بلنكة المانية واضحة : « كنت اعلم اللاتينية والفرنسية والانجليزية فى مدرسة صناعية ٠ عندما ولد هنرى فى ٢٧ مايو سنة ١٩٢٣ كنت انا فى الخامسة والثلاثين وزوجتى فى الواحدة والعشرين ٠

وولد لنا بعده ولد آخر فى العام الذى يليه ـ والت ـ وهو الآن يملك محل أدوات كهربائية فى لونج ايلاند ٠ بدات الحملة ضد اليهود فى ١٩٢٢ ، وفى نورمبرج كان يعيش اشتريش أحد قادة الحملة وهناك اصدر جريدته السياسية العاصفة وتسمم الجو فى كل المنطقة بسرعة ٠

وتبادل الرجل وزوجته بضع كلمات بالالمانية ثم واصلت السيدة كيسنجر : « لم يكن مسموحا لاولادنا ان يلعبوا مع الآخرين ، كانوا يبقون طوال اليوم محبوسين فى الحديقة ، كانا يحبان كرة القدم ـ وهنرى على وجه الخصوص ولكن المباريات فى نورمبرج كانت ممنوعة عليهم ٠ كان شباب هتلر الذى يشمل فى الحقيقة كل الشباب فى « نورث » يغنون ويستعرضون فى طوابير فى شوارع البلد ولم يكن هنرى واخوه يفهمان لماذا لايسمح لهما بان يشاركا الاخرين ٠

« كان علينا ان نضعهم فى مدرسة يهودية خاصة » ٠٠ واصل الحديث لويس كيسنجر « كان هناك حوالى ثلاثة الآف يهودى فى نورث وجميعهم معزولون يعيشون وحدهم بعيدين عن الاهل ٠

واستطردت الام : « كان هنرى يشبه أباه ٠ كان طفلا ذكيا ، لم يكن يخرج

ليلعب رياضة أو مباريات ولكنه كان يحبس نفسه ليكتب مقالات عن الرياضة والمباريات ، واحتمى الطفلان كل منهما بالآخر · كان هنرى عاطفيا ولم يكن طموحا ، كان يكثر من قراءة القصص الخيالية وكان متوسطا فى دراسته وكان الطفلان يشعران باننا قد نرحل فى أى وقت ، لذلك لم يشعر أى منهم بالامان» ·

قام مستر كيسنجر الـذى أحنى ظهره النقرس وسار حتى مكتبه وفتح درجا ليخرج بعض الاوراق وقال : « عندما عاد هنرى مرة أخرى الى نورث أثناء خدمته فى الجيش الامريكى · كان ذلـك بعـد الحرب وزار كل الاحياء المجاورة وكل بيت باق وكل شارع · كان عمره اثنين وعشرين عاما · أنظرى الى هـذه الخطابات التى ارسـلها لنا · لقد احتفظت بها جميعا ــ هاهى الخطـابات كلها · هنا أحتفظ بكل شىء عن أبننا ، كل مقالاته ، كل كتبه ، وكل الصور انه الآن شخص ناجح ولكنه بقى دائما ابنا بارا وصديقا مخلصا » ·

لقد حركنى هذا الاخلاص والولاء ، ففى هذا الزمن الحامض يصبح التعبير عن المشاعر الانسانية البسيطة أمرا نادرا · لقـد ناطلق هـذان العـجوزان يفصحان عن دخيلة قلبيهما فى فيض غير منتظم · يقاطع كل منهما الآخر وهما يتذكران المانيا ويقدمان لى الوثائق والصور ·

وعاد الوالدان يتحدثان عن الوحـدة التى كان يعيش فيهـا هنرى فى المدرسة وقالا انه كان فى حاجة الى صديق ، واتخذ فورا صديقا له ولكنه كان مضطرا هو واهله الى الهجرة قبلنا ــ هذا الصديق عالم كبير فى اسرائيل الآن ــ قالت الام : « وكانت هـذه هى المرة الأولى التى يتحطم فيها قلب ابنى » وبدأت تحكى لنا عن « الخروج » ·

● الى أمريكا

« كان لنا ابن عم لا نعرفه فى الولايات المتحدة · كتبت له وشرحت جو الكراهية الذى نعيش فيه ، فطلب منى ان الحق به انا والاطفال · ولكنه كان قرارا ضخما ، فعلى الرغم من اننا كنا نعرف ما سيأتى الا اننا لم نفقد الامل فى أن تتحسن الظروف ·

واخيرا فى ١٥ أغسطس ١٩٣٨ تحركت العائلة كلها الى اسويد تم لندن ولم يكن معنا الا قليل مـن النقود اقترضناها من خال المانى ، ورحلنـا الى الولايات المتحدة على الباخرة « الحرية » · بالنسبة لنا كان المنفى تجربة مريرة وطويلة ومؤلمة · ولكنه كان الخلاص بالنسبة للاطفال ، كانوا يعرفون كلمات

انجليزية قليـلة ولكنهم قرروا ان يهجروا الالمانية الى الابد وبدأ هنرى يظهر طموحه الكامن ٠

ذهب الأولاد الى مدرسة جورج واشنطن الثانوية ـ ولم يستطع والدهم أن يجد عملا فى التدريس فعمل فى مكتبه ٠ وأجرت العائلة غرفتين فى شقتها للغرباء ، ولكى يدفعوا الايجار كانت مسز كيسنجر مضطرة لان تخدم وتطبخ فى بيوت السكان المجاورين ٠

« واعلنت الحرب ٠ وذهب أولادى ٠ فقد حصـلا عـلى الجنسية فورا ٠ وامضى هنرى بضعه شهور فى المشاه ثم التحق بمركز تدريب تابع لكلية لافيت لدراسة الكيمياء والطبيعة ٠ وبعـد الخسـائر الكبيرة التى لحقت بالجيش فى ايطاليا أخرجوا جميع التلاميذ من الكلية وارسلوهم الى لويزيانا ـ فى غابة تقريبا ـ فى ظروف فظيعة ٠ وهناك قضى هنرى فترة تعيسة ٠

لقد أعطت الحرب للمهاجر الصغير الذى يبدأ حياته حماية وبعض المال والتدريب الاساسى ، وفرصة لكى يكتسب الجنسية الامريكية وان يشـحذ مواهبه ٠ لقد لعبت الحرب فى الحقيقة دورا صحيا فى تأكيد وتصحيح شخصيه متناقضة منعزلة منغلقة على نفسها ٠ كل الذى حدث فيما بعد كان من الممكن أن يكون مختلفا ٠

قال لى كيسنجر يوما ما « لا تقولى هـذا عنى لاحد ٠٠ اننى فى الحقيقة مؤمن بالقضاء والقدر» الى ان هذه الملاحظة لاشك لها قيمتها عندما نعرف الدور الذى لعبه القدر فى حياته ٠

● قديسون أم موميات :

وشاهدت كل الصور ٠٠ هنرى الطفل يبتسم فى خجل ، هنرى المثقف ذو النظـارات ، هنرى وهـو يرتدى الروب والقبعه فى حفـل التخـرج فى هارفارد ، ولدا هنرى المتواضعان الصغيران يستقبلهما الرئيس نيكسـون ٠ واطفال هنرى ٠٠ عروسة صغيرة ذات ابتسامه مضيئة وولد صغير يمسك بيد الرئيس نيكسون ٠ درس مفيد فى طريقة الحياة الامريكية ٠ لقدأصبحت مهتمة بالموضوع الذى اعالجة وكأنه خرج عـن كونه مجرد عمل صـحفى لكى يصبح شيئا متعلقا بحياتى نفسها وبشخصى ٠

كان كيسنجر قد دعانى الى العشاء ٠٠ تأجل العشاء الى ٩ ديسمبر ٠ واضطررت ان أمضى ليلتين فى واشنطن ونزلت فى فندق شارويم وهو فندق كبير لم آكن معتاده عليه ٠

كنت قد رتبت أن أرتدى بدلة «كاردان» وقميصا أبيض وكانت هذه هى الموضة فى ذلك الوقت . كنت أترقب هذا الموعد ولم يكن مجرد موعد للعمل ، حيث أننى كنت أعتبر نفسى قدفرغت منالعمل ، ولكنه لم يكن فىنفسالوقت موعدا اجتماعيا أو للمجاملة .

التفكير فيما سيحدث بعد ذلك ، ذاد من سعادتى واحساسى بأننى قد حققت كل ما كنت أتوقعه من هذه الزيارة وبقرب عودتى الى أولادى فى فرنسا ومعرفتى اننى سأحمل اليهم شعورى هذا بالنجاحالذى سيمحو أثر الفراق الذى تتطلبه هذه المهنة الصعبة .. كل هذا كان يجعلنى أشعر بارتياح وباننى جميلة .

فى الثامنة والنصف دخلت بدروم البيت الابيض . كان الموظفون يعرفوننى الآن ، وبدون ان يجعلونى أنتظر أدخلونى الى مكتب الجنرال هيج ، الذى أعتذر لان هنرى يتأخر حوالى عشر دقائق . وعندما خرج من مكتبه كان يبدو غارقا فى أفكاره الى درجة انه لم يلحظنى . اننى أطول منه قليلا . ولأول مرة أحسست بالخجل . حتى تلك اللحظة لم أكن أرى فيه أكثر من لغز مطلوب منى ان أحله . ان القوة والسلطة لا تؤثر فى ، واذا فعلت فان أثرها سلبى . فللحصول على السلطة يتخلى أغلب الناس عما يجعلهم ذوى قيمة . انهم يستأصلون جزءا من أنفسهم ، أن العالم يحكمه مجموعة من المشوهين . فالامراض النفسية والعصبية للحكام هى المسئولة فى أغلب الاحيان عن فساد واسترخاء الحكومات على الرغم من كل التقدم العلمى والتكنولوجى . أننا لسنا فى حاجة الى قديسين ليتولوا السلطة . ولكن الى رجال نجحوا فى الاحتفاظ بأنفسهم فى حالة يقظة وقدرة على استيعابالافكار ، والايمان بالحدس والموهبه مصحوبا بالحماس والقدرة على التخلص من التعصب . ولكن الرجال الذين فى القمة عندما نراهم عن قرب نرى فيهم مومياوات حنطها الحرص والخوف وانعدام الخيال .

أما الرجل الذى سار الى جوارى عند سور البيت الابيض فى تلك الليلة فانه لم يكن قد عبر بعد الى الجانب الآخر . لقد كان انسانا مليئا بالمتناقضات ، كان كفلاح علمته التجارب وحددته اصوله .





وكأغلب المطاعم الامريكية ، كان هذا المطعم هو الآخر قديما فى ديكوره ، ملىء بالنجف والمرايا ذات البراويز الضخمة ويحمل اسما تاريخيا : سان سوسى · وانا أخلع جاكتتى أمام المرآة الى جواره فى مدخل حجرة الطعام الكبيرة . قال لى هامسا بلكنته الالمانية « ستربن ، سوف يأخذون الصور ، وغدا ستجدى نفسك فى كل الجرائد » · لم أر ميزة أن أجد نفسى فى الغد مصوره فى كل الجرائد وازعجنى هذا الاهتمام المبالغ فيه بالدعاية من رجل ليس فى حاجة لها ·

وجلسنا ، نظر الينا بعض الجالسين وقد تعرفوا على كيسنجر وأخذوا يتفحصوننى · وما لبث فضولهم ان فتر ــ الفضول فى الجمهور الانجلوسكسونى يبدو أنه قد أصبح عادة قديمة ــ وتركنا بعد ذلك وحدنا ·· لا أذكر قائمة الطعام الذى تناولناه · ولكننى أذكر ان كيسنجر كان يستعمل خبزه ليمسح به النبيذ والصلصة المتبقية فى طبقة ــ وهى حركة كانت كافية لكى تصيب أمى البورجوازية بالذعر · واذكر أيضا اننى لم أكن قادرة على ابتلاع شىء ، لا الشراب الانيق فى كأسى ، ولا الطعام الذى بدأ يبرد فى طبقى · كيسنجر لا يشرب ولا يدخن · وشرح لى انه يقضى أغلب حياته جالسا ولا يمارس أى نوع من الرياضة « ليس عندى وقت » لذلك فقد زاد وزنه فى السنة الماضية ١٥ رطلا وقد فشلت كل جهوده لانقاص وزنه ·

تكلمنا فى موضوعات شتى على مدى ساعتين ـ ويبدو أن رءوس الموضوعات التى تكلمنا فيها جديرة بالتسجيل لان كيسنجر كان أيامها أقل تحملا للمسئولية ، وهى جديرة بالتسجيل أيضا لما أعقب ذلك من أحداث خاصة بيننا .

● **اختفت فكرة الابدية :**

قال أن الموظفين فى مكتبه معجبون بى ، وسألنى عن رأيى فى تونى لايك . فقلت أن هناك شعرا فى ذلك الشاب وان هذا شىء مستغرب فى بدروم . وسألته هل يكتب يوميات منذ دخوله الى البيت الابيض « واذا سمح لى بان آخذ بعض فقرات منها فاننى سأكون سعيدة الى أقصى حد » .

« لقد حاولت ذلك فى البداية ، لثلاثة أو أربعة أسابيع ، ولكن المكان خطر جدا . كيف يمكن أن تضعى معلومات كهذه فى مذكرات شخصية . افترض أننى مت أو سرقت أشيائى . وعلى الرغم من هذا فانك عندما تكون دائما تحت ضغط وفى حالة من التوتر المستمر . فانك تشعر فى بعض الحالات بانك فى حاجة الى أن تفتح قلبك وغالبا ما أذهب فى هذه الحالة فى المساء لكى أتحدث مع الرئيس » .

ـ هل أنتم أصدقاء من مدة ؟ لم أكن أظن هذا .

ـ لا لقد رأيته ثلاث مرات فقط قبل تعيينى . كم هو غريب أن يأتى النجاح من غير المتوقع ، لقد كنت أعطى صوتى دائما لروكفلر وضد نيكسون .

ـ فى ١٩٦١ كنت تنتمى الى الفريق الذى يعمل مع كينيدى .

ـ لم أكن أشعر بارتياح معهم ـ استقلت . ولكن من الصعب أن يتخلى الانسان عن السلطة . تشعر أنك فى الخارج ، وانك لا تملك الاطلاع على هذه الملفات ، وتقرأ الجرائد كبقية الناس ، وتعرف انهم لا يعرفون أى شىء . أن رجالا مثل بوندى وروستو الذين عاشوا فى الداخل سنوات طويلة ، يشعرون الآن وهم خارج السلطة ببؤس شديد .

ـ ولكنك ستترك هذا المكان يوما ما ، هل عندك خطط للمستقبل ؟

ـ أنا لا أعد مشروعات طويلة الاجل . فى كل سنة أقرر أن أحقق الشىء الذى يبدو لى انه الاكثر أهمية . أين سأذهب بعد البيت الابيض ؟ أن هذا ليس سهلا .

ـ هل تظن أن المال مهم ؟

ـ على الاطلاق • المهم أن نعيش • عندما كنت فى العشرين مهاجـرا صغيرا ، كنت أشعر بأننى فى حاجة ماسة لكى أحصل على استقلالى المادى • ولكن مثلا وبعد أن عملت مع روكفلر لمدة سنتين كنت لاأزال احصل على مرتبى من هارفارد فقط لاغير ••

ـ أنت تقول انك لا تخطط لحياتك الشخصية ، ولكن أظن انه بالنسبة لشئون الدولة لابد أن يكون الامر مختلفا •• ولابد ان يكون هناك تصـور للمستقبل •

ـ لقد كان التاريخ هو معلمى دائما ••• انه هوالذى علمنى كيف استعمل السلطة • واظن أن الرئيس فى حاجة ماسة الى أن يكون قادرا على تحديد تصور بعيد للمستقبل حتى يستطيع أن يقود نفسه وتصرفاته ، ان المستقبل يجب أن يكون اوضح من الحاضر •• ولكن أى مستقبل ؟

لقد كانوا يبنون الكاتدرائيات لتعيش الى الابد ، اما الآن فان المبانى لا يقصد منها أن تعيش الى الابد • ان فكرة الابدية قد أختفت • فيتنام سوف تأخذ بضع سنوات لكى تنتهى وتنسى وستكون مصدرا للحزن لوقت طويل • الفظيع أن الناس تتصور أنك تقول هذه النبوءة لانك تحب هذا » •

كيف يفكر نيكسون ؟

مرة أخرى سألته عن نيكسون •• اى نوع من الرجال هو ؟ •• قال :

« انه واحد من أكثر الشخصيات التى عرفتها قدرة على أتباع النظام والمنهج • الرؤساء الثلاثةالذين سبقوه كانوا رجالا أذكياء ، أما هوفانه يريدأن يعرف كل كبيرة وصغيرة عن كل شىء • انه يريد ان يعرف الى أين هو ذاهب ، ويريد أن يعرف كل الاحتمالات • انه يملك عواطف • ولكنه منظم الى أقصى حد • لقد كانت أمه متدينة جدا وان لها تأثيرا بالغا عليه » •

طلبت من كيسنجر أن يحدثنى أكثر عن علاقته بالرئيس •

ـ فى مثل موقفى هذا أنا لا املك سلطة ذاتية • لا أملك جهازا تحت يدى • أن سلطتى هى ثقة الرئيس • لست فى حاجة لان أتدافع لكى أشـق طريقى • أن على فقط أن أحتفظ بثقة الرئيس • والآن يعرف نيكسون وليرد وبالتالى البنتاجون اننى أقدم لهم جميع الاحتمالات بموضوعية وامانه • اننى أضعه فى أطار عام • ان نيكسون ليس مثقفا ولكنه مهتم بالمشاكل الفكرية •

كل الاشياء تنهار :

رجعت بالحديث مرة اخرى الى كيسنجر نفسه · وسألته عن فترة تدريبية ودراسته في هارفارد وعن علاقته بزملائه ·

ـ في هارفارد · وبعد أن تحصلى على الدكتوراه فانك تحصلين على درجة معيد لثلاثة سنوات ، ثم أستاذ مساعد لمدة خمس سنوات ، ومسألة البقاء هناك لمدة ثماني سنوات تتوقف تماما على حسن نوايا الاساتذة تجاهك · وقد افزعني هذا · فعندما عرضت على جامعة شيكاغو منصب أستاذ مساعد قبلته · ولكن الذى حدث انني لم أذهب الى شيكاغو وقد كلفنى مجلس العلاقات الخارجية بعمل دراسة على الاسلحة الذرية · ومن الواضح أن استطاعتي الفكاك من هذه القاعدة الجامدة التي يخضع لها الجميع ، قاعدة البقاء لمدة ثماني سنوات في هارفارد ـ لكي أستطيع أن أحصل على منصب أستاذ ، هذا التخلص قد اثار ضدى غيرة الكثيرين من الاساتذة · الذين ينتمي معظمهم الى ارستقراطية بوسطن الفكرية التي تنتشر فيها الاحساسات المعادية للسامية ·

وأضاف قائلا أن نوع الحياة الاجتماعية التي تقتضى الشرب الكثير والمرح المفتعل والعلاقات التي لا معنى لها ، لاتهمه ولايستطيعها ولذلك فقد اختار مجموعة من الناس يستطيع أن يشعر تجاههم بالاحترام ·

انني لم أشعر طوال حياتي بهذا الشيء الذى أصطلح الناس على نسميته قلق العصر انني انزعج فقط عندما أشعر أن الاشياء لا تتحرك حولى بالسرعة المطلوبة · وانني أعرف ما يجب أن أفعله ·· ولكنه لا يفيد ·· لقد كانت لكنتي الالمانية عقبة فظيعة في طريقي ·· لم أكن أستطيع أن أتحدث أمام الناس الى سنوات قريبة · ولكنني أستطعت أن أتخلص منها · ان التجربة التي عشتها حتى الخامسة عشرة من عمرى ، واحساسي بان كل الاشياء التي حولى تنهار ·· كل الاشياء التي بناها أبواى · لقد جعلتني هذه التجربة أدرك أن كل الاشياء هشة وانها كلها قابلة للكسر وقد زرع في هذا أحساسا بالمأساة · انك تصبحين تحت رحمة الظروف اذا شعرت بالانتماء للاشياء التي تملكينها ، اما اذا شعرت بالانتماء للحظة فانك تصبحين قادرة على تحقيق شيء · انني قد نزعت من نفسي كل شعور بالملكية ·

أحب المغامرين :

ثم حدثني عن أصدقائه : « ان لى كثيرا من الاصدقاء ·· ولكن القريبين

الى قليلون جدا « جون جاردنر ، وهارولد هوسكن ، وبعض الرجال الانجليز » والنساء ، قال انه يحب المرأة الحادة القادرة على الاشتراك العاطفى القوى المستقل « اننى أحب الناس الذين يستفيدون من الظروف .. المغامرين » وحدثنى عن الرجل الاكاديمى الذى قابله وهو فى الجيش فرنيز كرامر ، والذى كان له عليه تأثير كبير : « كان فى الثامنة والعشرين . حاصل على درجتى دكتوراه . لقد قرأ خطابا كنت قد كتبته وقال لى « ان لك عقلا سياسيا ممتازا بالنسبة لشاب فى الثامنة عشرة . ماذا تريد ان تفعل فى حياتك ؟ قلت اننى أريد أن أصبح صاحب مكتبه « أنت ؟ أنت يجب أن تحصل على تعليم عال ».

ـ انه فى البنتاجون الآن ، أكثر جمودا أو محافظة منى ، ولكنه يحمل ايمانا عميقا . لقد كان على صواب فيما يتعلق بى ، لاننى أعتقد أن كفاياتى لم تكن لتظهر فى عمل لا يحرك دوافعى العميقة » .

ـ ما هى هذه الدوافع ؟

ـ يجب أن أؤمن بشىء ما . اننى لا أعرف كيف أصنع رأس مال ، ولست مبدعا لكى أخلق فنا ـ وربما يستطيع محلل نفسانى أن يثبت اننى أعانى من التركيز على الذات. ولكنى لاأستطيع ان أفعل شيئا لمجرد كسب النقود أو اثبات النجاح فى المهنة .. اننى لابد ان أشعر بالقيمة المطلقة المجردة للجهد الذى أبذله .

لا أستسلم أبدا :

كان الوقت قد أصبح متأخرا . وقد أصبحنا وحدنا فى المطعم وقد وضع مرافقه يده على ظهر الكرسى الذى أجلس عليه وشعرت طوال الحديث باننى مع صديق قديم منذ الطفولة .

« اننى سأشعر بقلق لو أصبحت خارج البيت الابيض . ولكن أحدا لم ينجح حقا فى هذا المنصب الصعب . منصب مستشار الرئيس لابوندى . ولارستو . هل هناك طريق للنجاح ؟ »

طبعا كان يعرف ان هناك طريقا للنجاح . فكيسنجر رجل ناجح . كان يقول « ان عندى حيوية غير عادية .. اننى لا أستسلم أبدا . لا أقبل الهزيمة » .

ذكرت طلاقه ـ فقال أنه مازال يرى زوجته . التى لها حق حضانة الاولاد ، وان هذا الطلاق كان مأساة حياته الكبرى . ثم قال :

ـ وانت ٠ ماذا يفعل زوجك ؟
فأجبت بان عندى طفلين ولكننى لم أتزوج أبدا ٠
ـ أحسن ٠

قال هذا دون أن يبدو عليه الانزعاج «أنت اذن أكثر استقلالا منى» ٠

● **هذا « الشىء » !!**

خرجنا من المطعم وسرنا فى الشوارع الخالية حتى البيت الابيض ٠ كان الجو رقيقا والليلة رائعة ٠

ـ يجب أن ننتظر سنة حتى نرى ماذا سيحدث فى فيتنام ٠ اننى مرتبط تماما بالرئيس ومستقبله يتوقف علـى فيتنام ٠ اذا فشلنا فسـاكون أنا الضحية ٠ ولكننى سأعرف متى أرحل ، عليك دائما ان تعرفى هذا ٠٠ متى ترحلين ٠ لم تبلغ تعاسة ماكجورج بوندى والذين سبقونى الا لانهم لم يعرفوا متى يرحلوا لمدة ثلاث سنوات ٠٠٠ لااكثر ٠

ولاح البيت الابيض الذى أضيئت أرضه بالفوانيس الفكتورية الطراز ٠ وفجأة سأل كيسنجر بتلك البساطة الاخاذة التى لا تقاوم :
ـ مارأيك فى ؟
ـ أعتقد أن فيك شيئا ٠

قلت وانا أميل على ذراعه الموضوعةفى جيب البالطو (انه دائما يضـع يديه فى جيب البالطو أما عن خجل أو لكى يخفى أظافرة التى يقضمها) كان يسير وهو يميل على ناحية ثم على الناحية الاخرى كما يسير فلاح فى الحقل ٠ ولم أكن أتوقع أن هذا « الشىء » سوف يمسنى شخصيا فى يوم من الايام !

● **الحارس والمهاجر :**

وسألته مرة أخرى ماذا يفعـل فى يومه بعـد الخمس عشرة ساعة التى يقضيها فى البيت الابيض ٠

ـ أوه ٠٠ اننى اكتشفت دائما عالما جديدا ، عالم السينما رجال السينما والممثلات ، اننى أخرج دائما مع الممثلات ٠٠ ولكن كم هن مملات ٠

كنا نقترب من احدى البوابات التى يقف عندها حرس البيت الابيض . ولدهشتى فقد استوقفنا الحارس الليلى وسأل : أوراقكم ٠

كان مشهدا لا ينسى .. هذا الحارس الاسود الصغير الذى يستوقف ذلك المهاجر الالمانى اليهودى ليحمى أمن الولايات المتحدة الذى يسهر الاثنان معا على حراسته .

وبلا كلمة ، اخرج كيسنجر بطاقته . نظر فيها الجندى ثم تراجع الى داخل كشك وقال معتذرا ، أنها اول مرة اقف فيها خدمة هنا ولم أكن أعرفك ، وعلى البطاقة كان مكتوبا هنرى كيسنجر السن ٤٦ ، مساعد الرئيس .

لقد كان منظرا رمزيا .. فلمدة عشرين شهرا وهذه الشخصية المنفردة المتماسكة ، وهى تعود الى مكتبها بينما الناس نياما ، تحلم بأن تكون الحارس ، الذى يسهر على أمن العالم من موقعه فى البيت الابيض ، أن وجوده يشهد على تحقق طموحه .. وفى نفس الوقت يؤكد وجوده هذا التحدى الضخم : ففى عصرنا ـ عصر اللجان والمجالس والبيروقراطية الكبيرة أمازال فى استطاعته الافراد ـ عن طريق اتساع رؤيتهم وممارستهم لقدراتهم ـ أن يغيروا مجرى التاريخ ، وان يؤثروا ـ ولو على المدى القريب ـ فى مصير ثلاثة بلايين من البشر .. ان الناس كانوا يسخرون من ديجول لانه حاول أن يواجه هذا التحدى .. ولكن قصر الايليزيه لم يكن مركزا لاتخاذ القرار العالمى المؤثر ، ولذلك كان الفارق بين الفكرة والواقع المعاش يجعل الموقف يبدو مضحكا . وكيسنجر ـ أستاذ هارفارد هذا ـ الذى يمضى فى بدروم البيت الابيض خمس عشرة ساعة كل يوم بما فى ذلك يوم الاحد محاولا ان يعيد تشكيل العالم بطريقته .. انه هو الآخر يبدو غير عادى وشاذ .. فهل يستطيع أن ينجح ؟

● ●

كانت المكاتب فارغة فى ذلك الوقت .. لم يكن باقيا سوى سكرتيرة واحدة تنتظر عودة رئيسها . ودخلنا الى غرفة المكتب البرتقالية الخضراء .

ذهب الى التليفون وطلب رونالد زيجلر المتحدث باسم نيكسون .. أخذ يتحدث بصوت أجش وبطء ونبرة عاطفية حارة .. كان يبدوسعيدا بمكانه هذا .. فى منصب صنع له ، وخصوصا فى هذه الليلة حيث لم يكن واقعا تحت ضغط ولم تكن هناك أزمة .. كان يبدو لى وقتها أصغر مما هو ، وفكرت أننى كنت أعتبره دائما عجوزا .

ـ أين تنزلين ؟ فى أى فندق ؟ سوف أصحبك اذا كنت ترغبين .

لم أستطع تذكر اسم الفندق .. لمدة دقائق بقينا نحن الاثنين نتذكر أسماء الفنادق محاولين العثور على فندقى .. وكانت تنتظرنا عربة بسائق .

« أنت لا تسوق بنفسك » وربما أزعجه السؤال ، فبعـد عامين عنـدما رجعت مرة أخرى كان يقود سيارته بنفسه ٠٠ ساعدنى فى الدخول الى العربة ولكنه وهو يستعد للركوب قال : « لقد نسـيت جرائدى » وعاد بسرعة فى مشيته المهتزة حاملا مجموعة من الجرائد تحت ابطه ٠٠ ولاحظت انه تذكر ان يحضر معه كتابا ، نسخة من كتابى الاخير الذى يحمل مجموعة تحقيقات حول العالم ، كنت قد أهديته نسخه أثناء العشاء ٠

● **لقد خنا الاطفال :**

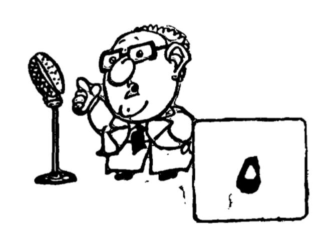
تستغرق المسافة بين البيت الابيض والفندق الذى أنزل فيه حوالى عشر دقائق فى المساء ، طوالها لم يتوقف عن الحديث « لم أكن أعرف شيئا عن عقلية الولايات المتحدة ، لاشىء على الاطلاق ، لقد كان الجيش ، هوالذى جعلنى أعرف هذه البلاد الواسعة ، وكنت فى العشرين ٠

لقد رأيت كل شىء يحدث حولى ٠٠ الخير والشر ٠ ثم عاد الى الحاضر ٠الى أضطراب القيم فى الولايات المتحدة ٠٠ « انهم يبحثون عن أبطال فلا يجدون سوى مراهقين مصابين بالعصاب ، لذلك فهم يتمردون على آبائهم ويصبحون غير قادرين على احترام احد اطلاقا » ثم اشار مرة أخرى الى الرخاء والوفرة ، والمادية المتطرفة والشك « اننى أتابع باهتمام المسألة الفظيعة لجرائم قتـل شارون تيت ، كنت أتكلم عنها مع الرئيس أمس » فى هذه المسألة تستطيعين أن ترى كيف تصبح الحيـاةدون مغامرة أو هـدف عبثاواقعيا فظيعا لايحتمل ثم أضاف «ان السياسة الداخلية ليست من اختصاصى ، ولكننى مع ذلك أهتم بالاطفال وأشعر اننىأفهمهم لقد خانهم جيلى ، اننا الجيل الذى حطم كل القيم ، أن المتطرفين يمكن أن يظهروا الآن سواء من اليمين أو من اليسار وان يثيروا هستريا جماهيرية تماما كما حدث فى وقت هتلر ٠٠ كيف يمكننا أن نعيد بناء ما تحطم ؟ أن هذا لا يمكن أن يحل فى وقت قصير » ٠

وقفت السيارة أمام الفندق ٠٠ قال كيسنجر « لقد استمتعت بكل هذه الليلة ٠٠ متى ستنشرين مقالتك ؟ سيسعدنى أن اقرأها ٠٠ طبعا أنا لا أسألك أن ترسليها لى » ثم قال وهو يراقبنى من طرف عينه ممسكا بيدى : « هذه خواتم جميلة ٠٠ أوريجنال » ٠٠ كنت أرتدى خواتم ثقيلة سـوداء وبيضـاء وكانت موضة فى ذلك الوقت ودون أن أفكر قلت :

ـ هل تريد واحدا ٠

اننى متطيره ٠٠ وفكرت أن هذه ليست ليلة عادية واننىأحب أن يحتفظ هو بهدية غريبة ٠



بدأت أكتب مقالاتى ٠٠ واحتفظت بمقالتي « بروفيل لكيسنجر » الى النهاية كنت أريد أن أفكر ٠٠ اننى أعطى أهمية كبيرة لقـدرته عـلى الحـكم المستقل ٠٠ فربما لو كنت قد حصلت على معلومات أكثر عنه قبل أن ألقاه ولو لم أكن قد ملأت رأسي بالاحكام المسبقة ، لما شعرت بكل هـذا الغرور لاننى نجحت حيث فشل الآخرون ٠

ليست المسألة كم أو كتابة كثيرة ، ففى صفحات قليلة يجـب أن نعطى القارىء معلومات تمكنه ليس فقط من أن يعرف ٠ ويفهم ، ويتصور الشخص بل أن يكون قادرا أيضا على ادراك حدوده ومدى قدراته ٠ كتبت مسودتين ثم ثالثة ٠٠ وما زال هذا ضروريا فى بعض الاحيان بعد عشرين عاما من الخبرة ٠ وبعد أن فرغت من المقالة وكتبتها شعرت برغبة لا تقاوم فى أن أرسلها الى واشنطن ٠

لقد تعودت ألا أجعل الناس تقرأ مقالاتى قبل نشرها ٠٠ ولكن فى هذه المرة لم تكن المسألة مسألة « مقالة » فقد كنت أعرف اننى لن أتلقى تعليقا ، كنت أريد أن أحتفظ بالصداقة ٠

الامر الذى حسم ترددى هو ظهور مقالة طويلة عنه فى مجلة أمريكية

هامة فبعد أن قرأتها باهتمام وجدتها أقل كمالا من مقالتى الصغيرة الامر الذى حسم ترددى • انتهيت من الموضوع ووقعت المقالة « صحفية فرنسية مسكينة لا تطمع فى منافسة الصحف الامريكية الضخمة » •

واذا كان القارىء مهتما بأن يحكم بنفسه فهذا هو نص المقالة :

« انه أكثر الناس معرفة بالحقائق فى أمريكا ـ وربما ـ فى العالم ، انه حاصل على ثقة الرئيس ، دون أن يفقد علاقته بالوزارات الاخرى والبنتاجون ففى موقعه فى البيت الابيض الذى يشغله لمدة خمس عشرة ساعة كل يـوم حتى يوم الاحد ـ يقف أستاذ هارفارد القديم هنا حارسا ، يحاول أن يصنع أرضية جديدة لسياسة دولية جديدة ونظاما عالميا جديدا ، انه فى السادسة والاربعين ويملك سلطات وقوى واسعة وغير محددة سوف تشعر بها فى يوم ما فرنسا وجميع دول العالم • فى ١٩٣١ لم يكن هنرى كيسنجر سوى مهاجر يهودى ألمانى صغير هبط فى نيويورك بلا سند ولا مال ، وبعد ثلاثين سـنة أصبح الرجل الثانى فى أمريكا ، كيف أصبح هذا ممكنا ؟

عندما يلتقى رجل أوربى بكيسنجر فانهيشعر بأنه قد عرفه دائما ،ليس فقط لمظهره العام : ملابسه العادية ، وقامته القصيرة ، ولونه المائل للصفرة لون الرجال الذين يعيشون فى الغرف ، وجهه فى صلابة الصخر يحتمى خلف نظارة مربعة سميكة وصوته العميق الاجش ، وليس أيضا للكنته الالمانيـة الواضحة ، ولكنه التأثير العام الذىيخلفه ، الاثر القوى والبارد ، الذىيخترق المنظر الامريكى العام ، خليط من الحساسية ، والتأمل الشـاك ، وسرعة البديهة ، والحرارة الداخلية ، لا مبالاة ممزوجة بحساسية بالغة واحسـاس واضح بحدود النفس وتفردها ، اننا مع هذا الرجل نبدو بعيدين عن تكساس أو شيكاغو •

ان هذا الشخص الذى يبدو كطائر حزين بجبهته المنحدرة ، وأنفـه المعقوق ، وذقنه الثقيلة ، واذنيه الطويلتين وهيئته المتجهمة الشهوانية بعض الشىء يذكرنا بمستر . ك. فى قصة كافكا الشـهيرة (كافكا كاتب يهـودى المانى ، وروايته القلعة من أشهر روايات الادب العالمى الذى يتميز بالغموض ويرمز لبحث الانسان اللامجدى عن الحقيقة) ولكن لـكى لانخـدع أنفسـنا نقول أن دكتور هنرى كيسنجر قد وجد المفتاح للقلعة ، انه موجود فى مكانه الطبيعى ، الى حد أن الانسان يؤمن عندما يراه بالقدر والمصير ، وفى الحقيقة لقد تطلب وصـوله الى هـذا المكان وجود كل العناصر التالية : هتلر ،

والحرب ، والنزوع الامريكي لاستخدام قوى العقل ، وأخيرا الشخصية المتماسكة لبطلنا الذى استطاع أن يتحول من شاب في الثمانية عشر كان يحلم بأن يكون صاحب مكتبة الى أكبر خبراء السياسة العالمية .

●

عندما هربت عائلة كيسنجر من بافاريا حاملة معها ممتلكات قليلة ، كان هنرى يحمل تصورا مشوها للعالم .

لقد كانت أحلام طفولته ومشاعره محبوسة فى .. والده ، وكان والده مدرسا فى مدرسة ثانوية فرضت عليه البطالة ، وفى نورمبرج كان شباب هتلر يستعرضون أمامه ويغنون ويمشون مشية الاوزة .

وكان لامريكا على هنرى واخيه الاصغر والتر اثر الصدمة الكهربائية فبعد أربع سنوات من وصولهم القى بهم فى المشاة ودخلوا الحرب وحصلوا على الجنسية الامريكية .

وسرعان ما استطاعت رغبة هنرى فى الصعود وطموحه ، وقدرته على النظام ومعرفته بالالمانية استطاعت كل هذه الاشياء ان تدفعه الى أعلى . وأخيرا وجد من يلاحظه ويهتم به .. وكان هذا الشخص اكاديميا صغيرا فى ذلك الوقت وهو الآن شخصية هامة فى البنتاجون لقد قال له « بعقلية سياسية كعقليتك يجب أن تدرس دراسة عليا » .

عندما بلغ الثانية والعشرين شارك الشاويش كيسنجر في ادارة كتيبة تستولى على ألمانيا ، لقد رأى العالم كله ينهار ، ان ميله الطبيعى للجانب المأساوى اعطاه احتقارا اصيلا للالهة الدنيوية وحاجته الى ان يبحث بنفسه عن طريقه الخاص وان لا يضع نفسه تحت حكم الظروف ، لقد زار مسقط رأسه نورث ، ومن هناك ارسل خطابا لاهله تتجلى فيه خصائص هنرى الكبير : شهوة عارمة للسلطة ، فضول فكرى وثقافى ، عواطف متحكم فيها ، احساس بالدراما واستفادة من الخبرة التفصيلية وأخيرا احترام للنظام . وانتهت الحرب وكيسنجر كابتن يقوم بتدريس تاريخ ألمانيا المعاصر لكبار ضباط الجيش الامريكى .

●

عندما نقارن مستشارالرئيس الحالى بسابقيه ، ماكجورج بوندى مستشار

كنيدى ، وولف رستو مساعد جونسون فان الانسان لا يمنع نفسه من أن يلاحظ أن كيسنجر قد تلاءم تلاءما تاما مع عمله ٠ فبالنسبة له لا يمكن أن يكون هناك توزع وتشتت فى الاهتمامات ٠ انه رجل يحمل فكرة ثابته ٠ ليس له هوايات ولا اهتمامات الى جانب مسئوليته التاريخية وقد كان طلاقه فى سنة ١٩٤٩ مأساة يمكن التنبؤ بها ، مأساة الضغط على الحياة الشخصية وتضحية أخيرة تسبق التفرغ الكامل ، وبهذا المعنى فان ماضى كيسنجر العسكرى وخبرته فى عمليات تموين وامداد الجنود فى العمليات العسكرية خبرة جديرة بالالتفات ٠

●

ان كيسنجر نفسه يقول أنه ليس مع العسكرية ولا ضدها ولكنه على عكس أغلب المثقفين يملك قدرات خاصة هى خليط من الغموض والسرية ، والرغبة الدائبة فى الحركة والنظام العقلى ٠٠ كل هذا ساعده على فهم الروح العسكرية فهما جيدا ، وان يكشف عن أهمية الدور الذى يلعبه الدفاع فى العالم الحديث والمشاكل التى تثيرها الاسلحة الحديثة ٠ فقد كان كتابه الاول بعنوان « الاسلحة الذرية والسياسة الخارجية » ان كيسنجر يتمتع بمنطق أكاديمى ، وذكاء تحليلى وتصميم شبه دينى كذلك الذى يتمتع به الصليبيون ان هذه المتناقضات مجتمعة تسمح بفهم علاقته الحسنة مع كل من رجال وزارة الخارجية ورجال البنتاجون ٠

يقول بعض زملائه في هارفارد : أن هنرى طموح قبل أى شىء آخر ٠ لكى يصل الى السلطة غير آراءه تغييرا أساسيا وتحالف مع نيكسون الذى كان ينتقده لسنوات طويلة ٠ ويتساءلون بنبرة شك واعتراض ٠٠ من هو كيسنجر الآن ٠ وفى الحقيقة ، ان نظرة فاحصة لتاريخ كيسنجر تجعلنا نتأكد أن حياته كمؤرخ بدأت في هارفارد ، عندما حصل على منحة دراسية هناك عام ١٩٤٧ ٠ من هذه اللحظة ونتيجة للاستقرار المادى والنفسى الذى حصل عليه أخيرا ، وكنتيجة للمعلومات العزيزة التى استطاع تحصيلها ولاعجاب أساتذته به ، من هذه اللحظة ترك كيسنجر لشخصيته العنان ٠

« اننى فى حاجة الى أن اشعر أن ما اقوم به له تأثير واهمية » ٠ انه يردد هذا فى فخر ٠ لقد كان مختلفا عن زملائه باصله ونشأته وصار مختلفا عنهم بارادته وطموحه ٠ وكان استمرار الحياة فى هارفارد يمكن أن يقوده الى مرتبة الاستاذ بعد ثمانى سنوات اذا استطاع الحصول على رضا الاستاذة جميعا ، ولم يستطع هذا المتجنس الاجنبى ان يحتمل هذا ٠ فقد كان يريد ان يصبح

منتجا ومفيدا ليستعيض عن غياب اصله بطموحه وسمعته التى يستحقها بعمله المتصل ٠

●

وبدلا من أن يتفرغ للتدريس والبحث فقد دخل فى خلافات مع كل من روبرت بوى مدير معهد الدراسات الدولية ومع ماكجورج بوندى عميد الكلية فى ذلك الوقت ٠ وهما الاثنان من اورستقراطية بوسطن الصميمة ، وكتب أول بحث له الى مجلس العلاقات الخارجية ٠ وكانت هذه المحاولة ضربة معلم فلمدة عشر سنوات اسهم تفكير كيسنجر فى تشكيل وفى التأثير على صانعى الاستراتيجية العسكرية وكمؤرخ يبحث فى فلسفة التاريخ أخذ كيسنجر يبحث كل فروض واحتمالات الحرب الذرية واعلن نفسه مشايعا ومؤيدا للحرب الذرية المحدودة ٠ولكن كيسنجر يقول الان وهو بادى الاسف :« لانك تنبىء بشىء ما ، فان الناس يظنون انك تحبه أو تؤيده » ٠

فى كتبه الخمسة ومقالاته العديدة استطاع أن يؤكد نفسه كخبير ليس فقط فى نظر الناس ولكن ايضا فى نظر نفسه ٠ وهو الآن الى جانب كل وظائفة مستشار البنتاجون ٠ وقد نوقشت أفكاره بوساطة ايزنهاور وكنيدى وجونسون ونيكسون روكفلر الذى عمل معه كمساعد (أن كيسنجر يحترم الى حد كبير شخصية روكفلر القوية الحساسة ، ويحترم فى كنيدى أبحاثه وعاطفته ويقول عنه انه شبح سافنورلا ٠ أما فى أوربا فهو يحترم اديناور ، وان كان يقف الى جانب قضية ديجول فى أمريكا انه يحب فى ديجول رؤيته التراجيدية للتاريخ واهتمامه الدائم بالمستقبل ٠

المهم أن كيسنجر قد ضاق بالوجود فى الاطراف ، لقد اصبحت السياسة الخارجية هى موضوعه الوحيد ٠ وسافر كثيرا (اليابان ٠ الهند ٠ الاتحاد السوفييتى ٠ فيتنام ٠ وكل أوربا) وقابل هناك القادة والزعماء ٠ وادار الحلقة الدراسية التى تنظمها هارفارد والتى حضرها شخصيات من جميع انحاء العالم ٠ لقد اصبحت له اتصالات واصبح يعرف حقيقة المشاكل واصبح يشعر بانه مستعد ٠ وكان له الى جانب هذا ثقة مطلقة فى وجهة نظره وفى الطريقة التى يجد بها العالم ٠ لقد اختلطت آراؤه مع تطلعاته ، لانه من اجل أن يحقق الاولى يجب ان يرضى الثانية ، أى انه اصبح من الضرورى بالنسبة له أن يحصل على السلطة ٠

انه لايملك اهتمامات شخصية على الاطلاق : «ان كل اعتبارات النجاح

أو المال لم تكن بقادرة على ان تدفعنى الى ان أصنع من نفسى شيئا أصيلا ،اننى بالتأكيد ساكون رجل اعمال فاشل . ان الذى يحركنى هو شعورى بقيمة الافكار التى انادى بها ، والامل فى ان اكون ذا اثر على المجتمع » .

أن هذا الشعور الذى يكاد يشبه عقدة النبوة دفعه الى الاقتناع بانه من الممكن أن يكون المخلص ، ليس فقط بالنسبة للدولة التى حصل على جنسيتها ولكن بالنسبة الى العالم ــ فقط ــ لوسمعوا الى ما يقول . وفى عام ١٩٦١ اثناء رئاسة كنيدى حاول أن يغزو البيت الابيض . ولكن حماسه المتدفق ، وايمانه المطلق بما يقول ، ولكنته الالمانية والغياب المطلق للاعتبار الاجتماعى عنده ، لم يجعل احدا هناك ياخذه مأخذ الجد . واستقال عقب اختلاف على السياسة الاوربية (كان يؤيد استقلال فرنسا كقوة نووية ولم يوافق على موقف كنيدى) واعتزل فى هارفارد بعيدا عن السلطة ، واحس هناك بتعاسة بالغة . أن كيسنجر واحد من تلك المخلوقات القادرة على الانعزال التام ولكن الخاضعة فى نفس الوقت لفكرة مسيطرة واحدة .

بدون هذه المقدمة الطويلة لن يكون من السهل فهم التحالف بين نيكسون وكيسنجر . ففى عام ١٩٦٨ قرر استاذ هارفارد الذى يؤمن بالقدر وبأفكار نيلسون روكفلر أن يدخل الحملة الانتخابية الى جانب روكفلر ، وعمل مع محافظ نيويورك كمستشار للسياسة الخارجية . ركب قطار المحافظ الذى دار على كل امريكا ، يكتب له الخطب ، ويقترب معه من البيت الابيض . ولكن روكفلر سقط . فهل يتراجع كيسنجر الآن الى الجامعة ؟ أن الخط العنيف الذى اتخذه كيسنجر فيما يتعلق بفيتنام كان دائما يساء تفسيره . أن كثيرا من زملائه يعاملونه على انه صقر . وفى مقال هام كتبه فى مجلة « الشئون الخارجية » انتقد كيسنجر بشدة سياسة امريكا فى فيتنام واقترح خطة للتفاوض . واقترح نيكسون أن يأتى الرجل الى البيت الابيض ليضع خطته موضع التنفيذ . ورفض كيسنجر فى بادىء الامر . وكاغلب مثقفى الشاطىء الشرقى ، لم يكن يحمل فى نفسه ثقة كافية فى السياسى القادم من كاليفورنيا الذى يشيع منه الدهاء . لم يكن يصدق أن الرجل قادر على اتخاذ موقف خاص فى سياسته . ولكن بعد محادثات طويلة مع نيكسون وبعد ان نصحه روكفلر بان يقبل ، سافر الاستاذ الى واشنطون .

●

ان الشىء المشترك الهام الذى جمع بين نيكسون وكيسنجر هو انهما بعد أن وصلا الى تحقيق طموحهما لم يعودا بعد ذلك الى ما كانا من

قبل ٠٠ لقد زال التوتر ٠ واختفت المتناقضات ، وتم التغلب على كل شيء ٠ وقد كان هذا التحول فى حالة كيسنجر غريبا وفريدا ٠

ولولا حرب فيتنام ٠ التى تتطلب منه جهدا يوميا خارقا ، والتى تجعله دائما تحت التهديد بالعزل والابعاد لكان كيسنجر الآن اسعد الرجال ٠ أن عمله الذى يتركب من ضرورة تعرفه ، ونقل معرفته هذه الى الرئيس ، تعرفه مباشرة وبسرعة على كل تفصيلة من تفاصيل الموقف السياسى والاختيارات المتضمنة فيه ، وتقديم تحليل دقيق وعلمى لكل تغيير يطرا على الموقف ٠٠ أن هذا العمل هو بالضبط مايريده ٠ لقد طلب واختار بنفسه فريقا من ثلاثين خبيرا ٠ اكثر البرقيات سرية ، واكثر الرسائل حساسية تمر بين يدية انه يتابع باهتمام خاص الاحداث فى فيتنام ، التغييرات الاساسية التى يمكن أن تقود الى سلام مستقر ، ويهتم بدراسة الاحداث الداخلية والمشاكل المحلية التى تؤثر على الاوضاع الدولية ، ويهتم بشكل خاص بكل المحادثات التى تؤثر على تحديد الاسلحة ٠ ولكنه فى نفس الوقت يهتم بكل اجزاء العالم مهما بدا صغيرا ٠ انه يدرس تأثير السياسة الخارجية على الاستراتيجية الامريكية للسنوات العشر القادمة ٠ ومايتطلبه ذلك من نفقات دفاع ٠ انه يراقب تنفيذ القرارات ٠ يعرف المسئولين بالاسئلة والاستفسارات ، ويعتصر مقترحاتهم وطلباتهم ويحاول ان ينسق بين حركة اجهزة الدولة المتشعبة (انه يهتم اهتماما شخصيا بمشكلة البيروقراطية ، وهو يقول ان البيروقراطية قد اصبحت هى المشكلة الرئيسية بعد أن كانت وسائل الانتاج هى مشكلة القرن التاسع عشر) ٠

وهو كذلك يستقبل سيلا لا ينقطع من الزوار ، دبلوماسيين ، اعضاء مجلس الشيوخ ، علماء ، صحفيين ٠ ومن خلاله استطاع نيكسون ان يقيم حوارا مع جميع المثقفين ابتداء من اللبراليين الى المحافظين ٠

الى أى مدى يأخذ الرئيس بنصائح مستشاره ، وماهو النفوذ الحقيقى لكيسنجر ٠ لقد لعب دورا اساسيا فى زيارة نيكسون الاولى لاوربا عقب انتخابه ، وفى الاحداث اليومية لحرب فيتنام ، وفى الانسحاب التدريجى للجيوش الامريكية من هناك ، وفى انشاء شبكة دفاعية ضد الهجوم الصاورخى وفى مشكلة طائرة التجسس التى اسقطت فى كوريا الشمالية عام ١٩٦٩ ٠ أن كيسنجر ليس صديقا شخصيا لنيكسون مثل روجرز وليرد وجنرال ميتشيل ٠ فلقد تقابل الرجلان ثلاث مرات فقط لفترات قصيرة قبل أن يعملا معا ٠ ولكن نيكسون وان لم يكن مثقفا فهو حاد الذكاء ، وهو لم يغفل لحظة

واحدة عن اهمية كيسنجر بالنسبة له وبالنسبة لوزارته المكونه من مثقفى الشاطىء الغربى ومن محاميى كاليفورنيا وممثلى الشركات ، مجموعة ضخمة من الرجال النهمين قصيرى النظر المهتمين اهتماما مطلقا بالمشاكل الداخلية ٠

●

أن كيسنجر يجتمع بالرئيس يوميا على انفراد لمدة ساعة ونصف ولقد استطاع الرئيس بالمنهج العلمى الذى يؤمن به ، وبحاجته الدائمة للمعلومات التى تحدد حركته ، وبسيطرته على عواطفه وطريقته الواضحة والصريحة فى وضع الاسئلة ٠٠ استطاع نيكسون بكل هذا ان يكتسب احترام استاذ هارفارد ٠

أما نيكسون فيقدر فى كيسنجر قدرته على التحليل ، وانتظام تفكيره ، وولاءه ، واخلاصه ، ومواقفه الموضوعية (على الرغم من انه متجنس فانه لا يلعب دور المتطرف الوطنى) انه يشبه نيكسون فى غموضه وتعقيده وحبه للنظام والدقة ٠

لقد وجد كيسنجر فى نيكسون تلميذا ومريدا لافكاره ، ووجد نيكسون فيه مستشارا ٠ وان الرجلين يتفقان على تجاهل التغييرات والافكار الغير عملية التى لايقبلها المجتمع ، انهما لايثقان فى التفاؤل المفرط وحسن النية اذا لم يكن مقرونا بالواقعية فى التعامل مع المشاكل ٠ انهما قد ادركا معا انه لامكان للابدية فى عصر الذرة ، وان المستقبل فى هذا العصر هو المستقبل القريب أو المتوسط ٠ وهما عندما يفسحان المجال للتغييرات السياسية والاجتماعية فانهما يريدان الاحتفاظ بتوازن القوى وأن يحافظا على ماهوجدير بالبقاء فى النظام القائم ٠

يقول كيسنجر « اننى يمكن ان اعتبر محافظا فى أوربا » ٠ وقد استقبل تعيينه فى أمريكا استقبالا حسنا ، وان كان كثيرون يتوقعون له أن ينتهى أسيرا للظروف المحيطة به ٠ ويقولون انه اما أن يتحول الى ضحية أو أن مطامحه سوف تقضى عليها الاعتبارات الانتخابية ٠

وبينما يحلم كيسنجر بان يترك آثارا عميقة ويحدث تغييرات جذرية فى مجريات السياسة الدولية ، فانه الآن وبفضل حالته الصحية الممتازه يتعلم الخفة والحياة الاجتماعية ٠ انه العازب صاحب السلطة الذى اصبح يحتل مكانا بارزا فى دعوات العشاء فى السفارات والمناسبات الاجتماعية ويقولأحد

الساخرين : « أن كيسنجر هو رمز الجنس فى الحكومة » وفى الحقيقة فان كيسنجر يحب النســـاء ويعتبرهن « اكثر حيوية وحرارة من الرجال » ومن الممكن أن يتصوره المرء وزيرا فى بلاط الملكة فكتوريا فى القرن الثامن عشر . وقد مكنه منصبه الجديد من اكتشاف عالم السينما والممثلات والمشـــاهير . انهن استطعن أن يرضين غروره ولكنهن لم يستولين على عقله ».

●

وأنا أقرأ المقالة التى كتبتها عن كيسنجر كنت ادرك الثقـــل والجدية الالمانية التى يتميز بها ، أن شخصا ما يمكن أن يقول « ولكن كم هو ممل أن يختلط الانسان برجل كهذا » . ان كيسنجر ليس مملا على الاطلاق . وكان هذا سببا رئيسيا فى اننى كنت احترق شوقا لكى أرسل له المقالة ، لكى أقول له فى بساطة . اننى لم أنساك .

وهو ـ أمازال يفكر فى ؟





ارسلت خطابى الى البيت الابيض يوم الكريسماس . وفى فترة الاجازات لم اكن أتوقع ردا . ولكن بعد عشرة ايام رأيت فى الصندوق خطابا أبيض عليه الختم الامريكى وفى الركن الايسر اسم المرسل « البيت الابيض » مطبوعا باللون الازرق . واذا لم تكن دبلوماسيا أو شخصية عامة مشهورة فان مثل هذا الخطاب قد يجعلك فرحا كطفل يتلقى هدية . اخذت اقلب الخطاب وفتحته لاجد فى الداخل ورقة بيضاء مكتوبة بالالة الكاتبة وعليها اسم البيت الابيض .

٥ يناير سنة ١٩٧٠ .

عزيزتى دانيل :

شكرا جزيلا على خطابك ، وعلى النسخة التى ارسلتيها من مقالك ، لقد استمتعت حقا بالحديث معك ، واحب أن أقول لك اننى وجدت فيك واحدة من اكثر الصحفيين الذين التقيت بهم حساسية وقدرة على الفهم . آمل أن تجعلينى أعرف بوصولك الى واشنطون فى المرة القادمة »

كان الخطاب يحمل توقيع هنرى . كنت قد صدرت خطابى باسم دكتور كيسنجر ، ولكن الرد كان يحمل اسمى الاول . اعرف أن هذه عادة أمريكية وانك بعد التعارف تستطيع أن تنادى الشخص باسمه الاول . ولكن على الرغم

من هذا ، وفى هذه الحالة بالذات ونظرا لمكانة المرســل لم يكن من الضرورى استعمال الاسم الاول ٠

ان لقائى مع كيسنجر قد ترك مايشبه الصدمة فكل لقاءاتى مع الاساتذة فى برنستون ، وباركلى وهارفارد وفى باريس ٠ وكل لقاءاتى مع رجال الدولة والمسئولين فى الحكومات لم تترك فى مثل هذا الاثر العنيف الذى لايمحى ٠ لقد كان استاذا ورجل دولة ٠ ولكن هذا لم يكن السبب ، لقد كان هناك شىء ما فى شخصيته أو ربما فى شخصيتى أنا ٠

وأنا أقرأ الخطاب الذى أرسله من نورث مسقط رأسه الى والده أثناء الحرب فوجئت مفاجأة سارة ٠ لقد تمنيت أن أكون أنا كاتبة هذا الخطاب ٠ الآن وهو فى السادسة والاربعين يبدو هذا الرجل وكانه شقيق الشاويش الذى كتب هذا الخطاب وهو فى الثانية والعشرين ٠ لم يكن هناك اختلاف ٠ لقد حافظ على نفسه حتى وهو فى قمة الجبل الذى ارتقاه ٠

وما ان ادركت هذا ، حتى فهمت بشكل ادق ما كان يقلقنى ٠ لقد كنت ابحث عن طريقة لكى احتفظ بها بالعلاقة مع هذا الرجل الذى يقع على النقيض من نفسى ٠ لاننى لم اكن شيئا وهو كان فى القمة ٠

لو كنت استطعت ان القاه وهو فى هارفارد ينظم حلقة البحث لكان الباقى سهلا ٠ أما الآن ، وهو قد قال لى مرة ان اغلب النساء تجذبهن السلطة وان هناك علاقة مباشرة بين السلطة والجنس ٠٠ فانه حتى لو نشأت علاقة

فلابد أن تنمو أو تزول ٠ الى جانب اننى لا املك الصبر على الانتظار ٠ ولكننى قلت لنفسى : ساعدى نفسك وسوف تساعدنى السماء ولكن كيف أساعد نفسى ٠

وللمرة الثانية ارسلت مقالة اخرى الى البيت الابيض واشرت الى انها نشرت فى مجلة «الهاربر» وكانت تتكون من اكثر من ١١ ألف كلمة ٠ تتحدث عن فشلى ونجاحى مع رجال مشاهير امثال : سالازار ، دوبشيك ، ملك المغرب جنرال جياب ، مكنمارا ٠ وتكلمت ايضا عن شخصيات اخرى : علماء ذرة ، أطباء صينيين ، رهبان بوذيين ، سائقى عربات نقل أمريكيين ٠٠ وأنهيتها بمعالجة موضوع الجنس عند الامريكيين ٠

وعندما أعيد النظر فى هذه المقاله أرى انها مفتعلة بعض الشىء ولكنها على اية حال تؤكد اننى لست غارقة فى الجدية ٠

فى الخطاب الذى كتبته فى ٢٠ يناير استعملت اسم كيسنجر الأول مادام هو قد بدا هذا · واعترف انه قد أقلقنى أن أستعمل كلمة عزيزى هنرى فى راس الخطاب .

وبعد أقل من خمسة عشر يومـــا ظهر مرة اخرى خطـــاب ابيض من البيت الابيض . وشـــكرنى فيه على المقالة قائلا ان قراءته قد ســـلته الى حـــــد بعيــــد .

لو كنت أعيش فى الولايات المتحدة لساعدت الاحاديث التليفونية ، والعشـــاء من وقت لآخر فى تدعيم صداقته وعلى ارضاء فضـــولى · كنت قد تعودت أن ارى الرجال دون أن اقلق على غيابهم . أمـــا الآن فانا أعيش فى باريس وهو يعيش فى البيت الابيض فلا فرصة لكى يرى أحدنا الآخر الا بعبور الاطلنطى .

● الرغبة مصدر الالهام :

كانت عناوين الجرائد فى هذا الوقت مشغولة بالزيارة المرتقبة لمســـتر بومبيدو لواشنطن فهى كانت تعتبر نقطة تحول فى العلاقات الامريكية الفرنسية وهى العلاقات التى كانت فى تدهور مستمر خلال السنوات الاخيرة من حـــكم ديجول .. فعندما كنت فى سانت لويس أقوم بتصوير فيلم عن العلاقات بين البيض والسود فى امريكا كانت النساء تلقى بالعطور والخمور الفرنسية فى المجارى .

ان فكرة أن يمضى مستر بومبيدو وحاشيته ساعات طويلة من النقاش والحوار مع كيسنجر الذى لايعرفونه والذى لايفهمونه ، بينما أنا صديقته ، محبوسة هنا فى باريس أزعجتنى هذه الفكرة ولم تكن محتملة ·· وظهر الحل كالبرق فى خاطرى ·· حقا ان الرغبة هى مصدر الالهام ·

اتصلت تليفونيا ببيير ديسجروبى مدير تحرير الاخبار فى القناة الاولى فى التليفزيون الفرنسى كنت أعرفه من سنوات وكنت قد قدمت صورة له قريبا فى « الحقائق » ، « مارأيك فى أن أغطى أنا زيارة بومبيدو للولايات المتحدة » عندى لك مادة محترمة عن البيت الابيض وعن نيكســـون . فقال لا . قلت مارأيك فى بروفيل لهنرى كيسنجر · فسأل : من هو ؟ فقلت الرجل الثانى بعد نيكسون . معلومات لا حد لها ونفوذ خارق .

ـــ هل تعتقدين أن هذا يهم الفرنسيين ؟

ولانه اراد ان يكون متعاونا ، وربما لانه صحفى جيد . احـــالنى على الرجل الذى يدير برنامج « بنوراما » المجلة التليفزيونية الاسبوعية للاخبار . اوليفرتود كان صاحب معرفة بالحياة الانجلو سكسونية أكثر من رئيســـه ، وصاحب اتجاهات يسارية ملموسة . شاب متحمس وعدوانى . وأبدى اهتمامه بموضوع شامل عن البيت الابيض ، ولكنه أبدى شكوكه فى امكانية الحصول عليه قلت : « أترك هذا لى » وتوجهت الى « التلكس » واذا كنت غالبا ماآخذ رغباتى على انها حقـائق ، فاننى أفعل ذلك لان الواقـــع غالبـا ما يشبع رغباتى . ووجهت الرسـالة التالية بالانجليزية الى هنرى كيسنجر :

« أرجو موافقتك على عرض التليفزيون الفرنسى لتقـــديم بروفيل عن هنرى كيسنجر . زيارة بومبيدو تضمن اهتمام الناس . مسئوليتى كاملة عن التنفيذ بأسرع مايمكن أرجو أرسال موافقتك تلغرافيا . تناقش التفاصـــيل فى ١٧ فبراير فى واشنطون . ووقعت التلغراف « دانيل أونبيل » .

● **عرض يرضى غروره :**

لقد احسست أن العرض سوف يرضى غرور كيسنجر ، وانه لن يمانع فى ان يرانى مرة اخرى . وكان تحديد موعد قريب كهذا « أرسلت التلكس فى ١٠ فبراير » يجعل المسألة تبدو وكأنها مسلم بها . ويجعل من رفض هـــذا العرض تعريضا لصداقتنا الناشئة للضياع . ومن اجل ماذا ؟

وتصورت انه سوف يأخذ العرض والافكار المتضمنة فيه ويعرضه على نونى لايك والجنرال هيج ، وانني سوف أجد فيهما مؤيدين لى فهما يشعران بضعف تجاهى . ثم أن لهجة الرسالة المحددة والسريعة التى تعرض عرضا محددا ومغامرة محسوبة سوف توافق مزاج كيسنجر الـــذى لا يواجه الان ازمة حادة ، والذى يشعر بحاجة لتثبيت مكانته .

فى هذه المرة توقعت وانتظرت الرد ، لقد استولت على الفكرة . ان تضع المهنة التى تحبها فى خدمة انسان تقدره ويثير تمكيرك ، وتريد ان تراه مرة اخرى . . ان كل هذا كان يشكل رغبة لا يمكن اخفاؤها ونظرا لفـــــروق التوقيت ولساعات العمل فى البيت الابيض وصلنى الرد فى ساعة الغداء بدلا من ان يصل فى الفجر واذكر اننى كنت قد دعوت ضـــيوفا الى البيت ، وان سعادتى بدت غامرة حتى أننى لم استطع اخفاء محتوى البرقية التى كانت تقول :

« أوافق على عرضــك من ناحيــة المبـدأ .عـلى أن نناقــش الشـــكل والموضوع . أطيب تمنياتي . هنرى كيسنجر » .

فى الايام الخمسة المتبقية قبل السفر كنت اشـــــعر بأننى تحت تأثير كهربائى . ان الحياة تبدو وكأن لها معنى فى الاوقات التى تخلو حقيقـــة من المعنى . أنا الذى أريد دائما أن أحقق أكثر ، أنا الذى أشعر بألم حقيقى عندما لا أكون قادرة على تحقيق شيء حقيقى ، أمضيت الايام الخمسة فى حالة رضى حقيقى وكأننى تعاطيت حقنة هورين . كم هو حقيقى أن الحركة هى المخدر الوحيد لبعض الناس .

● حقائبى دائما خفيفة :

عندما اسافر فى رحلة فاننى آخذ معى اخف حقائب ممكنة . حقيبة يـــد وحقيبه أخرى صـــــغيرة بها أخف الملابس وأقلهـــا ازعاجـا . ان عشرين عاما من التجول فى العالم قد علمتنى كثيرا . أما فى هذه المرة فان زيـــارة بومبيدو التى سوف تقتضى بالتأكيد مزيدا من الحفلات الرسمية حيث سيكون على أن أقوم بالتصوير ، واحساسى بأن هنرى الذى لايعتنى بملابسه يهتـم بمراقبة ملابس النساء اللائى يكن فى صحبته . لذلك استعرت من صديقة فستان سهرة ــ تحفة باريسية ــ الجزء الاعلى رمادى فاتح برقبة والجونلة سوداء يبدو أنيقا ولكن ليس مفتعلا أو مبالغا فيه .

وصلت الى نيويورك يوم الاثنين ١٦ فبراير . لم انزل واشنطن مباشرة كى أرى بعض الاصدقاء ، وأزور الكوافير المعهود « للسيدات الجادات بعض هذه التفاهات » ثم أن أحاول الاتصال بهنرى عن بعد قبل اللقاء .

نزلت فى فندق « وستبسرى » فى شارع ماديسون وفى حوالى السادسة بعد الظهر اتصلت بهنرى . وتركت اسمى مع السكرتيرة ، وبعد عشر دقائق كان هنرى على التليفون . كان رجلا آخـــــر ، سعيدا ، مرتاحا ، صغيرا . ومستعدا ــ كما قال ــ أن يعمل أى شيء يرضينى .

فى لهجة متسرعة مرحة تبادلنا بعـض المجامـلات ، وانقطعت المكالمة باتصال مع الرئيس ، تركنى هنرى ، واتصل مرة اخرى بعد خمس دقائق . بعد أن انتهى من نيكسون بسرعة ، سوف أكون تحت أمرك ، عبدك يادانيل سوف أفعل بالضبط ما تأمريننى به » قال فى مرح وفرح حتى حسبته تلميذا صغيرا .

طلبت منه ان نلتقى اولا حتى نستطيع ان نرتب خطوات التصوير لان الفريق الذى يعمل معى « اثنان سويسريان : مصور ومهندس صـــوت » والفيلم يتم انتاجه فى اطـــار الانتاج المشترك بـــــين التليفزيون السويسرى

والتليفزيون الفرنسى . هذا الفريق يصل غدا صباحا . فدعانى هنرى للعشاء « تعالى حدينى من البيت الابيض فى الثامنة مساء » وكانت الاشياء تبدأ بداية جميلة .

● مضطرب عاطفيا ينقصه الامان :

فى صباح الغد نقلت نفسى الى فندق الشيراتون فى واشنطن حيث ينزل رجالى الذين أردت أن أبقى واحدة منهم . لم أستطع أن أنام كل ما استطعت أن أفعله اننى اخذت أراجع مذكراتى وأواصل التأمل فى تلك الشخصية غير العادية . قلت « انه لا يهتم بالناس ، الا هؤلاء الذين يعملون معه ، وعدد محدود آخر . انه مهتم بالافكار ، بالفلسفة ، بالتاريخ .. أن انتباهه مركز على داخله ، مضطرب عاطفيا ، ينقصه الامان وهو طفل .. ونحن نسير مرة سألته الست فى حاجة الى حارس شخصى يحميك فأجاب « وكان هذا فى نهاية ١٩٦٩ » لا .. لا — اننى أجد هذا غريبا » انه يريد أن يحافظ على مسافة بينه وبين السلطة المباشرة .. انه يحب السلطة ، وهو سعيد فىمكانه هذا ولكنه فى نفس الوقت يخشى أن يضيع فى وسطها .. انه يعرف كيف يتحمل مسئولياته ، انه كمثقف يتفرد بأنه قادر دائما على أن يظل ملامسا للواقع .. انه فى نفس الوقت عادى .. وفريد . انه رجل يحمل رأس ثور ، انه سرى ، ومتوحد ، وقوى مثل نيكسون : انهما ثنائى ممتاز انه يحب أن يضرب الناس بعضهم ببعض ويجعلهم يلعبون لعبة القط والفأر . انه يتكلم ويتكلم ثم تكتشف فى النهاية أن شيئا لم يتسرب منه سوى ما أراد فقط أن يقوله . انه ماكر . يمشى بثقل وقدماه فىالارض . أية آلة هى عقله هذا ؟ تأتى الفكرة وكآلة تصوير يضغط على زرها وتغلق الفتحة وتحسب البدايات والنهايات انه يستعمل كلمة « ارتباط » كثيرا ، ويحب وصف « حاد وكثيف » أما بطله فهو ميكيافيلى « مثل ديجول » انه هو الاخر مثل نيكسون له فك أكلى اللحوم مثل الكلب البولدوج . انه يحب أن يهب نفسه كليا كالنساء ، انه ليس حقودا أو وضيعا ولكنه غيور يحتفظ بغيرته لنفسه ، ولا يورط نفسه بسهولة . وخلفه كل الأحزان اليهودية القديمة . انه ليس رقيقا ولكنه عاطفى . انه صاحب كبرياء عظيم .. الناس هى التى تبحث عنه . أما هو فلايطلب شيئا أبدا ، قفاه من الخلف محلوق حلاقة المانية قديمة ، نصف راهب ، نصف جندى .

● فخ منصوب دائما :

فى هارفارد كان معزولا ، مبعدا ، وكان يعانى ، أن له ثأرا قديما هناك

أنه لا يقبل أن يحتكره أحد ، هو الذى يحتكر . بالقرب منه يشعر الانسان دائما أنه يقترب من فكى فخ يكاد ينطبق عليه « فى مذكراتى رجعت الى فكرة الفخ هذه مرات كثيرة » ويمكن أن تتصوره فى فرنسا يعمل أستاذا فى جامعة عسكرية أو معهد تكنيكى أكثر مما يمكن أن يكون فى السوربون . وهو يهتم اهتماما هائلا بنفسه ، وبما يقوله عنه الناس .

وختمت هذهالصورة السريعة بكلمة صريحة واحدة « ان مشكلة كيسنجر الاساسية هى كيسنجر نفسه » .

كان على أن ألقاه بعد دقائق ، هذا الرجل الذى شغلنى ، والذى أثار الاضطراب فى نفسى بعد أن تركته بسبعين يوما وكنت مازال تحت تأثير قوته .

قررت أن ارتدى الاسود مرة أخرى لانه قال لى فى المرة الاخيرة « أمازلت ترتدين الاسود » فوجدت العناد طريفا . ارتديت واحدة من بدلى السوداء العادية التى تجعلنى أكثر نحافة وأكثر طولا .. وكنت أتوقع ليلة باهرة .

عندما وصلت الى البيت الابيض ، لم يكن هنرى موجودا . لقد كان ينتظرنى فى البيت . كانت العربة تنتظر لكى تحملنى الى هناك . وتذكرت أن والدته قد سألتنى عندما التقينا « هل دعاك هنرى الى منزله » وكأن هذه الدعوة تكشف عن حدود علاقتنا واحسست بسعادة لانه سمح لى بعبور هذه الحدود .

كان البيت الصغير الذى أستأجره هنرى ، يقع تحت أشجار كبيرة فى شارع صغير ، حيث تقع سبعة او ثمانية بيوت انجليزية الطراز ذات واجهات مكسوه بالطوب الاحمر . كان يبدو رشيقا وهادئا . صعدت السلالم بسرعة وضربت الجرس فى رقم ٢٥٢٧ . ومضت عدة دقائق . وأسرع السائق بعدى لكى يدق هو الجرس . ثم فتح هنرى الباب ، وبدون أن ينظر الى قال فى ود ظاهر « دانيل .. كم هو جميل أن أراك ثانية .. اصعدى الى أعلى » وأشار الى الطريق وصعدت السلم المفروش بالسجاد الى الطابق الاعلى .





كنت قد زرت بيوتا كثيرة من هذا الطراز فى انجلترا ، وعرفت انهـــا يمكن أن تكون رائعة وجميلة . لذلك فقد هالنى فراغ هذا البيت وقبحه . كتبه ، كتابين أو ثلاثة ، وتليفون على حامل فى غرفة استقبال ركبت بسرعة وكأنها حجرة انتظار فى عيادة طبيب أسنان . واستدار هنرى ليتـوجه الى غرفة مجاورة تبدو أصغر من هذه وقال لى بسرعة « ان على أن أنتهى من شىء فى يدى ، هل تستطيعين الانتظار لدقائق ، كان فى الحجرة التى قصـــدها مكتب خال وبعض المقاعد . ولان المكتب كان خاليا ولم يكن عليه ولا ورقة واحدة تصورت أنه كان مضطربا وأراد أن يتمالك نفسه . وبدلا من ان اقول نكته لكى أكسر بها الجليد ، جلست على الارض على نهاية السلالم وتصفحت دون أن أرى شيئا فى كتاب لتولوز لوتريك » .

كان يبدو وكأن الموقف المحرج سـوف يستمر الى الابد ـ نهضـت واتجهت الى الحجرة ، فوجدت هنرى جالسا على المكتب وقد عقد يديه عـلى صدره ، وجلس يفكر . وعلى يمينه بار صغير عليه بعض زجاجات ومجموعة من الصور التى تحمـل توقيعات : نيلسـون روكفلر ، هارولد ويلسـون ، اديناور ، هنرى مع جونسون ، هنرى مع ترومان كابوت ... الخ .
« لقد جئت لك بهدية من باريس » قلت فى صوت هادىء لكى أخرجه

من أفكاره ، وفعلا خرج ٠٠ وغادر مكتبه وجاء نيتكلم معي وانتهت الازمة ٠

أعجبته الكرافته ، التى اشتريتها من «لاتفين» واخترتها بعناية ولكن بتردد أيضا ٠ فرباط العنق الملون الذى كان يرتديه وقتها كان يشهد بأنه لا يختار ملابسه بعناية وانه لا يهتم بالاشياء الخارجية (وهو شيء لم يعد حقيقيا الآن) لذلكخشيت أن اختار كارفته انيقه قد لا تلائم أيا من ملابسه ٠ لذلك اخترت كارفته ملونه ولكن كلاسيكية ، واعتمدت على انه قد يحب أن يلبس الكرافته التى أهديتها له ٠ وبجديه سألنى :

ـ ما لون البدلة التى أرتديها مع هذه الكرافته ٠

وكان أهتمامه والجديه التى يأخذ بها هذه التفاصيل لا تقاوم لذلك تجن به النساء ٠ انهنيشعرن ان لهن دورا يلعبنه ٠ ربت على شعرىوأمسك بى قريبا منه ، طريقه طبيعية لشكرى ، ثم قال انه قد حجز مائدة ، وان الوقت متأخر ، وان علينا أن نذهب ٠

وحدث بعد ذلك مشهد ٠٠ ربما لم يكن أحد غيرى ليلحظة ، ولكنه لمس قلبى وبلور مشاعرى تجاهه ٠٠ كان السائق ينتظر بعربته أمام الباب ، وكان الجليد قد بدأ يتساقط خفيفا ٠ فشكر هنرى السائق ، واتجه الى عربته المرسيدس واخذ يمسح بقفازه الفرو مقدمة العربة الزجاجية فتذكرت أننى قلت له منذ شهرين « آلا تسوق بنفسك » لم أكن أعرف لماذا ، ولكن بدا وكأنه أخذ هذه الملاحظة وكأنها نقد ٠ انه فقط لم ينس هذه الملاحظة ولكنه أراد أن يرينى أنه يعرف كيف يسوق ٠

أن حساسية رجل كهذا مشغول الى هذا الحد بالمسئوليات قد أثرت فى أكثر من خطاب طويل ٠ وانا أدخل الى السيارة الى جواره أحسست أن هذا الرجل القصير الذى لوحته الشمس (قد كان عائدا لتوه من عطلة قضاها مع الرئيس فى فلوريدا) أحسست أن هذا الرجل ذا العظمة السائلة سوف يقودنى أبعد مما كنت أتصور ٠

كان الوقت متأخرا ، وكل المقاعد مشغولة فى مطعم « فاندوم » كان يبدو انهم لم يعودوا يتوقعوننا وبالبساطة التى يتميز بها الامريكيون ، وهنرى على وجه خاص ، وقفنا ننتظر معا أول منضدة ٠

وما أن جلسنا حتى قال : « الآن أشرحى لى مسألة التليفزيون هذه » ٠

والدليل على اننى القى بكل نفسى فى المشروع بكل الطبيعية والاخلاص التى أملك (أنا لا أعرف أبدا كيف أكذب) هو أننى لم أعتنى بصياغة

الحقائق صياغة فنية تقنعه وترضي غروره ولكننى قدمت الحقائق كما هى ٠ لقد كنت معجبه به ، وأحببت أن أراه ، وانتهزت أول فرصة سنحت لـكى أحقق ذلـك ٠

ـ ولكن من فكر فى هذا اللقاء ؟ أنت ؟ ٠
ـ نعم ، أنا نفسى ٠
ـ ومن الذى يدفع تكاليف الرحلة ؟
ـ التليفزيون الفرنسى ٠
ـ وكم تقبضين لقاء هذا العمل ؟

أجبت بأننى لا أفكر فى الكسب من وراء هـذا العمـل واننى طلبت خمسة آلاف فرنك ٠

قال وقد أحسست أن القيمة المنخفضة لما أتقاضاه قد أساءت اليه «انهم لايدفعون لك » ٠

ـ أننى أحتفظ بحقوقى فى التوزيع فى آمريكا ٠ قلت هـــذا وانا أشعر أن الاتجاه الذى يأخذه الحديث لا يعجبنى ٠

سأل : « كم سيستغرق هذا اللقاء ؟ » ٠

حاولت أن أقول له أن المسألة ليست مسألة لقاء صـــحفى ، ولكننى أفكر فى فيلم تسجيلى قصير ، واننى أقدر أننا سنبقى فى واشـنطن عشرة أيام ٠ قال فى صوت هادىء دافىء :

ـ أن واشنطن يمكن أن تكون مكانا مملا للغاية ، ماذا ستفعلين لمدة عشرة أيام فى واشنطن ٠
فقلت أننى قد أحضرت مكتبتى كلها معى ٠

● شهادة أعجاب من فتاة ظريفة :

وهو يطلب الطعام (هنرى لا يعطى هذه المسألة أهمية كبيرة ، فهـو يأكل لكى يأكل) بدالى انه يتعود على الموقف ويدرك حدود الموضوع ٠ أن الفيلم ليس عملية تقرير رسمية تقوم بها الحكومة الفرنسية أو مقر الايلزيه كما تصور من قبل ٠ ولكنه فى الحقيقة شهادة أعجاب تقدمها فتـاة ظريفة وليست غبية على أية حال ، فتاة تضع خبرتها المهنية فى خدمته ٠

سألنى : هل تعرفين بومبيدو شخصيا ، أو شابان دلماس ؟

وكأنه يريد أن يعرف الى أى مدى يمكن أن أكون مفيدة له . فأجبته بأننى لم أقابل بومبيدو أبدا ، واننى تناولت العشاء مرة واحدة مع دالماس فى بيت صديق ، واننى عمدا أتجنب الاختلاط بالرسميين أو الاتصال بهم .
كان هذا صحيحا ، ولكننى ندمت عليه للمرة الاولى ، ثم تكلمنا بعد ذلك عن عدد من الوزراء ، وكبار المسئولين الذين أعرفهم وكان بيننا اتفاق تام فى رأينا فيهم جميعا . قلت وانا أحاول العودة الى مشروعى :

ــ أن ما أريد أن أعرضه فى هذا الفيلم .. هو أنت ، الرجل الممتاز الفريد .. الذى لا يعرفه الناس جيدا بعد وبما ان الفيلم سيقدم للتليفزيون الفرنسى فهل توافق على أن نتكلم بالفرنسية ؟

ــ ليس أمام ناس متحضرين .

وبدأنا ببحث قائمة أصدقائه من الذين يتكلمون الفرنسية . كان هناك أستانلى هوفمان استاذ العلوم السياسية فى هارفارد وفى كامبردج استيفن جروبارد وديفيد لاندز . ثم نيلسون روكفلر وأيليوت وتشرتسون المساعد الاول لروجرز ، وتشارلز أوست السفير الفرنسى ، وكاترين فريمان زوجة السفير البريطانى ، وبعض الصحفيين ، وجوانسوب وفيليب جيلان .

وبدأ هنرى يكتب هذه الاسماء التى كان بعض منها جديدا على . واقتربت مما يكتبه لكى أراقب خط يده ، الذى كان قد أثارنى من قبل عندما شاهدت الخطاب الذى أرسله الى والده من المانيا ، انه خط مثقفين ، مائل قليلا ولكنه متدفق ورشيق . ويمكن ان تقرأ فى خط اليد ، الاستمرارية ، والارادة القوية وان تقرأ فيه ايضا المكر والمفاجأة والنزوة الطائشة .

وفى يوم من الايام عندما كنت غاضبه منه جدا بعد بضعة شهور ــ قلت له ان فيك من ازرقة مثل مافى دبابة . وعندما تحلل خط يده فانك تستطيع أن ترى أن هذه القسوة والغلظة التى يتحرك بها كما تتحرك الدبابة تعادلها فى الواقع رقة وحساسية لا توجد الا فى النساء . ومن المفهوم أن مثل هذا التناقض الحاد القائم دائما يولد نوعا من التوتر العصبى لا يمكن أن يحله الا الحركة المستمرة الدائمة .

وبعد أن وصلنا الى أتفاق شبه مبدئى على الخطوط العامة للفيلم بدأنا نتحدث عن مشاكل خاصة وشخصية . قلت «اننى أحب أن أرى أولادك فى

الفيلم . هل سيكون هذا ممكنا ؟ لقد قال لى والدك انك رفضت أن ينشأ أولادك فى ظل الدين اليهودى» .
فقال هنرى لامباليا ، «أنا لا أمارس الطقوس ولكن أنت هل لك دين؟» .
فقلت أن أبى كان يهوديا ولكننى لا أدريه .
ـ أباك يهودى ؟ قال هذا ولمحت فيه مايوضح أن هذا الاكتشاف لم يسعده كثيرا .

فقال أنه يحصل على حضانة الاطفال فى الصيف ، وهنا يكون من السهل على تصويرهم أما الآن فهم فى بوسطن مع امهم ، التى لن يمكن أن تتعاون معك ، واننى قد اجد صعوبة بالغة فى الحصول على ماأريد .
قلت : «أظن انه فى بعض الافلام التى صورت بالفعل هناك بعض لقطات لك مع الاولاد . قل لى أية أفلام وأنا أبحث عنها فى الارشيف وأرى ان كان من الممكن استعمالها » .

وجدت فى كيسنجر خليطا من الهدوء والطبيعة التى تشكل جزءا لا يتجزأ منه وقال :
ـ ولكن أحدا لم يصور فيلما عنى . انت الاولى .
ونظرت اليه انا الاخرى فى اندهاش . الرجل الثانى فى اكبر دولة تملك شبكات تليفزيون ولم يفكر أحد فى عمل بروفيل له .

فقال : « أن هناك دائما من يتقدم بالعروض ولكننى كنت دائما ارفض، انه ليس الوقت الملائم لكى اصنع من نفسى شخصية عامة فى هذا البلد » .
ـ اذن لماذا شجعتنى على المجىء ؟
ـ اولا لقد تصورت ان المسألة لقاء صحفى فقط ، ثانيا أن الفيلم سوف يعرض فى فرنسا ، ثم بعد ذلك ...
ابتسم وترك الباقى لتفسيرى .

● ●

لقد عملت فى التليفزيون لمدة عشر سنوات فى ظروف صعبة ومثيرة ، ولكن هذه الايام العشرة التى امضيتها فى بدروم البيت الابيض العب لعبة القط والفار مع كيسنجر ، تحت نظر واندهاش رجال الحكومة والوزراء والسكرتارية .. لقد فاقت هذه الأيام العشرة كل ذكرياتى السابقة وأظن انها كانت كذلك بالنسبة لكيسنجر ايضا .
فى البداية تحملت المخاطرة . كنت احاول ان انتهى من الفيلم فى تاريخ

معين ، كان من الضرورى ان يعد نهائيا للعرض فى التليفزيون خلال الاطـار العام لبرنامج زيارة بومبيدو الرسمية ٠٠ كان السويديان اللذان اعمل معهما لايعرفان كلمة انجليزية واحدة ٠ وكيسنجر نفسه لم يكن يعرف شيئا عـــن ضروريات التصوير للتليفزيون ولكنه كان يتعلم مانطلبه منه بسرعة ولكن بدون رضا أو حماس ٠

ان أى منتج سوف يقول لك انه لابد من صور لكى تصنع فيلما ، وعندما يكون الفيلم هو بروفيل لشخص حى (اذا كان ميت فانت تعتمد على الصور) فانك تعتمد على التعاون من جانب الشخص المعنى ، ولكن الشخص المعنى الذى كنا نتعامل معه كشف عن انه اقل الناس قدرة او رغبة فى التعاون ٠ بل أن طريقة تصرفه كانت جديره بالوصف (منذ الرحلة الناجحة التى قام بها الى بكين ربما يكون تصرف كيسنجر قد تغير ولكن وصفى هذا يســـبق الرحلة ببضعة شهور) ٠ كنت اعرف أن فيلمى سيكون مثيرا بالنسبة لى وللمشاهدين لو استطعت فقط أن أنقل الاعجاب والعواطف التى ملأتنى ٠ أن هنرى ليس جارى كوبر أو بيتر فوندا ، ولن يكون الكلوزاب ، هو الطريقة التى ســوف يجتذب بها الجمهور الفرنسى ٠ يجب أن نقدمه كما هو ، يجب أن نستطيع أن نكشف ردود فعله ، وان نستطيع الامساك بطريقته الطبيعية فى التصرف ويجب أن نعطيه الفرصة لكى يسحر الناس بذكائه ، وتحرجه ، وبساطته ٠ أن الطريقة الوحيدة هى أن نلصق انفسنا به كما يقولون ، أن نتابعه خـلال صور نشاطه المختلفة ، حاملين الكاميرا فى اليد موجودين ومختفين فى نفس الوقت ٠

أن كيسنجر الذى يفهم كل شىء ـ ما عدا الاشـــــياء التى لايريد أن يفهمها ـ قد استطاع بفضل هذا الفيلم أن يفهم أسرار التليفزيون ٠ لقد أعجبته الشاشة الصغيرة ٠ ولكن فى هذه المرة كان على أن ابدا معه صراعا مباشرا وان اعلمه المسألة من الصفر ، الامر الذى أنهك المصور ومهندس الصوت ، وكاد أن يحطم جهازى العصبى ٠

فى الوقت الذى كنت اعمل فيه هناك فى بدروم البيت الابيض لم يكن لكيسنجر اى سمعة خارج دائرة محدودة فى الولايات المتحدة لقد اكتشـفته واعجبت به وقد سبب لى هذا الاعجاب الما وقلقا ، ولكننى اشعر اننى قادرة على القاء الضوء بطريقة انسانية وحساسة على شخصيته ، التى يهتم بها الملايين اليوم والتى اولا هذا لظل ما فيها من رقه وشاعريه محبوسة ومجهوله لدى الجماهـير ٠

أن غرابة شخصية كيسنجر تتبدى اكثر من أى شيء فى انه قرر أن يسمح لاجنبية لايعرف عنها شيئا بأن تستقر فى البيت الابيض · أن كيسنجر ليس فقط المستشار الشخصى للرئيس ولكنه يراس أيضا مجلس الامن القومى · فاكثر المعلومات سريه تدخل الى مكتبه ، وتدور هناك · انه يتلقى رسائل خاصة من الرئيس · واقل ما يقال أن الجو هناك ليس ملائما لتصوير بروفيل ، ولو لم اكن متحمسه لتصويره لرفعت يدى عن الموضوع كله ·

● جاسوس رسمي :

من يوم وصولى ، وضعنى كيسنجر فى غرفة ملحقة بمكتبه بها ثلاثة تليفونات تحت تصرفى ووضعت أنا المصور ومهندس الصوت مع آلاتهم فى الطرقه القريبه ·· لقد كنا نصور بالابيض والاسود لكي نحد ما امكن من مشاكل الآلات والاضاءة ·· ومن هناك أخذت ألاحقه وأسير فى كل تحركاته كان كيسنجر يقول ضاحكا : « الآن اصبح لدى جاسوسى الرسمى » مشيرا الى النظارة السوداء الكبيرة التى كنت أراقبه دائما من خلفها وأنا أجلس أمام مكتبه كجندى المراسلة ·

لم تغب عنى نظرات الدهشة التى كانت بادية على وجه السكرتيرات ، بل ونظرات الغضب والتعجب على وجه بعض المساعدين ، مثل ذلك الشاب الذى استقبلنى يوم زيارتي الاولى للبيت الابيض · والذى كان يتنقل من حجرة الى حجرة متصنعا انه لايفعل شيئا والذى بالتأكيد كان على علاقة بأجهزة الامن ولكن الجنرال هيج وهو المساعد الاول كان يبدو راضيا ـ وكيسنجر نفسه ـ على الاقل فى اليوم الاول كان يفيض حيوية وبهجة ·

وعلى الرغم من الخطابات والاوراق التى كانت تملا مكتبه ، فقد اخذ التليفون بنفسه واتصل بالاصدقاء الذين حددنا أسماءهم الليلة الماضية : نيكسون روكفلر ، روبرت مكنمارا · وهكذا فتح لى الطريق الى مكاتبهم وقال لى : « لو لم اتصل بهم لما استطعت الوصول اليهم بسهولة ··· يا دانيل » كان يقول هذا بتفاخر ساذج وكأنه ايضا يريد أن يؤكد لى ان نجاح المشروع كله يتوقف عليه ·· وعليه وحده ولم اكن اشك فى هذا · لذلك تصورت فى ذلك الصباح على الاقل اننى قد كسبت كل الرهان ·

عندما احاول أن اعود بنظرى الى الساعات التى امضيتها فى هذا المشروع في بعض الاحيان وحدي تماما في بدروم البيت الابيض · فى ساعات الغداء

مثلا أو عندما احاول أن احصى ذلك العدد من الوثائق التى كانت فى متناول يدى والتى ما ان يقع نظرى عليها وادرك مدى اهميتها حتى احاول مسرعة أن انساها • وعندما احاول ان اتصور مدى ما كان يمكن أن يكسبه اعداء هنرى كيسنجر لو سارت الامور سيرا خاطئا •• عندما اتذكر كل هذا فانا اشعر بالعرفان والارتباك •• أن مغامرات الرجال الحذرين تكون دائما كاشفة مضيئة تعطى اكثر مما تخسر •

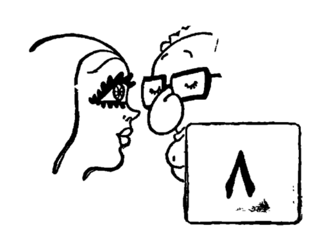
كيف استطاع رجل حذر ومنتظم ، وعميل سابق للمخابرات وعبقرى فى الشك وكشف الاحتمالات ، كيف استطاع رجل كهذا ، أن يغفل عن الخطر الذى يتعرض له ليس بلده (حيث أنه ليس هنا حقا أسرار خفية واذا كانت فهى دائما غير مكتوبة) بل يعرض له نفسه ومهما كانت غرابة تصرفاته •• فأننى دائما سوف اغفر له •

قال لى الجنرال هيج ، الذى أصبحت الآن اناديه باليكسى والذى كانت مساعدته لى نافعه دائما فى مختلف الظروف التى مر بها الفيلم ، قال لى أن اليوم التالى سيكون يوما مفيدا بالنسبة لى : فكيسنجر سوف يتناول طعام افطاره مع ٦ من العلماء المتخصصين فى الاسلحة الاستراتيجية • وقبل الظهر سوف يقابل فتى من فتيان الكشافه لكى يقدم له ميداليه وقد سمح لى بأن أصور هاتين المناسبتين •

نبهت الفريق الذى يعمل معى ، والذى كان قد بدأت الدهشة تصيبه من طول الانتظار ومن الساعات الطويلة التى يقضونها منتظرين فى طرقات البيت الابيض ، ولم اكن بعد قد استطعت أن انقل لهم اعجابى بكيسنجر •

فى اليوم التالى كنا فى الصباح الباكر ننتظر فى الغرفة الصغيرة المغطاة بالخرائط ، والتى تبقى طوال الاربع والعشرين ساعة مركزا لتلقى الاخبار من مختلف انحاء العالم ، والتى يخصصها كيسنجر لعقد اجتماعاته الضيقة •

وبدا العلماء يصلون ، وهم لم يكادوا يستيقظون بعد ، يدعكون عيونهم وكان بعضهم قد ترك جامعاته النائية فى منتصف الليل لكى يكون هنا فى الموعد • انهم متخصصون فى المشاكل الاستراتيجية ومشاكل التسليح الروسى ـ الامريكى ، وهم يجتمعون مع هنرى لبحث وتحضير مناقشات الاتفاق الدولى لتنظيم الاسلحة الذرية • وقدم لى هنرى العلماء الذين كنت اعرف بعضهم والذين قد قمت باجراء احاديث مع البعض الآخر فى الجامعات والمعامل وقدم الافطار مضيف نشيط من العاملين فى البيت الابيض ، قهوة وعصير جريب فروت • وكوب من اللبن لكل ضيف •



اخذت « تاكسى » وقصدت الى العنوان الذى اعطاه لى هنرى ، حيث تسكن زوجته السابقة واولاده . كان الفضـــول يدفعنى ويخفف من الحرج الذى أشعر به .

البيت يقع فى ضاحية بلمونت التابعة لمدينة بوسطن . وهى ضاحية تكاد أن تكون نموذجا للضواحى الامريكيــة .. على جانب شـــوارعها بيوت صغيرة مستقلة تكاد هى الاخرى أن تكون نموذجا للبيت الامريكى . كنت قد تأخرت فى الجامعة حتى بلغت الساعة الثامنة على الرغم من أن موعدى الأصلى ـ الذى ابلغت أن مسز كيسنجر قد الغته ـ كان فى السادسة .

ما أن وصل التاكسى الى البيت حتى فوجئت بعربة تقف أمام الجراج وتنزل منها سيدة طويلة ممتلئة الجسم ومعها طفلان . فوجئت مسز كيسنجر التى تعمدت أن تتأخر عن موعد عودتها بوجودى أمام باب بيتها .

دفعت اطفالها بسرعة الى داخل البيت ، واخذت تهمس لهم وتشير الى بروح غير ودية واضحة ، وطلبت من أحد الجيران الذى مر بالمصادفة أن يرعى الاولاد حتى تفرغ منى .. كان هناك وقت كاف لكى المح طفلا ذا وجه مـلىء بالحيوية ، وفتـــاة طويلة ذات شعر بنى كانا يبتســـمان ناحيتى وكانهما يتصارعان :

« اقنعى ماما ، نحن نعرف من انت ، اننا نحب جدا أن نظهر فى الفيلم الذى تصورينه لبابا » .

عادت بعد قليل وكأنها دجاجة انتهت من اخفاء افراخها ، وادخلتنى الى حجرة الصالون ، فكان عادي بلا ذوق شخصي وقد بليت فيه المقاعد والسجاجيد .

للحظات اخذت كل منا تنظر الى الاخرى فى صمت . انها اكبر حجما من هنرى ، لها قامة الالمان الطويلة المفرودة ، ولابد انها كانت جميلة فى شبابها اذا حكمنا من عيونها السوداء الواسعة . أما الان فقد اهملت كل شىء حتى نفسها . كانت جواربها مليئه بالثقوب ترتدى « بلوفر قديم » وكان منظرها يبدو مهملا كالغرفة التى ادخلتنا اليها .

لم يكن هناك بد من أن اشعر تجاهها بالعطف فان مصيرها كان مكتوبا على جبهتها وقد كان مصيرا مأساويا .. فبعد سنوات الشباب الاولى التى وهبتها لنجاح زوجها (يقول البعض انهما تقابلا فى مكتب بريد) طلبت هى الطلاق قبل أن يدخل هنرى البيت الابيض بأربع سنوات .

لقد انهت مستقبلها بنفسها ، فى الوقت الذى بدا فيه هو يفتح بيديه ابواب المستقبل .

● المكرونة .. والجوارب الممزقة :

هناك نوع من الوحدة يولد مباشرة بين النساء حتى ولو كن يحتقرن بعضهن البعض . ووجدت نفسى اقول أن المعاناة التى مرت بها هى السبب فى هذا السلوك العدوانى الذى تأخذه الآن . وبطريقه مهذبه وهادئة حاولت أن اقنعها بأن لاتحرم اطفالها وزوجها السابق من أن يلتقوا معا فى فيلمى التليفزيونى القصير .

« لقد وافق هنرى ـ كما تعرفين ـ على ذلك . والفيلم مليىء بالتميوخ الكبار الذين يتكلمون كلاما جافا فى السياسة ، أن الاولاد سيكونون هم النغمة الحية الوحيدة فى الفيلم .

« اذا كان مستر كيسنجر (قالت مسز كيسنجر) لايهتم بأن يعرض الاولاد للخطر فله أن يفعل ذلك اثناء الصيف عندما يكون الاولاد فى حضانته لقد وصلتنى تهديدات كثيرة ، ان لمستر كيسنجر مكانه فىعين الرأىالعام. واعداؤه لن يتورعوا عن الانتقام من أولاده » .

واستمر الحديث بهذه الطريقة حوالى نصف ساعة ، فى غرفة الصالون ثم فى المطبخ المجاور ، حيث وضعت على النار حلة بها مكرونة واخذت تقلبها.
كانت عيونها تلمع ، وفى نبرات صوتها فحيح ، وهاجمت الصحفيين ، وزوجها ، وأنا والعالم كله .

« أن مستر كيسنجر يحب الدعاية ، وليس للاطفال شأن بكل هـذه الامور . يجب أن يعيشوا حياة طبيعية ، حتى يمكنهما أن يعيشـا كباقى الناس » .
« ولكن ياسيدتى ان صور الاطفال قد ظهرت فى مجلته لايف ، وفى كثير من المجلات الأمريكية .. واذا كان هناك من يضمر لهم الشر . فان هنرى ..

« أن على مستر كيسنجر أن يهتم بشئونه فقط .. اننى مسئوله عن الاطفال وقد قلت لا .. وانا اعنى لا .
لم تذهب الزيارة هباء على اية حال . فيكفى اننى قد استطعت أن اراها ولكننى رجعت الى بوسطن وقلبى حزين . كنت أقول لنفسى اذا كان هنرى قد استطاع أن يعيش مع هذه المرأة لمدة خمسة عشر عاما ، فهو بالتأكيد لن يعرف كيف يعيش معى .

ولكننى كنت متأكدة أن هنرى يستحق شىء اكثر من هذا .. اكثر من المقاعد البالية والمكرونة .. والجوارب الممزقة .

● الممثلة الشقراء فى حانة ووترجيت :

كنت اشعر بامتنان لكل هؤلاء الذين قابلتهم فى كامبريدج ومنهاتن فقد ساعدونى جميعا فى أن اضع زميلا لهم تحت الاضواء ، وان الون له صـورة انسانية كشخصية عظيمة لها حظها فى المشاعر الانسانية .. ولها حظها أيضا من الفشل وخيبة الامل .

فى نيويورك قمنا بتصوير مشهد فى منزل والديه . وقد كنت آمل أن يكون هذا المشهد مؤثرا بوجه خاص . وقد سمحا لى بأن استعير بعض الصور لكى ادخلها فى الفيلم صور لهنرى وهو طفل فى المانيا ، وله وهو مراهق فى نيويورك ، وهو شاويش صغير ، وهو خريج فى هارفارد ... الخ .
وعندما رجعنا الى واشنطون اتصلت بالجنرال هيج . فقال لى أن هنرى ما زال مع الرئيس فى كامب دافيد وأنه سيخبرنى حينما يصل .
فقلت :

« لقد وعدنى هنرى بان يتصل بى امس ، ولكنه لم يفعل ، واليوم يوم الاحد ولاداعى لان ابقى المصورين منتظرين اذا كنت تظن اننا لن نسمع منـه اليـوم » ·

ففكر قليلا ونصحنى بأن اصرف الرجال ·

ماكدت أستلقى على سريرى فى فندق شيراتون حتى دق التليفون وكان جنرال هيج · لقد عاد هنرى ، وهو سـيذهب الى حفـل كوكتيل فى حانة ووترجيت ، وسترافقه ممثلة من صديقاته · وقد صرح لى هنرى بأن اصور هذا اللقاء ·

ولكن رجالى كانوا قد انصرفوا ، فذهبت وحدى الى الحانة الانيقة المكيفة الهواء ، حانة ووترجيت ، هناك عثرت على هنرى يجلس على مائدة صغيرةمع اثنين : الممثلة الشقراء الجميلة ايرلين دو ، وزوجها الجديد ، المليونير الذى احترف اخيرا الانتاج التليفزيونى ·

لقد كنت سعيدة بأن ارى هنرى مرة اخرى نظر الى هو الاخـر ، وبدا عليه التساؤل عندما لم يجد الكاميرات معى ·

اخذ الحديث طابعا وديا وسألتنى ايرلين عن اعمالى السابقة ، وجعلتها انا تروى لى تاريخ حياتها · وظل زوجها الطويل جدا الامريكى جدا صـامتا طوال الوقت ·

كان يبدو على هنرى انه مستمتع جدا بالحديث · وقالت ايرلين اننى وهنرى نبدو متفاهمين جدا ، واننا لابد ننتمى الى برج واحد · ومن الغريب فعلا اننا نحن الاثنين من مواليد شهر مايو هو فى برج الثور ، وأنا فى برج الجـوزاء ·

وبعد أن تحدثنا عن اصدقاء كثيرين مشتركين من الصحفيين والسياسيين والدبلوماسيين ، جرعنا الويسكى ، وشرعنا فى الانصراف ·

اقترحت على الممثلة أن نصورها فى الصباح لكى ندخل الى الفيلم جانبا من جوانب حياة هنرى الاجتماعية ·

وبما أن هنرى كان مرتبطا بموعد على العشاء مع الصحفى جو السوب فقد اخذنى معه فى سيارته ، وبعد أن وصلنا الى بيته صرف السائق ودخلنا معا لكى نتحدث لمدة ساعة ·

● غرفة النوم العارية والغسيل القذر :

من خصائص هنرى المميزة ان عقله لايتوقف عن التفـكير أبدا · وهـو

يتصرف مع اصدقائه وكانه من السائرين نياما ، في لحظة يكون موجودا وفى لحظة اخرى لايوجد • أنه دائما وحده مع افكاره • فبعد أن أصبحنا فى البيت صعد مباشرة الى الدور الاعلى وكانني غير موجودة • تتبعته وهناك شاهدت للمرة الاولى غرفة نومه •

لقد شـــاهدت غرف النوم فى عنابر الجيش ، وعرفت الفوضى التى يبعثها الاطفال في غرف نومهم • أما هــذه الغرفة العارية الا من سريرين يكسوهما غطاء أزرق ، وكومه من الملابس القذرة والجوارب الملقاة فى كل مكان فقد كان من الصعب على أن اصدق ان انسانا يعيش فيها •

عدنا مرة أخرى الى غرفة الصالون الخالية من الذوق الشخصى ، تواصل حديثنا فى تفاهم وعطف متبادل •

تأملت هنرى جالسا على الكنبة ، وقد بدا محشورا بعض الشيء فى بدلته وشعره المجعد مسرح جيدا الى الخلف ، ونظارته المربعة تغطى جزءا من انفه الضخم ، وابتسامة كبيرة ، تكشف عن اســنانه وهو يتحدث مع ابنته على التليفون ويواسيها :

ـ « سنفعل ذلك مرة اخرى ، بالتأكيد سوف تظهرين فى التليفزيون يا عزيزتى • كيف حال اخوك ، قولى له أن بابا يفكر فيك » •

مازال هنرى هو ذلك الاوربى المهاجر ، الذى لا تفصـله عن « كافكا » مسافة بعيدة ، والذى نجح على الرغم من كل ما مر به أن يحتفظ ببســاطته الباهرة • اعطيته اوراقا كنت قد كتبتها بسرعة فى الطائرة فيهـا ملخص لزيارتى فى بوسطن ونيويورك • أخذ يقرأ الاوراق باهتمام وجـديه وكأن مستقبله كله يتوقف على ما كتب فيها • واقول الحقيقة اننى لم اجد فى حياتى شخصا يعامل باهتمام مقالا أو خطابا كتبه صحفى كما يفعل هنرى • كان يقال أن كيندى قارىء سريع ، ولكن هنرى الذى يتحرك دائما بسرعة يتصرف مع القراءة بطريقة أخرى •

« كنت اتوقع أن ترفض زوجتى رفضا قاطعا ، وقد اتصلت بى أمى ، لقد حذرتك ، وقلت لك انك تعرضين نفسك كثيرا للمتاعب • أنا اعرف •• صدقينى •• سوف نكون دائما اصدقاء يا دانيل » •

ـ هنرى •• هل تحب احدا الآن ؟

فتردد فى الاجابة •• ثم قال :

ـ ان هذا لاأهمية له •• انت شخص جاد ولاأحب أن ألعب معك •

لمأستطع أنأقاوم ترديد اشاعة عنه سمعتها فىهارفارد • لقدكانصعباأنأقول

ما اريد · ولكن لان هنرى شخص زكى جدا فأنه لايوجد موضوع يستحيل على الانسان ان يناقشه معه · ورددت على مسامعه بعض الاشـــــاعات التى سمعتها عن حياته الخاصة استمع الى ونفى الشائعات قائلا :

ـ من قال هذا ·· أن هذا غريب ·· كانهم يقولون اننى قتلت امى ·

كان الموضوع شائكا فتوقفت عن الحديث · رأيت بعـض الصـور التى تجمعه مع جونسون وكنيدى ، وترومان كابوت · وطلبت ان استعيرها منه · وعلى الرغم من كل ما فى حياته الخاصة من فوضى واهمال فقد بدا عليه الذعر عندما طلبت استعارة شىء من الاشياء الخاصة التى يعتز بها · ولكنه قبل على ان أعيدها فورا ·· وكذلك قبل أن نلتقى مرة اخرى فى الصباح ·

● **اسرار الدولة والبيجامة الزرقاء :**

لست مغرورة بالقدر الذى أتصور فيه أن هناك قراء كثيرين شاهدوا ومازالوا يذكرون الفيلم الذى عرضه التليفزيون الفرنسى عن هنرى كيسنجر لقد كانت مدته عشرين دقيقة بالابيض والاسود · ولكن لكى أقول الحق فقد احتوى الفيلم على لقطتين أو ثلاث لا يمكن ان تنسى ·· وهى بالتحديد اللقطات التى استطعنا تصويرها فى ذلك الصباح فى بيت هنرى ·

فى السابعة والنصف صباحا كنا ندق الجرس على هنرى · وبعد دقائق فتح الباب وكان حافى القدمين فى بيجامته ولم يكن قد استيقظ بعد ·

عندما فتح لنا هنرى الباب كان يرتدى بيجامة زرقاء قطيفة . وكان من الضرورى كصحفية أن أنتهز هذه الفرصة وأحصل على هذه الصورة الفريدة ولكن اعزازى له واحترامى للصورة العامة التى يحاول صنعها لنفسه منعنى من هذا . وطلبت منه أن يرتدى ملابسه لكى نبدأ فى التصوير .

بدأ المصور المحترف الذى اعتاد على العمل فى الاستديوهات يشكو من قلة الضوء . وكذلك مهندس الصوت طلب منى أن أقول له جدول التصوير والحركة . ولكننى طلبت منهم أن يكونوا على استعداد دائم للتصوير فى أى لحظة بما أن بطلنا يجهل تماما المطلوب منه ويتصرف دائما على حريته .

عاد هنرى مرة أخرى لكى يجلس على حافة الكنبة وأخذت أتحـدث اليه فى حنان وكأننى ممرضة تتحدث الى مريضها قبل أن يدخل الى غرفـــة العمليات .

« هنرى .. ما هو أول شىء نفعله فى الصباح .. ماهى أول فــــكرة تخطر على بالك .

أجاب بأنه يذهب الى الخزانة لكى يطمئن على التقارير السرية التى وضعها فيها فى المساء .
قلت :

ـــ حسنا جدا . هل تسمح بأن تذهب لنفتح الخزانة أمامنا .
فنهض ، وذهب الى الحجرة الاخرى . وهو يتحرك بطريقة البه . وجلس امام الخزانة . ولكن المصور السويسرى لم يكن قد استعد بعد للتصوير . فأشرت اليه بكل أدب وضراعة بأن يبدأ .
وربما أثاره منظر الخزانة أو أزعجه فقال بالفرنسية التى لا يتقنها :
ـــ ولكن لا اظن انه من حقنا .

ولولا أن الكاميرا تزن أكثر من ثلاثين رطلا لحملتها على الفور وبدأت التصوير بنفسى . ولكنه أخيرا أدار الكاميرا . انحنى هنرى على الخزانة . واخذ يحاول اعادة القرص ، ولكن عبثا . أخذ هنرى يحاول دون انزعاج . . ولكن الخزانة رفضت جميع المحاولات . واخيرا بعد أكثر من دقيقة ونصف جاء صوت وكأنه قادم من كهف :
ـــ انها لن تفتح .
وكان الموقف كوميدى بشكل لا يصدق . مستشار الرئيس لا يستطيع أن يفتح الخزانة الخاصة التى تحتوى على أسرار الدولة .

وكان هنرى بين لحظة وأخرى يفتح أحد الدوسيهات فى مكتبه لابد انه كان يراجع الارقام التى تفتح الخزانة ولكن دون فائدة . كان شىء واحد يزعجنى وهو أن ينتهى الفيلم من الكاميرا قبل أن نصل الى نهاية المشهد . وأخيرا وبعد لحظات عامرة استجاب القفل وفتحت الخزانة . اخرج هنرى بعض الاوراق ليضعها فى حقيبته وأعاد اغلاقها مرة أخرى .
وعاد الى حجرة الصالون ووجهه خال من التعبير . وانا اتبعه لاحظت حقيبة كبيرة موضوعة الى جوار الكنبة فسألت :
ـــ ماهذا ؟

ـــ الغسيل القذر . . كونى ظريفة يا دانيل واحمليها عنى . اننى آخذه الى البيت الابيض .
ولكى لا أفقد هذه الفرصة الظريفة رفضت أن احملها عنه فى أدب ووضعتها فى يده . كان قد انتهى من ارتداء معطفه . وهاهو فى الطريق الى البيت الابيض . فى يده اليمنى حقيبة صغيرة يحمل فيها اسرار الدولة وفى اليد الاخرى حقيبة كبيرة مليئة بالغسيل القذر .

هنرى .. وأعتقد اننى قد فعلت ذلك .

وعندما عرفت بعد ذلك ان الرئيس نيكسون يشكو دائما انه غير قادر على أن يقدم لنفسه صورة مقنعة فى التليفزيون . عرفت أن السبب الرئيسى هو قلة كفاءة وفنية التليفزيونيين الذين يحيط نفسه بهم .. انهم يعيشون فى اطارات تقليدية ويقتلون كل ماهو انسانى .

حفـل خاص لعيد ميـلاد السفير :

ربما يتصور البعض ان تصـوير الفيلم قد سار بعد ذلك وكأنه انزلاق على الجليد . ولكن الحقيقة ان العمل فى هـذا الفيلم كاد ان يصـيبنا جميعا بانهيـار عصبى .

كنت قد طلبت من هنرى منذ اليوم الأول أن يساعدنى بطريقتين الأولى ان يدعونا الى بعض الحفلات العامة التى يمارس فيها نشاطه الاجتماعى لكى نستعرض فيها علاقاته ، والثانى ان يرتب لنا تصوير بعض دقائق فى مكتب

الرئيس وهو المكان الذى يمضى فيه الجانب الأكبر من حياته .
فيما يتعلق بمكتب الرئيس فقد كان رده :
ـــ أنا لااطلب من احد شيئا . اذهبى وقابلى زيجلر (المتحدث الصحفى باسم الرئيس) انه هو الذى يرتب مواعيده ، وأنا لايمكن أن اتدخل فى هذا .
أما عن الجانب الاجتماعى فقـد اتصلت طبقا لنصـيحة هنرى بزوجة السفير البريطانى .

كانت صحفية سابقة وتتحـدث الفرنسـية بطلاقة . وكـان هنرى سيزورهم فى نفس الاسبوع . وقد وافقت زوجة السفير مباشرة على ان تذهب الى الحفل ، ولكن سكرتيرة السفير اعترضت لان الحفل مقام بمناسبة خاصة هى عيد ميلاد السفير ولايمكن السماح بوجود الكاميرات .
وقد كان من الممكن أن يتولى هنرى تسـوية الامـور ببعض الكلمات الرقيقة التى تشرح الظروف ، ولكنه رفض التدخل .
مع كيسنجر لايمكن ان تعرف ابدا أين تقف ، ففى لحظات يبـدو وكأنه لايتأخر عن اى خدمات ، وفى لحظات اخرى يبدو وكأنه سيلقى بنا خارجا . وقد كنت اتصور ان هذه الخصـال يمكن ان تكون مشجعة ومحركة للهمة ، ولكنى اكتشفت انها فى الحقيقة مزعجة ومربكة .



كان من المفروض ان يصل الرئيس بومبيدو يوم الخميس ، وقد أمضيت اليوم السابق أطارد مستر زيجلر فى طرقات البيت الابيض ، لم يكف زيجلر عن الجرى لحظة واحدة وكان البيت الابيض يشتعل بالنار . ان كل هـذه الحركة والضوضاء لاتبعث على الاطمئنان ، فماذا بحق السماء يمكن ان يحدث عندما يكون هناك خطر حقيقى . عندما يصبح مطلوبا من كل هؤلاء الموظفين ان يتخذوا قرارا لايتوقف عليه مستقبل الولايات المتحدة فقط بل العالم كله . ولكن من حسن الحظ أن مهمة تصوير الفيلم قـد حـدت من حريتى كمفكرة وفيلسوفة .

فى الساعة العاشرة صباح يوم الخميس خـرج البيت الابيض كله الى الشرفة والمدخل بينما امتلأت السماء بالاعلام ، ودق حملة الطبـول طبولهم ونفخ الآخرون فى الابواق . واستقبل مستر ومسز نيكسـون مستر ومسز بومبيـدو .

ووقف الصحفيون ورجال التليفزيون فى اماكن محددة ، ولكن لاننى قـد أصبحت شخصية مألوفة فقد سمح لى بالحركة هنا وهنـاك . لقـد كنت مشغولة بمتابعة هنرى بعد ان أصدرت تعليماتى للمصـور بأن يتابع أدق تفاصـيل تحركاته .

عندما وصل هنرى صافحنى وسأل : كيف الحال ؟
ظل هو الآخر بعيدا عن الضوضاء بعض الشىء يراقب . ويصفق . ويبتسم وينتظر اللحظة التى يستطيع فيها أن يأخذ موريس شومان ويدخل معه الى البيت الابيض .

وعندما استطعت العثور على زيجلر أمسكت به وذكرته بموعدى مع نيكسون كان فى ذلك اليوم أقل صخبا ونشاطا من المعتاد . وقال انه كان يفكر فى هذا ويبدو اننى سأحصل على لقائى فى نهاية الصباح .

وطبعا رفض هنرى ان يتدخل مرة أخرى . عندما قلت له ان وقتى مع نيكسون سيكون محدودا جدا .
طلبت من المصورين أن يكونوا على استعداد دائم قرب مكتب الرئاسة . فهنا ستصور اللقطة الاولى فى الفيلم : هنرى خلف الرئيس مباشرة وهم يدخلون الى الحجرة البيضاوية .

بعد ساعتين من الاوامر والاوامر المضادة ادخلنا أنا ومساعداى الى الحجرة البيضاوية . ووجدت نفسى وجها لوجه أمام نيكسون . كان وجهه مطليا بالاصباغ ، يبدو عليه التوتر الشديد . ويبتسم دون مناسبة . صافحنى ويده ممدودة عن آخرها .

ابتدأت التصوير وتوارى هنرى فى خلفية الصورة . تمالكت أعصابى وحددت اهدافى جيدا . ان أى خطأ صغير الان يعنى فشل مشروع الفيلم .
وقفت فى وجه نيكسون واكتشفت ان له وجها لطيفا رغم كل شىء .
ان المشكلة الاساسية أن الوجوه الجديدة تصيبه بانزعاج شديد ، وانه لايستطيع ان يبقى لحظة واحدة دون ان يعرف ماذا يجب ان يفعل .
شرحت له اننى أنا الاخرى لى ابنتان . وان الصغرى وعمرها أثنا عشرة سنة معجبة به جدا . وانها تريد أن تحصل على صورة منه .
انتعشت ملامحه ، وتحرك بنشاط ناحية المكتب ، واخرج صورة كبيرة تحمل خاتم البيت الابيض . وسألنى عن اسمها الاول وكتب بخط مائل وحسى جدا . والغريب اننى لاحظت بسرعة أن خطه يشبه خط هنرى الى حد كبير : كتب «صدق تمنياتى الى النيورا من ريتشارد نيكسون» ووضع الصورة فى ظرف وسلمها لى .

خرج زيجلر بعد ان نبهنى الى الدقائق المحدودة التى منحها لى .
واصبحت أنا وحدى المنصرفة فى الغرفة البيضاوية .

أعدت ترتيب الكاميرات وطلبت من الرئيس ومن هنرى أن يجلسا كما يعودوا دائما • وأعلنت احتجاجى لأنهم يتصرفون وكأن الأمر نكتة وطلبت منهم ان يتصرفوا بجدية أكثر .

اثار دهشتى ان الرئيس اطاعنى وانه لم يقل شيئا سوى :

« ولكن ابنتك الاخرى ستغار . خذى لها قلما من أقلام البيت الابيض . هناك على هذه المائدة » .

فى طريقنا للخروج ابتسم لى هنرى ابتسامة مشجعة ومعجبة . فتوقفت وقلت للرئيس :

ـ اننى فى الحقيقة أحب أن أحصل على صورة مع هنرى •

فأعتدل الرئيس مرة أخرى . ووقفت أنا على يساره . وهنرى على يمينه .

• •

بعد هذا الانتصار النابليونى العظيم قد يتصور القارىء ان مشروع الفيلم سار كأنه شهر عسل . ولكن التعامل مع هنرى يسقط دائما هذه التنبؤات . ففى مساء نفس اليوم رأيت وجها غاضبا ثائرا لكيسنجر . وجها لم أكن أتوقعه أبدا .

أمضيت بقية هذا اليوم فى غرفة الصحفيين . وطوال الوقت كان الصحفيون يتحدثون عن هنرى . بعضهم معه والآخرون ضده ولكن كل الملاحظات كانت توثق علاقتى بهنرى وتزيد معرفتى به .

فيليب جابلين مثلا يعمل للواشنجطون بوست وهو خبير فى الشئون الخارجية كان يتحدث عن البيت الابيض بمعرفة حقيقية . وكان من أقدر الناس على ابراز نقط الضعف ونقط القوة أيضا .

قال :

« ان أصعب شىء هو ان يعرف الانسان فى ماذا يفكر كيسنجر حقيقة . ولكنه فى كل الاحوال عدو جدير بالاحترام لقد كتبت ضده مقالة فى الواشجطون بوست . وهاجمت فيها سياسته فى فيتنام هجوما عنيفا وفى نفس الليلة التقينا فى حفل فى المساء فتقدم عبر جميع الحاضرين وصافحنى » .

وقد وضحت بالنسبة لى أكثر دلالة هذه الملاحظة . عندما تحدث الى جوزيف كرفت وهو الآخر خبير كبير فقال :

ـــ انا لاأؤمن بالرؤوس المغلقة . أن هنرى يعرف كيف يستمع جيدا . وعنده قدرة غريبة على تسجيل مختلف الاراء المتعارضة ببراعة . ثم بعد ذلك

ينطلق الى استخراج النتائج . ان له عمل مرتب جدا ، ولكنه قاصر فى الخيال . فاذا كان هناك من يتولى القيادة فهو بالتأكيد نيكسون . ربما يأتى هنرى فى المرتبة الثانية . . ولكن نيكسون هو القائد دائمـــا .

ان هنرى يستفيد من أعدائه أكثر مما يستفيد من أصدقائه . لقد الح على يوما الحاحا غريبا لكى نتصافح . لم تكن علاقتنا فى ذلك الحين صحيحة ، ولكنه ارسل لى خطابا فلم أرد ، ثم ارسل يدعونى فلم أذهب ، فجاء بنفسه يزورنى فى بيتى . أنه لم يكن يفكر فى شىء سوى أن نتصافح .

كنت قد لاحظت هذا بسهولة جدا ، ان هنرى يحاول دائما ان يتلاقى مع أعدائه . ان حذر المهاجر القديم لم يفارقه ، أنه يجعله دائم الالتفات الى كل الجوانب . يجعله دائما حريصا على ان يبقى كافة الاحتمالات مفتوحة . انه يعيش الان بكبرياء كبير ، ولكن الاهانات القديمة التى لاقاها فى شبابه لم تفارقه . وهى تجعله يبحث عن الانتقام فى الحاق الاهانة بالاخرين .

ان تفكيره يتجسد فىشكل توازنللقوى ، الصديقالحقيقى ، الصديق الذى يعتمد عليه هو شخص يجب ان لاتحسب حسابه . انك تحسب حساب الذين تخافهم أو تحترمهم فقط .

وكان على ان اتعلم منه هذا الدرس على حسابى الخاص .

● عشاء مع أرملة هنرى فورد :

فى هذا المساء كان نيكسون يقيم حفل عشاء لبمبيـــدو وكان التصـــوير ممنوعا . ولكننا استطعنا ان نلتقط بعض الصور لهنرى فى بيته وهو يرتدى ملابس السهرة .

لقـــد بدات المتاعب عنـــدما كان واقفا فى بيته يرتدى هـــذه الملابس ، ويساعده سكرتيره . كان قد بدأ يتأخر فعلا عن موعده . وكان لايزال عليه ان يذهب الى الناحية الاخرى من واشنجطون لكى يأتى بأرملة هنرى فورد ــ واحده من أصدقاء نيكسون ــ لكى يصحبها الى هذا العشاء . وقد أضاف الى الجو المشحون المتوتر ، ان المصور ومهندس الصـــوت اللذين كانا معى فقدا اعصابهما ايضا من كثرة الغاء المواعيد وتأجيلها ومن استحالة العمل فى هذه الظروف ، لقد قيل لهم انهم سيصورون فى بيت هنرى وهم مصممين على ان يفعلوا ذلك .

مدفوعة باحساسات كثيرة متناقضة ، ومصرة فىنفس الوقت عـلى أن ينجح مشروع الفيلم هذا الذى اعمل فيه بكل طاقتى ومواهبى ، ولاننى كنت أعلم انه لن تتاح لى فرصة أخرى لكى أصور هنرى وهو بملابس السهرة ،

فقد حاولت التدخل فى الطريقة التى تجرى بها الامور . وهنا انفجر هنرى ، وأخذ يزعق بأعلى صوته ، ويسب كل شىء ، وكان يحاول ان يوجه حديثه الى سكرتيره دافيد يونج :

ـــ ماهذا .. لاشىء من هذا على الاطلاق .. سوف لن افعل لهم اى شىء آخر . لو سمحت .. من فضلك ماذا يفعل «بتوع التليفزيون» هؤلاء هنا . ماريك انت .. ماذا يفعل هؤلاء فى بيتى أخرجهم من هنا من فضلك .

لقد كانت ثورة هستيرية كاملة .

بدأت أشعر حقيقة بسخافة الموقف كله ، خصوصا بعد المحاولات الطويلة التى بذلتها لكى اقنع رجالى بأن مستر كيسنجر شخصية عظيمة على الرغم من كل شىء ، وانه انسان رقيق .. وان هناك خطأ ما يزعجه .. واننا يجب أن نعتبر انفسنا محظوظين جدا لاننا استطعنا ان نقترب منه الى هذا الحد .

فكرت بينى وبين نفسى : انا افعل كل هذا من اجله وهو يلقى بنا خارجا كما يلقى ببغى .

لم استطع ان انام فى هذه الليلة ، لقد ازعجتنى هذه المناظر والحركات . من الجائز أنه لايفهم شيئا عن التليفزيون ، وانه لايعرف شيئا عن قدراتى كمخرجة ، ومن المحتمل انه لايقدر مدى تأثير هذا الفيلم الذى اصنعه . ومن المحتمل أنه الان نادم لانه قد جعلنى أعرف طريق الباب اليه . وجائز ايضا أن يكون احدا قد حذره منى .. كل هذا جائز .

ولكننى على أية حال قد حاولت جهدى من البداية ان اتقن عملى بقدر ماأستطيع ، وكنت اعمل فى ظروف مستحيلة بالنسبة لأى عمل تليفزيونى . ولذلك فلا يمكن أن يكون هناك شك فى ولائى له واخلاصى . فلماذا اذن يعاملنى بهذه الطريقة ، ولماذا يتعمد اهانتى أمام كل هؤلاء الناس بهذا العنف والقسوة .

لقد حاولت دائما أن لاأكون متعصبة ، وان لاأفكر فى الصاق صفات معينة بجنسيات معينة ، او ديانات معينة أو طبقات معينة ، ولكن فى هذا اليوم وانا اغادر بيت هنرى وفى اذنى صوته الهادر قلت لنفسى .. « هذا هو الالمانى فيه يظهر » .

لقد حدث نفس الشىء تقريبا منذ عدة ايام ، عندما دخل علينا فى البيت الابيض صديق من اصدقاء هنرى ـــ المانى متجنس ـــ هو فريتز كرامر ، وهو

شخصية مسئولة فيالبنانيجون ، وكان هو وهنرى قد عادا منتناول غذائهما فــورا .

كان طويلا ورسميا الى اقصى درجة . وسألته بأدب ان كان يمكنه ان يتحدث لدقائق فى الفيلم الذى نعمل فيه . فأجاب بصوت أعاد لى بكل وضوح كل فترة النازى :

— فى مكانى .. لاعلاقة لى بالصحافة أو التليفزيون .

فى هذه المرة ابتسم هنرى مشجعا ليخفف وقع كلمات الرجل .

ولكننى أدركت أن هناك جوانب فى شخصية هنرى سوف تظل دائما بالنسبة لى مغلقة .. وغريبة بل ومرفوضة .

قلت بينى وبين نفسى انه من المستحيل التعامل مع هــذا الرجل بعــد ذلك . وفى الصباح كنت منهكة تماما وقررت أن أغادر واشنطون .

● ●

ولكننى كنت على موعد فى الثامنة والنصف مع مكنمارا فى البنك الدولى ولم يكن هناك داع لان اتخلف عن هذا الموعد .

رئيس البنتاجون السابق كان يبدو لى دائما رجلا ظريفا ومحبوبا . فى تصرفاته توازن دقيق بين خصائص رجل الاقتصاد وبين المهندس . واذا كان قد ارتكب فى حياته أخطاء كثيرة فهذه الاخطاء ترجع الى امريكيته اكثر مما ترجع الى نقص كفاياته كانســـــان .

منذ سنوات عدة وعندما كانت امريكا فى قمة ازدهارها وقوتها ، وعندما كان ضميرها مازال نقياً ، كانتمكانا غريباً ، وكانت غابة منالحركة تحتم فيها على المواطن الأمين المخلص لوطنه وخاصة اذا كان قادما من الغرب أن يقع فى أخطاء كثيرة .

فهؤلاء الذين اعتمــدوا على المنهــج التحليلى ، وطليعة الباحثــين فى الاسبرنطيقا ، كانوا أسرى لفكرهم الخاص وللمناهج التى تعلموها ، ومنهم كان مكنمارا . لقد عانى مكنمارا طويلا من عذاب الضمير ومن الولاء المزدوج ولكنه لم يتبلد واحتفظ بحساسيته ، وقد ميزه هذا عن بقية الزملاء .

كان مكنمارا فى انتظارنا عندما وصلنا،انه دائما يصلقبل الجميع،ودرنا معا فى المبنى الخالى نبحث عن الحجرة الملائمة لاجراء الحديث .

انه مأخوذ ومعجب بشخصية هنرى . وهو يتذكر بداية الدور الذى لعبه هنرى فى حرب فيتنام ، عندما بادر بالاتصال بهوشي منه (كما بادر بعد

سنوات بالاتصال بشواين لاى) لقد كان فى ذلك الوقت يعتمد عـلى رجلين فرنسيين كوسيلة اتصال . وعندما بدأ كان يتصور أنه سيحصل فورا على اتفاق لوقف اطلاق النـار . ثم بعد ذلك يبـدأ فى المفاوضات . ا لقـد اثار استغرابى دائما تلك الطريقة المرتبة العلمية التى يحـاول الامريكيـون ان يتعاملوا بها مع الآسيويين ــ نفس الطريقة التى يتعاملون بها مع أوروبا .

لقد قلت لهنرى مرة : أنت لاتفهم الفيتناميين .. أنهم لن يتفاوضوا معك لانهم لايثقون فيك . فنظر الى هنرى متعجبا وقال : ولكنهم تفاوضوا مـع الفرنسيين .

ان علم النفس ليس سلاحا أمريكيا .. وخاصة فى آسيا .

وقد أنهى مكنمارا حديثه معنا وهو يكرر اعجابه بشخصية صديقه غير العـادى فقال :

ــ انه خليط فريد ورائع بين التفكير المنطقى الالمـانى . والحساسية الفرنسية ، وبين النشاط والحيوية الامريكية .

وقد ضايقتنى هذا . فماذا يعرف مكنمارا عن الحساسية الفرنسية .

قلت له بعد أن انصرف المصورون :

ــ مستر مكنمارا ، أنت تعرف هنرى . انه رغم كل شىء صديق . ولكنه حقا أنهكنا جدا أنه لايفهم شيئا عن التليفزيون ، ونحن نبذل أقصى جهدنا لكى نقدمه فى هذا الفيلم بشكل لن يستطيع غيرنا أن يصـل اليه ، ولكنـه الليلة الماضية جاوز كل الحدود وطردنا من منزله . لقد قررت أن اتخلى عن كـل شىء .. وأن أعود الى باريس .

فعرض مكنمارا ان يتدخل .. فشكرته بحرارة .

● يد ممدودة وصلح مرفوض :

وعندما رجعت الى البيت الابيض قصـدت مباشرة الى غرفة الجنرال هيج وحاولت أن أشرح له قرارى بالسفر فقال :

ــ تسافرين غدا . ماذا يعنى هذا . انك على موعـد مع نيلسـون روكفلر ، وهنرى قد رتب ان تذهبا فى الغـد الى حفل كبـير يقيمه رجـال الراديـو والتليفزيون .

فقلت بصراحة :

ــ هنرى هذا شخص مجنون . لقد اهاننا امس اهانة بالغة . انـه يعاملنا على اننا شىء لا قيمة له ، انه يجب أن يتعلم كيف يحترمنا . انه

يدوسنا باقدامه لاننى اجنبية ولاننى امراة ، ولان عملنا معا لن يطول . هل يعاملك بنفس الطريقة ؟ كيف تحتمل منه هذا ؟ اى نوع من الرجال هو ؟

فنظر الى بعطف :

ــ اننى أفهمك حق الفهم . ولكن كونى صبورة . ان هنرى مثقــل بالمسئوليات الفظيعة أنه فى موقف حرج وصعب ، وهو لا يدرك كيف يعامل الناس حوله ، ولكنه بلا شك يملك جــوانب طيبة ، ولهـــذا فأنت وأنا موجودان هنا من حوله .

ظهر هنرى عندما كنت أهم بمغادرة المكتب ، فقابلنى قائلا :

ــ دانيل .. اذن فقد استطعت ان تجعلى بوب مكنمارا يقف ضدى ، اليس كذلك ؟

كان صوته ضاحكا ويده ممدودة ، ولكننى لم اتقدم ناحيته ولم أقــل كلمة . نظرت له فى وجهه ، واختفيت .

لم يستطع الموجودون أن يتغلبوا على الصدمة بسهولة ، ثم ســمعت خلفى صوته الخجول يحاول ان يتغلب على الموقف وهو يسأل : الم يصــل الجنرال .. بعـــد ؟

بعد ذلك ــ عندما تصالحنا ــ قال لى :

ــ انت لم تلاحظينى فى هذا الصباح ، لقد كنت ارتدى الكرافتة التى أهديتها لى .. لقد كنت غاضبة ولم تلاحظى شيئا .

لقد كنت حقاً غاضبة ان أحدا لايستطيع ارباكى قدر مايستطيع هنرى . انه قادر على أن يدفعنى الى حدود اليأس الكامل ، ولكنه فى نفس الوقت قادر على أن يقودنى الى آفاق فريدة من السعادة .

الامـــير والصـــحفية فى البـــلاط

فى الطريق الى هيلتون واشنطون احسست اننى انتقمت بعض الشىء لكرامتى المجروحة ، فقد استطعت أن احرج هنرى أمام الموظفين فى مكتبه، كان موعدى مع نيلسون روكفلر فى هيلتون واشنطون . وهو يتحرك دائمــا كأمير من امراء عصر النهضة مصحوبا ببلاطه الكامل . بل كثير من رجاله يسبقونه الى كل مكان يذهب اليـــه .

فى الجناح المحجوز له دائما فى واشـــنطون اســـتقبلنى الجميع فى احتفالية غريبة . لقد وجدت حولى عشرات من المساعدين ، والسـكرتارية ،

ورجال العلاقات العامة والمسئول عن الاتصال بالتليفزيون ، وأخذ الجميع يستجوبونني حول المكان الذى أريد أن أجرى فيه الحديث ، وعن الترتيب الذى ستجرى به الامور ، بل لقد كادوا أن يطلبوا منى قائمة بالاسئلة التى سأوجهها له .

وعندما دخل روكفلر تغير الجو . لقد كان الامير أنيقا مهابا ، ومؤثرا، فى حوالى الستين من عمره ، كان يتحدث فى فرنسية رائعة ويعرف كيف يستمتع بصحبة النساء . سارت الامور بيننا سيرا حسنا . وتركنا الجميع وحـــــدنا .

كان روكفلر خجولا رغم كل هذه المظاهر ، ولكنه كان طبيعيا ومبتسما ابتسامة جذابة أمام الكاميرات قال انه معجب جدا بشخصية كيســـنجر مع تحفظ واحد ، وهو انه شخص لا يعرف كيف يعمل تحت ادارة أحد .
واخذ يروى لى انه أثناء الحملة الانتخابية عام ١٩٦٤ ضد جولد ووتر كان من المفروض ان يلقى هنرى خطابا فى اجتماع كبير ، وقد خاف روكفلر من أن يمل الجمهور سماع استاذ أكسفورد الذى يتحدث بلكنة ألمانية فطلب الاطلاع على الخطاب ، وعندما وجده أطول مما ينبغى أجرى عليه اختصارا كبيرا بمساعدة أحد رجاله وعندما علم كيسنجر بما حدث ، هاج هياجـــا كبيرا وقال لروكفلر :
ـــ انت لا تطلب من عامل البياض ان يدهن لك صورة بيكاسو التى تقتنيهـــــا .
ان هنرى ذكى جدا ولكنه لا يعلم شيئا عن نفسية رجل الشارع .
لقد كنت على استعداد لان أجزم انا الاخرى أن هنرى لا يعرف شـــيئا عن نفســــية النساء أيضا .
ولكننى وجدت أن روكفلر مقتنع اقتناعا مطلقا بأمانة وكفـــاءة هنرى لقــد قال :
ـــ لو لم يكن هذا الرجل موجودا فى الحكم . لتوقعت أسوأ النتائج مع كل هذه العقليات الساذجة الموجودة هناك . ان وجود هنرى فى البيت الابيض هو بلا شك ضمان كبير ، وسوف ترين أن لهذا الرجل مســــــتقبلا عريضا ، وأمامه مازال مشوار طويل .
اعترضت قائلة :

ـــ اننى لا أرى كيف يمكن أن يكون مشوار هنرى طــويلا بعــــد ماوصــل اليه .

فأجاب روكفلر فى رشاقة وبراعة :

ـــ أن أهم مايميز هنرى انه لا يتوقف ابدا عن التغير . وهو حتى الان لم يتوقف عن أن يجد مايفاجئنا به دائما .

وكانت هذه واحدة من اذكى الملاحظات التى سمعتها . ان التحـــدى الحقيقى الذى يواجهه هنرى فى صراعه مع الســـــلطة هو : هل يستطيع الرجل أن يحتفظ لنفسه بالاستقلال وحـــرية الارادة . ام انه سيستسـلم للفســـــاد .

عنـــدما انتهت مقابلتنا قصـــــصت على روكفلر بعض ماوقع لنا مع كيسنجر . وعصبيته البالغة فقام واتصـــل بهنرى بالتليفون وقال بلهجـــة حاســـمة :

ـــ انك ياهنرى فى ايدى أمينة حقا ، انها متحمسة ، وعظيمة وعليـــك ان تســـــهل لهـــا الامور .

● صلح قصير وغيوم مرتقبة

ان هنرى يتاثر جدا براى الناس ولم يكن غريبا ان اجد ان جــــو البيت الابيض قد تغير تماما عندما عدت الى هناك .

لقد ادخلونى مباشرة الى الحجرة البرتقالية الخضراء .

واستمتعت بلحظات سعيدة وانا اسمع مستشار الرئيس يعتذر لى :

ـــ اننى آســف حقا فيما يتعلق بليلة الأمس . فقد كنت مخطئا ، أنك تؤدين عملك بوعى كامل ، انه عمل من أعمال الحب .

أثارت الكلمة استغرابى فنظرت اليه . ماذا يعنى ؟ هل يقصد اننى اضع الحب فى عملى ؟ ام هل يقصد ان الحب موجه اليه .

ولان اللغة الانجليزية لم تكن لغة أى منا الاســاســية فمن الممكن ان يدخل هنا ســـوء التفاهم .

ان أهم مايميز عملى حتى الان هو تلك الرغبة الملحة فى الفهم .. ان هنرى كيسنجر مازال بالنسبة لى لغـــــزا .

بالتأكيد ان الانسان يرتبط بالشىء الذى يدرسه بل ويتوحد معه طبقا لقواعد التحليل النفسى الكلاسيكية ، بل ان الانسان يعكس ذاته ايضا ، الا اننى أعتقد أن ذلك البحث الذى يهدف الى المعـــرفة يختلف عن ذلك الذى يستهدف الامتلاك .

لقد كنت أحاول استيضاح الاهداف ، وتبين الملامح الحقيقية للموضوع

الذى ادرسه . وقد توقف اهتمامى عند هذا الحد . أن التلاحم الغريب الذى عشناه معا لعدة أيام كان يرفع عن انفســـنا الحقيقيـــة كل الاقنعة ، بل وأصبحت كل حادثة صغيرة تمت لنا هى خطوة ترفع فيها مزيد من الاقنعة .

وانتهزت هذه الفرصة التى احسست فيهـــا أن هنرى يتمتع بروح طيبة ، وطلبت منه ان نجرى الان الحوار الذى سيشكل قلب الفيلم . فوافق فورا . وطلب الجنرال هيج على التليفون والغى جميع ارتباطاته . واخذ ينفذ جميع تعليماتى بدقة متناهية .

وبينما كان المصورون يستعدون ، اخذنا نراجع معا الموضوعات التى سنتحدث فيها : حرب فيتنام ، اتفاقيات السلاح . علاقة هنرى بالرئيس ، دور أمريكا فى العالم ، واهتماماتها الاوروبية .

ان رشاقة هنرى الفكرية ، وقدرته على الانتقال من موضـــوع الى موضوع تبعث الارتباك حتى فى هؤلاء الذين اعتادوا سرعة التفكير . ولعل هذه الرشاقة أن تكون مصدر كل اخطائه الفكرية ولكنه فى ذلك اليوم على اية حال ، كان بارعا جدا ، وذكى جدا ، واستعاد ثقتى واعجابى ، وكنا نحن الاثنين ســـــعداء .

كانت هذه هى المرة الاولى التى يتحدث فيها كيسنجر للتليفزيون حديثا خاصا . ولذلك فقد كانت بمثابة تعميد له او فضا للبكارة . لذلك فقد كانت متعتنا مضاعفة ، أن وجها غير جذاب كوجهه يجب أن تضيئه شـــخصية جذابة . وقد ســـألت نفسى هل كان من الممكن أن أحصـــل منه على هـــذه الابتسامة الرقيقة ونبرة الصوت الاخاذة لو لم نكن قد اختلفنا وتصالحنا .

فى ذلك اليوم كانت هناك عذوبة وبساطة تسيل منه وعندما سألتــه ان يحدثنى عن شخصيته رفض ، فقلت له :

— قل اذن انك ترفض !

فقـــــال :

— اننى لا اريد ان اتكلم عن نفسى من ناحية شـــــخصيتى وتكوينى الخاص ، لانه فى مكان كمكانى هذا لا يجب أن يكون لهذه الشخصية او التكوين اهميـــــة خاصة .

لقد استطاع هنرى فى كلمات قليلة ان يكشف عن نفسه . كل نفسه فى بساطتها وتعقيدها ، واحسست اننا قد استطعنا أخيرا ان نحصـــــل على ما نريد .

الى أى شىء يرجع هذا الهدوء والطاعة المفاجئة هل هى راجعــــة الى صداقتنا الجديدة التى استعدناها بعد الاختلافات . على أية حال فقد استعملت كل حضارة البحر الابيض لكى أروض وحشيته .

ولكن هل كنت فى وضع يسمح لى بالتنبؤ بما سيحدث فى اللحظــــة التاليــة ؟ ابــدا !

لم اعد اذكر كيف وجدت نفسى معه فى منزله فى ذلك المساء . كان يأخذ حماما وكنت احاول الاتصال بموريس شومان وزير الخارجية الفرنسى لكى أحصل على موافقة على تصوير بعض اللقاءات فى السفارة الفرنسية . ولكنه قال لى أن اللقاءات فى السفارة ستكون سرية وأن التصوير سيكون مســـــتحيلا .

وعندما سمع هنرى هذا ، قــال :

ـــ دانيل لا تهتمى . اننى ساكون عندك ، ساكون تحت أمرك ، غدا سوف نذهب معا الى حفل الاذاعة والتليفزيون ، وهناك تستطيعين تصوير ماتشائين وقد يتعجب القارىء لماذا أدخل فى كل هذه التفاصيل التى قــد لا تهم سوى شخصين أو ثلاثة . ولكننى اقول أن الحقيقة مثل الحب دائما معقدة ، ولا يمكن فهمها دون فهم وادراك كل التفاصيل .

كان من المفروض أن يكون يوم الغد يوما كبيرا ، الليلــة التى تسبق الرحيل ، كنا قد انتهينا من كل الاحاديث والمقابلات التى غطت حياة هنرى كلها تقريبا ، وكان يبدو أن الصورة قد اكتملت وانها موثقة ومدعمة ورشيقة فى نفس الوقت ، كل ماينقصنا كان هو الفقرة عن الحياة الاجتماعيــــة فى العاصمة .. الوجوه ــ الملابس ــ الاحــاديث والمناظر ، اننى أنزع الى الكمال فى عملى ، وأى نقص فى التفاصيل يفسد على كل شىء .

فى الصباح سألت الجنرال هيج عن حفل المساء فأحالنى الى مساعد من مساعدى كيسنجر للعلاقات العامة . الذى قال لى :

ـــ هل معــك تذكرة للدخــــول ؟

ـــ تذكره لماذا ، اننى ذاهبة مع مستر كيسنجر .

ـــ ولكن هناك دعوة أرسلت للدكتور كيسنجر . وهناك قائمة دقيقة بأسماء المدعوين ، ثم هناك عدد محدود جدا من النساء . اذا لم يدعوك رجال الاذاعة والتليفزيون فسيكون من المستحيل عليك الدخول .

أتصلت برئيس مكتب أخبار التليفزيون فى نيويورك فقال لى ليس هناك مشكلة ، واحالنى الى مكتب واشنطون وهناك وجدت المسئول وكرر لى انه ليست هناك مشكلة واننا سنلتقى فى السابعة فى فندق شـــورم ليعطينى الدعـــوة .

ولابد اننى كنت قلقة جدا ومتوترة جدا الى درجة اننى اتصلت بالرجل مرة أخرى وأكدت الموعد . وقابلته فى السابعة فقال لى بالحرف الواحد :

ـــ ليس هناك مشكلة ، سأكون موجودا بنفسى هناك عندما تصلين مع كيسنجر وسوف أعطيك الدعوة .

ـ ولماذا لاتعطيها لى الآن ؟ ..

ـــ لاننى سأحصل على الدعوة من شخص ما وهو بدوره سيحصل عليها فى آخـــر وقت .

لقد كان الرجل يبدو واثقا من نفسه متأكدا من كلامــه ، أفرغت كــل شكوكى وذهبت لارتداء ملابسى .

فى السابعة والنصف ، دق جرس التليفون وكان هنرى الذى قال انه ســوف يتأخر عشر دقائق .

كم كان مهذبا .

عندما انتهيت من ارتداء ملابسى وتصفيف شعرى كنت استطيع ان أنافس صوفيا لورين أو جريتا جاربو من ثلاثين عاما .

فى بهو الفندق ظهر هنرى ، وكان يبدو مشغولا ولكنه كان رائعا فى بدلة السهرة ، لم يقل شيئا ، وكأنه لم يرانى ، وركبنا العربة .

ـــ هل معك بطاقتك ؟

اشتعلت دقات قلبى . لقد أدركت كم أنا واقعة تحت رحمة هذاالرجل بكلمة واحدة ، بحركة واحدة كان يستطيع أن يهدم سعادتى ، ويحطم قلبى .

ضغطت على يده ، ودعوت الله فى سرى أن ينهى هـــذا الموقف على خير وبقينا صامتين طوال المدة التى استغرقتها رحلة السيارة .

ما ان وصلنا حتى سحب هنرى يده فى سرعة ، وأعطى الحقيبـــة للسائق ، وتحرك فى نشاط تجاه الاضواء .

كنا قد تأخرنا قليلا ، وكان هناك بعض الرجال فى ملابس الســـهرة يســـدون البـــاب .

نظرت حولى فى ذعر أبحث عن الرجل الذى ينتظرنى ، فلم أجـــده . حيا هنرى اثنين من الحراس الواقفين على الباب وناولهما بطاقته وسألنى عن بطاقتى ، أى جدوى من الشرح الان . سأله أحدهما :

— هل السـيدة معك ؟

— لا .. انها ليست معى .

قال هنرى هذا ، ثم صعد الدرج - اثنين فى خطوة واحدة . ولم يقل كلمة ولم يلتفت بنظره واختفى .

ان احدا لم يحذرنى . ان احدا لم يقل لى انها ستكون حفلة رسمية الى هذه الدرجه . انه حفل سنوى يقيمه رجال التليفزيون والاذاعة لاعضاء مجلس الشيوخ . والرئيس نفسه يحضر هذا الحفل ، لذلك فان اجراءات الامن مشددة ، والنساء لا يدخلن الا اذا وجهت لهن الدعوة شخصيا .

وما أن ذهب هنرى حتى ظهر الرجل الذى كنت انتظره . وقال انه آسف جدا ، وانه قد حدث سوء تفاهم ، وانه لم يستطع الحصول على البطاقة ، وسحبنى بعيدا واتجهنا الى البار . واقسم لى انه ما ان ينتهى العشاء حتى يحاول أن يجد طريقة ندخل بها .

وقفت هناك مهانة مكسورة الخاطر . وتمنيت ان تبتلعنى الارض . فى رداء السهرة .. اى سخرية .. وأى منظر .

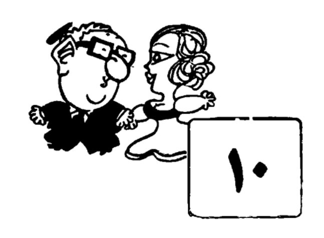
وادرك الرجل عمق ما أعانيه ، واستطاع ان يرسل رسولا الى كيسنجر لكى يبلغه انها لم تكن غلطتى .

وبعد زمن طويل جاء رجل يقول لى ان مستر كيسنجر يريد ان يعرف اين أنا .

فقلت :

— سأكون فى الفندق .

وانصرفت .



١٠

لماذا أحاول بكل هذا الاصرار ان اكتشف غموض كيسنجر ؟ ·
ربما لاننى أتبين فى نفسى ملامح لنفس الصراعات التى تجعـــل منــه شخصا فظيعا ومثيرا فى نفس الوقت ·

فى اليوم التالى وانا اغلق حقائبى فى الفندق ، وجدت نفسى أفكر فى أن اباه قد ولد فى بافاريا غير بعيد عن موطن أبى ، وان كليهما من اصل يهودى · ان كثيرا من الدماء التى تجرى فى عروقنا متشابهة · ولكننى قابلت كثيرا من المهاجرين الالمان اليهود الذين لا توجد بينى وبينهم اية اوجه للتشـــــابه · فلماذا أجد فى هذا الرجل عناصر اساسية من عناصر وجودى ؟ الاحســـاس بوجود رســــــالة يجب أن تتحقق ، التأكد من الاختلاف عن الآخرين · عدم الاهتمام والابتعاد عن كل ما هو طارىء وتافه ، والحاجة للايمان الكامل فيما نفعل ، ثم الكبرياء والجرأة ·

هل كنت انا وهو شخصيتان من مأســـاة اغريقية قديمة تتجولان فى عصر التليفزيون (ومن الغريب أن يكون التليفزيون هو الذى جمعنا معا) · أم أن الذى يجمعنـــــا معا شىء تحقق فى الماضى ، ولن يوجـــد من جـديد فى المســـتقبل ·
شغلنى حديثى مع نفسى عن كل شىء ، ولكن مكالمة من البيت الابيض

اعادتني الى الواقع · كان هنرى يريد أن يشرح لى ما حدث أمس ، وهو الان فى انتظارى فى مكتبه · ويجب أن أعترف باننى فى اثناء الليل وانا فى قمه التعب والارهاق ، صببت جام غضبى فى التليفون على أذن الجنرال هيــج ، وأخذت أسب له رئيســـه : « انه شخص كريه ، انه ليس رجلا » وقلت وانا أجهش بدموعي : « افى بلدى العجوز المحترم الذى فقــد الآن قــوته ، لايمكن لاحــد أن يتصـــور مثل هذا التصرف لقد تصرف معى كمتشرد يتعامل مع البغايا » ·

مر ذهني بأحوال متناقضة خلال الليل ، مرة أقول اننى لن أرى هنرى أبدا ، ومرة أفكر فى أن أفعل أى شيء مهما بدا تافها لكى أصلح مجرى الامور ، لذلك فقد جاء هذا التليفون ليحسم الامور ·

عندما وصلت الى البيت الابيض كانت الحركة على أشدها ، كان هنــاك زوار كثيرون فى انتظار مقابلات عاجلة مع كيسنجر ·

تحدث معى هنرى ونحن واقفان في غرفة الانتظار ، ثم اختفى مع أجينيو لمدة ساعتين بعد ان قال لى : « انتظرى هنا لو سمحتى ــ سوف يستغرق هذا دقائق » ·· وكان يعود كل قليل لكى يؤكد لى ذلك ·

زوجتى السابقة وراء كل شيء

كان دفاع هنرى عن المأساة التى حدثت أمس هو الآتى :

« لقد كنت ضـــحية تهديد زوجتى لمدة أربع ســـنوات متتاليه ، وانا لا استطيع احتمال أى ضغط خصوصا من سيدة اخرى » ·

لقد تصور اننى كنت أحاول أن أضغط عليه ، لقد كان تصرفا تقليديا لكل المطلقين الذين عذبتهم الصراعات الزوجية الفظيعة ·

لم أكن أتوقع أن يكشف هنرى لى بهذه السهولة عن خلافاته العائلية · الامر الذى زاد من أسفى · فلم أكن أتوقع أن يقارن هنرى بينى وبين زوجتــه السابقة · ان كل الرجال يعتبرون من انفسهم شيئا مختلفا ويتصــورون أن النساء كلهن واحدة ·

أى نوع من الضغط كنت أحاول أنا أن أضـــغطه عليه · لقد كان الامر سوء تفاهم لا أكثر · كل ما كنت أقصده هو ان انجح فى عملى · ان الفائدة كانت ستعود علينا معا وربما عليه هو اكثر · فقد كنت أريد أن أجعل منــه شخصية عامة وقد كان لايزال مجهولا ·

لقد أوضح لى هنرى أنه لو كان قد أصر على أن أدخل الى الحفل الليــلة

الماضية ، لكان قد اتهم بأنه يصر على أن تدخل « فتـاته » الى حفـل رسمى ٠ ولكن هذه الحجة لم تكن مقبولة ، لأن رجال التليفزيون هم الذين أقاموا الحفل ولذا فستكون لى بالقطع صفة فى الدخول ، ولان هنرى كان شخصية معروفة فى واشنطن وهم بالتأكيد كانوا سيغلقون عيونهم بل وسيصفقون له على انها نزوة من نزواته الجديدة ٠

ثم قال :

ـــ دانيل ، أننى معجب بك جدا ، ولو لم يكن هذا صحيحا لما أمكن أن تكونى هنا الآن ، أو على الاقل لما استطعت البقاء أكثر من يوم أو أثنين ٠ أننى لاأستطيع أن أنسى العمل الذى تؤديه بكل دقة واخلاص لاأنا ولا كل زملائى هنا ٠ انك شخص نادر بكل تأكيد ٠ ولكننى فى اللحظة التى اشعر فيها بأن أى نوع من أنواع الضغط يقع على اتذكر ذلك الكابوس الذى كنت أعيشه فى حياتى الماضية ويدفعنى هذا الى التصرف بعنف ٠ لقد اجبرتينى على أن أكون فى موقف الدفاع ٠ اننى لا أملك احتمال المآزق العاطفية ٠ وسأستمر كذلك لمدة عام أو أثنين ٠ أن السلطة التى اعيش فيها مؤقتة ، وعليك أن تفهمى معنى هذا » ٠

وقد فهمت ٠ لقد ساءنى اشارته لى على اننى « فتاته » ٠ هل كان يتصور حقا اننى يمكن أن أكون فتاته ٠ لقـــد كنت أريد منه أن يحترم عملى ٠ وان يفعل هذا بغض النظر عن العواطف ٠ ولكن ألم تكن العواطف مسئولة أيضـا عن الطريقة التى قمت بها بعملى ٠

أخذ بعد ذلك يسألنى أسئلة شخصية عن نفسى ، وعن بناتى وجعلته يرى صـورهن وســألنى كيف يمكن ان أجمع بين كل هذه المشــغوليات : الصحافة ، والتليفزيون ، والامومة ٠ وقال انه سوف يزورنا فى باريس ٠ وهنا أدخل الجنرال هيج الصور المكبرة التى أخذناها فى مكتب نيكســـون ، وكان غريبا أن أرى نفسى واقفة هناك بالبنطلون الاسود بينه وبين نيكسون أخذ هنرى قلمه وكتب على الصورة :

الى دانيل « مع تقديرى ومودتى » ٠

واكتملت عقدة المأساة

فى باريس كان على أن أفرغ من الفيلم فى أربعـــة أيام ، كان على أن أواصل العمل بنفس الحماس حتى لا أتعرض لانهيار كامل ٠

وكان أطفالى قادرين دائما على أن يشعروا بأى تغير يطرأ فى حياتى • أعطيتهم الهدايا التى أعطاها لهم نيكسون ، ولانهم كانوا مدللين ويعتقدون أن أمهم قادرة على تحقيق المعجزات ، وانها اهم من رئيس أى دولة فقد نظروا الى هداياهم باستخفاف • وعندما شاهدوا الصورة التى اخذتها فى مكتب نيكسون قالت الكبيرة :

— كان يجب أن ترتدى فستانا •

— وهذا الرجل القصير ، من هو ؟ هل هو كيسنجر الذى تتحدثين عنه•

واخذتا تعاكسانى فيما يتعلق بكيسنجر • فلم يكن بينى وبينهم أسرار ، خصوصا الفتاة الكبرى التى كان سنها الوردى وحسها المرح قد جعلا منها محل أسرارى • وعندما دققت الفتاة فى وجهى توقفت هى واختها عن المعاكسة والمرح ، ونظرت لى الكبرى فى حنان وفهم •

● ●

عندما يزعجك تصوير فيلم من الافلام ويصيبك بقلق دائم فأن دخول غرفة المونتاج يكون هو النهاية لكل الآلام الفظيعة • ففى الغرفة نصف المظلمة أمام المافيولا تتكشف لك الحقيقة ، ترى كل عرى عملك وغناه •

كنت أراقب المونتير وأدرس ردود أفعاله وقلت لنفسى « أنتظرى حتى يرى مشاهد « الخزانة » ، والغسيل القذر • لقد كانت الاحاديث طويلة ومملة بعض الشىء ، ولكن عندما جاءت هذه المناظر صاح الرجل :

— عظيم ولكن كيف استطعت الحصول على هذا •

وكانت هذه شهادة هامة من رجل حرفى •

ولكن المسألة لم تكن قد انتهت عند هذا الحد • فقد بقى المسئول عن نقديم برنامج بانوراما ، وهو لم يكن من المتعاطفين مع كيسنجر نظرا لميوله اليسارية • فقال لى بعد أن رأى عملى :

« ولكن الفيلم ليس موضوعيا ، فأنت لم تقدمى نقدا لآراء كيسنجر عن فيتنام » •

أننا لا نقدم برنامجا سياسيا فى الراديو يناقش حرب فيتنام ولكننا نقدم صورة لكيسنجر • ولكنه أصر ، فكان من الضرورى أن أضيف حديثا آخر مع صحفى أمريكى يناقش فيه كيسنجر فى فيتنام ولم اكن راضية عن هذا •

كان الشىء الآخر الذى أحسب حسابه هو رأى كيسنجر فى الفيلم • فقد قال لى بعض مساعدى : انه سوف يعتقد انك تسخرين منه فى منظر الخزانه

ومنظر الغسيل القذر · وقد كان فى هذا سوء فهم لطبيعة الشخصية الامريكية التى تحترم حرية الآخرين ، وتقدر حسن الفكاهة · اننى أدرك أن أهم ما يمتاز به هنرى هو أختلافه عن الآخرين وعدم دخوله فى الاطارات التقليدية لاصحاب السلطه · بل أن أحد مساعدى قد تمادى قائلا : انه من المحتمل جدا أن يستفيد الشيوعيون من منظر هنرى وهو يفتح الخزانه فيعرفوا الشفره التى تفتح بها ·· وكان هذا حقا مضحكا وأبعد من كل التصورات ·

وأخيرا وبعد ساعات عصيبة سبقت عرض الفيلم جاءت الساعة وعرض الفيلم ، وكان نجاحا حقيقيا ·

فى الصباح نشرت « الهيرالد تربيون » مقالا ممتازا عن الفيلم ، وكتبت عنه المجلات التجارية واجمعت انه فيلم هام وكبير ·

اصبحت أنا وهنرى فى يوم وليلة من المشاهير الذين يتحدث عنهم جمهور باريس · حتى أن موظف الشباك فى مكتب بريد تعرف على فورا ، وقبل أن يرسل خطاباتى دون أن أدفع له لاننى كنت قد نسيت كيس نقودى فى البيت · وعندما رويت هذه الحكاية لهنرى على التليفون فى المساء قال لى :

— ولكنى كيف يمكننى بعد ذلك أن أسير فى شوارع باريس ·

محاولة فاشلة لغزو امريكا

ارسلت له فى الصباح التالى قصاصات الجرائد وكل ما كتب عن الفيلم · حاولت أن أقنع رجال التليفزيون بأن يطبعوا له نسخة خاصة من الفيلم ، ولكنهم أعتذروا بأنهم لا يملكون ميزانية لذلك على الرغم من تفاهة التكاليف ، ولم يمكنني اقناعهم الا بعد أن تدخلت السفارة الأمريكية ·

وعندما وصلت أخبار الفيلم الى الولايات المتحدة أرسلت ال سى بى أس مندوبا لها لكى يرى الفيلم فى باريس ، وكان المندوب هو « برت بنيامين » الذى أبدى تحمسه للفيلم ، وقدم لى دعوة للذهاب الى امريكا · وهكذا عدت مرة أخرى الى هنرى بعد مضى أقل من ثلاثة أسابيع ·

فى فندق بنيويورك انتظرت ثلاثة أيام لكى يحدد لى موعدا فى البيت الابيض · اتصلوا بى · وحددوا موعدا ثم ألغوه وعادوا ليحددوا موعدا ثم الغوه · وكان يبدو ان هناك شيئا فى الجو · ولكننى أرجعت هذا الى أن هناك توترا شديدا فى فيتنام ولابد أن هنرى مشغول باشياء اخرى ·

فى ٢٤ مارس ذهبت الى واشنطون أحمل نسخة من الفيلم تحت ذراعى · كان موعدى مع هنرى فى نهاية الصباح · ولكن السكرتيرة أبلغتنى بأن هناك

أجتماعا طارئا لمجلس الامن القومي ، وان كيسنجر قد يبقى مشـــغولا طوال النهار ٠

حجـزت حجـرة في فنـدق « هاى أدافر » القريب من البيت الابيض وأنصرفت ٠ كنت أشعر بارتباك غريب في عواطفي تجاه هنرى وتجاه المسألة كلها ٠

في اليوم التالى عندما قابلت الجنرال هيج كان يبدو متعبا بعد يوم عمل طويل ولكنه كان ظريفا كالمعتاد ، قال لى انهم قد أعدوا كل شيء لعرض الفيلم ، ولم يبق سوى هنرى الذى أغلق على نفســـــه الباب في حجرة مكتبه وطلب عشـاءه هناك ٠ بقينا جميعا في الانتظار : لماذا لم يدعونى هنرى الى مكتبه كما كان يفعل من قبل ؟ ولماذابقى كل هذهالمدة الطويلة رغم أن العشاءالبارد الذى يقدمه البيت الابيض لايستغرق كل هذا الوقت ؟

عندما خرج كان منظره كما توقعت منهكا متهدلا كبدلته التى يرتديها ٠ جلس هو وموظفو مكتبه جميعا واطفئت الانوار وبدأ عرض الفيلم ٠ ســـاد صمت طويل حتى كدت اسمع دقات قلبى ٠ كنت أحدق فى الظلام ، أحاول أكتشاف رد فعلهم ، حتى جاء منظر الخزانة والغسيل فأنطلق الجميع ضاحكين ٠

انتهى عرض الفيلم واضيئت الانوار ، وتقدم هنرى ناحيتى مصافحا ، وقال وهو يشير الى أن أتبعه الى مكتبه :

ـــ دانيل ٠٠ انه حقا عمل من أعمال الحب النادرة ٠٠

دخلت المكتب ، وأنا أسمع تصفيق العاملين ورائى ٠ ما أن أصـــبحنا وحدنا حتى قلت :

تستطيع ان تعرض الفيلم على أولادك ٠

فقال :

ـــ سأرتب عرضا قريبا لجميع الذين ظهروا فى الفيلم ٠٠

ثم بدأنا نتحدث ٠فعرضت عليه ماتم مع سى بى اس ولم يكن كيسنجر قد ظهر فى التليفزيون داخل أمريكا بعد ٠ وأحسست أن هناك شيئا قد تغير فى صوته وهو يقول :

ـــ ولكننا لم نتفق على ذلك ٠ أنا لم أوقع معك أى عقد ٠ لقــــد كنت أتصور أن الفيلم للعرض في فرنسا فقط ٠٠ اننى لست مستعدا لان أجعـل من نفسى شخصية عامة فى أمريكا الآن ٠

نظرت اليه ، ولم أفهم ، تصورت انه يمزح ، ولكنه عاد يسأل :

ـــ هل هم يعرضون عليك نقودا ٠

وطبعا كانوا يعرضون مبلغا محترما • ولكن لم تكن هذه هي المسـألة ، على الرغم من حاجتى الماسة للنقود ، أن المهم هو عرض الفيلم فى أمريكا ، فقد كان هذا يعني بالنسبة لى اقتحام ميدان جديد انافس فيه مخرجي التليفزيون الامريكي • أفلامي السابقة كانت قد عرضت في أمريكا ولكن هذا الفيلم بالذات كان سيكسبني شرعية أشعر أنني فى حاجة اليها •

ثم عاد يقول :

ـــ من يضمن لى أن رجال الـ سى بى أس سيكونون رفقاء بى كما كنت • ان وضـعى ومكاني ليس قوة مطلقة كما تتصـورين ، وعلى دائما أن أحاول تقليــل الفرص أمام اعدائي واعداء نيكســون الذين يبحثون عن أى شيء لاستعماله ضدى •

كنت أتصور هنرى مستقلا قادرا على التفكير بحرية ، ولكننى فهمت الآن موقفه أكثر •• انه اللاعب الوحيد الخطر على مائدة القمار الكبيرة وبقية اللاعبين يراقبون كل حركاته •

قلت له لكى اطمئنه :

ـــ لقد طلبت منهم ان ارى بنفسى النسخة التى ستعرضها السى بى أس فلاتخف • أنا اضمن لك النتيجة •

ـ دانيل •• أنا لا اريد ضـمانات ولا مغامرات •• اتركى لى هـذه المسالة لكى اتولاها بنفسى •

وكان على أن اختار بين الفيلم وبين صداقة هنرى واخذت الاخيرة •

اعطيته اسم الرجل المسئول فى سى بى اس وتركت المسالة كلها فى يده • لقد احسست أن الخطر الذى يحيط به يحرمه من أن يرى صداقتى التى اعرضها • لقد كان يرى خلف صـــداقتى هذه عدوا محتمـــلا يخشى تصرفاته •

طمانه استسلامى فخلع نظـارته ومسـح عينه المجهدتين مـن السـهر واجلسنى الى جواره ، وعاد الى نغمة العواطف ، والى فكرة اننى « فتاته » قال فى خجل انه لا يستطيع ان يسمح لنفســه بأن يتورط عاطفيا طالما هو فى السلطة • ولكنه قال وهو يبتسم :

ـــ ولكن رومنتيكيتي تسمح لى بان انتظر ثلاث سنوات •

نظرت اليه في حنان وقلت لنفسى « أى عاشق مسكين يمكن أن يكونه هذا الرجل » اسير تناقضاته ، غارق فى الشـــك •• ضحية كاملة لعقدة الاضطهاد •

وعادت نظرات الشك الحزينة تملا عينيه خلف نظارته السميكه ·
في هـــذه اللحظة احسست انني يمكن أن أكون انا وهذا الرجـــل « تريستان وايزولده » الجديدة · أحسست أننى أكف عن فهم اللغز وشعرت تجاهه بحب صادق ·

اتصل بى هنرى قبل ان اغادر نيـــويورك وقال انه معجب حقا بهذا الفيلم وقال :

ـ سوف نبقى اصدقاء دائما يا دانيل اليس كذلك ·· اكتبى لى ؟
ـ على البيت الابيض ·· ام على بيتك ·
ـ أى مكان ·

ـ اكتب بالانجليزية ·· ام بالفرنسية ·
ـ كما تشائين ·



في باريس كانت هناك اشياء ، جديدة تنتظرني ، فقد تصور كثير من معارفي واصدقائي انني يمكن ان اكون « واسطه » للبيت الابيض .. وكم كان هذا مضحكا .

انتظرت فترة طويلة لكي اسمع من السي بي اس عن الاتفاق الذي سيتم بينهم وبين هنري . ولكن خطابا من نائب رئيس الشركة أوضح لي الامور فقد قال انه قابل هنري ولكنه لم يوفق ، ولم يرفض وطلب مهلة للتفكير .
وضحت لي خيوط المؤامرة .

ولان الانتظار لم يكن لعبتي المفضلة فقد قررت ان انسى كل شيء عن الموضوع وان ابدا في عمل جديد .
لم تكن احوالي المالية مطمئنة . وكان الصيف يقترب .
اما مشروع بيع الفيلم للسي بي اس فقد تبخر نهائيا في الهواء .

في ربيع ١٩٧٠ كانت العلاقات بين اسرائيل وفرنسا متوترة ، ولم اكن اعرف الكثير عن اسرائيل ، كنت قد زرتها مرة واحدة وامضيت يومين في الصحراء لكي اجري حديثا طويلا مع بن جورين وكان ذلك عام ١٩٦٦ .

لقد لفت نظري انه على الرغم من صور الدعاية المركزة التي تقوم بها

اسرائيل حول نفسها ، انه لا توجد افلام جيدة عنها • كذلك كنت قد لاحظت أن اغلب اصحاب المدارس الجديدة فى السينما يعتبرون انفسهم من انصار العرب •

لذلك فكرت فى الذهاب الى اسرائيل لكى ابحث عن فكرة تصلح لفيلم جديد • وعلى الرغم من كل ما يمكن أن يثار حول موضوع اسرائيل ، فقد كانت فكرة عمل فيلم عنها تتوافق مع الاتجاه الذى اسير فيه لا حاول خلق شكل للدراما التليفزيونية يقف فى منتصف الطريق بين المسرح والواقع •• ان فى اسرائيل شيئا من هذا ، ثم لأننى يهودية أوربية ـ على الرغم من اننى لا أشعر بانتمائى لدين ولا امارس طقوسا ـ فقد كنت اشعر بأن هناك روابط وحسابات قديمة تجاه هذه الدولة الصغيرة التى فشلت كل اجهزة الاعلام فى أن تجعل منها شيئا مقنعا •

مرة اخرى قلت الوداع لبناتى • وارسلت خطابا لكيسنجر • أن المراسل الصحفى يجد نفسه دائما ملقى فى قلب تجارب جديدة يفقد فيها ذاته لكى يمكنه أن يكتب بامانة • ولا يستطيع اى جهاز عصبى احتمال هذا التوتر الدائم دون أن يخلق لنفسه اساليب للدفاع • يجدها البعض فى الطموح أو فى البحث عن المجد الشخصى ، أو المال ، أو فى التعصب الايدلوجى أو فى الاستشهاد وانكار الذات • اما بالنسبة لى فقد كانت العاطفة هى مهربى الخاص • فلو اننى قبلت الحلول البرجوازية للحياة لكان قلبى الان أكثر استقرارا • ولكننى دون شك كنت سافقد منابع نشاطى والهامى •

كان الخطاب الذى ارسلته الى كيسنجر فى ابريل ١٩٧٠ مكتوبا بالفرنسية • وكنت قد وفقت الى الوصول الى طريقة فى مخاطبته تجمع بين الاشفاق والفهم ومحاولة التسرية عنه • كنت اسميه « عزيزى المتوحش » • وهو اسم حاول كثيرا ان يرفضه لانه يحاول طبعا ان يكون « جنتلمان » • ولكن البافارى القديم كان ما يلبث ان يظهر تحت القناع حاملا كل خصائص مواطنيه : التوحش ، التركيز على الذات ، والأستبداد ثم العبقرية والبراءة • وكنت اشعر الى جواره باننى رمز للانوثة المتحضرة كامرأة تحمل فوق ذراعيها البضتين دروع رجلها المحارب •• أنا المرأة التى احبت العالم وبحثت عن المخاطر فى كل مكان •• لذلك فقد كانت فكرة ترويض المتوحش تروق لى •

لقد كنت اشعر انه يفوقنى فى كل شىء ولكنه لم يكن يعرف شيئا عن فن الحياة أو الحب • لقد فقد ثقته فى النساء كنتيجة لزواج فظيع ، وعلى امرأة اخرى ان تعيد له ثقته فى اسرار الحياة •

حدثته فى خطابى عن كل شىء ما عدا ملاحظة قالهـــا لى فى باريس مراسل احدى الصحف الامريكية الكبرى لقد قال لى : « أنا الاخر يهودى المانى اننى اعرف هنرى عن ظهر قلب ٠٠ لا تضعى نفسك بين يديه ابدا ٠ فهو من ناحية طاغية ٠ ومن ناحية اخرى هو لا يحترم الا المنافسين كونى صديقته ، بفقد اهتمامه بك » ٠

لم تكن تلك الحقيقة الفظيعة جديدة على : فقد سمعت ما يشابهها فى نيويورك ٠ مع مثل هذا الانسان لايوجد موقف وسط فأما ان تحبه أو نهرب منه ٠ لقد فكرت فى احتمال ان توقظ روحه عواطفى الصـــادقة ٠ واحسست أن العالم كله قد يستفيد من أن ابعث الحياة مرة اخرى فى قلب هذا الرجل ٠

● لايمكنني أن افكر في شىء سواك :

لابد وان الاخلاص والامانة اللذين سادا خطابى قد اثارا دهشـــــته قلت له :

« فى المرة الاخيرة التى قابلتك فيها فى البيت الأبيض ، شـــعرت بألم حقيقى ٠ لقد كنت فى حالة من التوتر الفظيع ، منهك ، ومستهلك ، عيناك كحرقين فى ورقة ، كنت كحيوان وقع فى الاسر وهو فى كهفه ، لقد كنت على استعداد لان افعل اى شىء لكى اجعلك تبتسم ولو للحظة واحدة ٠ »

لم اكن افكر فى سواه ، اذا كان قد تغير الى هذا الحد خلال اسبوعين فكيف سيكون فى عامين ، وهو يعيش تحت ضغط الازمات الدائم ٠٠٠ لقـــد كانت تحيطه ازمات التوتر فى الشرق الاوسط ، والاستعدادات فى فيتنام ، ثم الانقلاب الذى اطاح بالامير سيهانوك ٠

اننى اتصور دائما انه سينجح فيما فشل فيه جميع من سبقوه ٠ وكتبت له معلنة سفرى السريع الى تل ابيب « الوقت الان منتصف الليـــل ، وأنا اكتب اليك لاننى لا اســتطيع أن انتزعك من افكارى ٠ خـــلال الاسبوعين الماضيين رفعت سماعة التليفون اكثر من عشرين مرة كى احاول الاتصال بك ، ووضعتها دون ان افعل خشية أن ازعجك ، أو أن ابدو لك بلهاء ٠ فأنا اهتم بردود فعلك اكثر من اهتمامى بمشاعرى » ٠

« عندما افكر فيك ، وأنا افكر فيك دائما ، اشـــعر بموجة من الرقة تجتاحنى ٠ اننى اعرف اكثر من أى شخص اخر كم يمكنك أن تكون قاســيا وشكاكا وحريصا ٠

ولكننى اغفر لك وسأغفر لك دائما ٠

وصله خطابي هذا المكتوب بطريقة القرن التاسع عشر مساء اليوم الذى حدث فيه انقلاب كمبوديا ٠٠ واشك كثيرا فى انه قد قراه ٠ اقلعت بى الطائرة وحملتني الى فصل جديد من حياتى المهنية ٠٠ لكنني كنت افكر فيه ٠

● **لم يولد في اسرائيل :**

أن تشعر بأن انسانا آخر يعيش في داخلك لايعنى ان تضر بأعمالك ، بل على العكس فان الرقابة والجهد المبذول يمكن ان يتضاعف ٠

وقد كنت في حاجة الى هذا وانا ازور هذا البلد الصغير المعقد ٠ كانت ايامي في اسرائيل صعبة ومشحونة بالعمل ٠ وحتى في الليل لم يكن يمكنني أن أنام فهم هناك لا يستعملون « الشيش » على النوافذ ٠ لقد كانت لقاءاتى مستمرة فى المدن وفى الكوبوتز التى زرتها بحثا عن فكرة حية وطريفة ٠٠ تصلح للفيلم ٠

الصبرا هو الشخص المولود فى اسرائيل ٠ والكلمة تعنى الصبار ، والشخصية دائما عنيدة صلبة حادة ٠ وهناك اكتشفت اوجه الشبه الكثيرة التى تجمع بين هنرى وبين الصبرا ٠ وفى مزرعة من المزارع اكتشفت مصادفة أن هنرى كان فى زيارة هنا منذ سنوات ٠ ففى اثناء زيارة لمصنع من مصانع النسيج قرب هيوزلا قال لى احدهم :

ـــ هل تعرفين أن ابن عم كيسنجر يعيش هنا ٠٠ وهو رجل غنى وصاحب اعمال مزدهرة ، وعندما جاء هنرى كيسنجر ليزوره كان يرتدى بدلة بسيطة حتى لقد كان يبدو ان ابن العم هو الذى جاء من هارفارد ٠

وجاء غزو كمبوديا ومظاهرات الطلبة في جامعة كنت ليحدث فى القدس نفس الدوى الذى احدثه فى كل مكان ٠ لم اكن اعرف هل وافق هنرى على الغزو ام انه تورط مع الآخرين ، وقد ايقنت انه لا يمكن الوصول الى الحقيقة اذا لم تكن جميع التفاصيل تحت يدك ، لذلك أخذت أقرأ كل ما يقع تحت يدى من جرائد أمريكية فى محاولة يائسة لان أرى الاشياء بوضوح ٠

من الصعب ان يكون رجل الاحلام شخصية عامة ٠ ومع ذلك فهناك مزايا لهذا الوضع ، فقد كنت استطيع وانا على بعد مئات الاميال عنه ان اعرف اين هو وكيف يمضى وقته ٠ فى تلك الايام وقعت فى يدى صورة لهنرى مازلت احتفظ بها حتى الآن ٠٠ صورة له وهو متعب مرهق يواجهه مجموعة من الطلبة الذين جاءوا الى البيت الابيض ٠ وعلى الرغم من الاجهاد البادى على وجهه الا اننى لاحظت انه يرتدى ملابس افضل واناقته تبدو

واضحه · بحثت عن كارت ارسله له فاخترت كارت يحمل صورة « قلعة الماسادا » رمز المقاومة عند اليهود وارسلتها له بعد ان كتبت عليها « اعلم اننى الى جوارك فى وقت الضيق » ·

بدا موضوع الفيلم الذى ابحث عنه يتبلور بعد لقاء عابر مع مهندس شبه مجنون كان يحلم بمشروع انشاء قناة اخرى غير قناة السويس كطريقة لضرب مصالح العرب · لقد كانت هذه الفكرة المأساوية المضحكة فى نفس الوقت مصدرا لفكرة الفيلم · وتم كل شىء بسرعة فقد اخترت مكان التصوير فى ايلات ، واخترت البطل من قرية مجاورة ·· وبالمصادفة كان بطلى يشبه هنرى وكأنه أخ له ·

استغرق العمل فى السيناريو خمسة اسابيع طرت بعدها الى هوليود لكى اتفق على الفيلم ، الذى تعدى حدود الشاشة الصغيرة · وانا اهبط فى مطار لويس انجيلوس لم يراودنى اى شك فى امكانية التعاقد على الفيلم بسهولة ، أليس جميع المنتجين هنا يهودا ؟ انهم بلاشك لن يترددوا فى التعاقد معى على هذا الفيلم ·

ولكن ما حدث هو العكس تماما · لقد فشلت كل محاولاتى ، وكانت اتصلاتى القوية تفشل دائما فى ان تقدم لى أى مساعدة · وبدا أن غيابى عن الاولاد فى باريس يطول دون مبرر ·

● الاتصالات مقطوعة والمحادثات مسجلة :

ما أن وصلت الى هوليود حتى حاولت الاتصال بالبيت الابيض ولكننى علمت أن هنرى مع الرئيس فى سانت كلامنت ، وانه قريب منى جدا · حاولت الاتصال به هناك ، ولكن كل المحاولات فشلت · ولم تكن الاقامة الطويلة فى بيفرلى هيلز ممكنه لا من الناحية المادية ولا من الناحية النفسية فما أن وصلت الى واشنطون حتى مررت على بيت هنرى ووضعت ورقة فى صندوق البريد · اتصل بى فى المساء وقال بنفس الصوت الدافىء :

ـــ ماذا كنت تفعلين فى بيفرلى هيلز يا دانيل ·

وبدأنا نتحدث وكأننا لم نفترق ، تحدثنا على التليفون اكثر من ربع ساعة وقال لى فى نهاية الحديث بعد أن ابديت له قلقى الشديد عليه :

ـ ابدا لاشىء ، اننى فى أحسن حال · هناك متاعب كثيرة ـ ولكن لا شىء غير عادى · نعم ، بالتاكيد ، لقد تسلمت خطابك ، والكارت ايضا · لابد أن اراك قبل ان تسافرى ·

ومرة أخرى تحدد موعد ثم الغى ، ثم تحدد ثم الغى . ولكننى وجدت نفسى اخيرا اشاركه افكاره صباح يوم الاثنين فى البيت الابيض .

ما أن جلست فى مكتبه حتى لاحظت أن هناك اشياء كثيرة تغيرت . لم يكن اهمها التغير الذى طرا على الاثاث فى المكتب . ولكن المزعج حقا كان هذا الجو الرسمى الذى يشيع فى حركات هنرى معى وكأننى اقابل شخصا مسئولا فى الكرملين .

ساد صمت قصير ، حاولنا ان نقطعه بسرعة .. وجاء صـــوت هنرى غريبا معدنيا يقول :

ـ دانيل .. لقد قالوا لى انك متعصبة .. « كلمة متعصبة فى الاصطلاح الامريكى تشمل جميع الانحرافات السياسية الممكنة) . لم اكن اعرف شيئا عن افكارك عندما تقابلنا اول مرة .. اعتقد انه من الافضل لنا معا ان نوقف هذه العلاقة قبل أن تتطور .

عادت الى ذهنى بسرعة تفاصيل اللقاءات فى بيفرلى هيلز ، والطريقـة التى تهرب منى بها بعض معارفى ، وصعوبة الاتصال بالبيت الابيض اخذت انظر الى هنرى وهو يواصل حديثه ، ولكنه كان ينظر فى ناحية اخرى ولـم تلتقى عينانا ابدا . لقد كان يبدو وكانه يتحدث الى شخص اخر ، شـــخص موجود خلف الابواب . وشعرت بالتأكيد ان محادثتنا مسجلة .

كيف يمكن لشخص مثل هنرى أن يسمح بحدوث هذه المهزلة ؟ وماذا تعنى كلمة « متعصبة » دون شـك .. ولكن لعملى فقط ، ولبحثى الحر عـن الحقيقة ؟ بل لقد قادنى تعصبى هذا الى هجرة الايدليوجيات سواء من اليمين أو من اليسار . ربما لا اكون بارعة الذكاء ولكننى مسلحة بالامانة والقـدرة على التذوق وهى خصال تمنع من التعصب .

وانا اسمعه يتحدث فى مكتبه تحول غضبى الى حزن . فقد احسست أن الرجل فى ازمة ، وان عليه ان يصدق الاجهزة التى تعمل فى خـدمته . وان هذه الاجهزة لو ارادت لاستطاعت ان تقلب كل لحظة من لحظات هـــذه العلاقة الى شىء اخر . وهى قادرة دون شك على أن تجعل منى جاسوسة . ومن يدرى ربما كان هذا هو ما قالوه له .

وقد كانت اللهجة التى يتحدث بها الى تؤكد هذا . وكانه يحاول أن يقنع الشخص المختفى فى الغرفة بانه يصدق ما قيل له .

لقد تبخر كل شىء فى لحظات . الشهور الطويلة التى امضيتها افكر بحنان واخلاص فى هذا الرجل .. ها هى ذى الان جثة هامدة امامى .

لم يكن اى منا يريد ان يطيل اللقاء بعد هذا • ولكننى لم اعرف كيف انسحب دون أن احاول ان اقول له ما اعتقد :

ــ لقد سمعت ان ثلاثة من مساعديك قد تركوا المكتب •

ــ نعم •

ــ لقد كانوا من افضل العاملين معك •

ــ نعم هذا صحيح •

وهرش فى انفه فى ارتباك ، وشعرت بأسف له وهو مرتبك كانه تلميذ ضبط يخالف التعليمات وعادت الى صورته التى احتفظ بها وهو يواجه طلبة الجامعة ، وكان يبدو ان اللقاء يجب أن ينتهى فخرجت بعد ان حاولت أن اجمع يده بين يدى وانقل له بعض مشاعرى الصادقة التى يستحيل تسجيلها أو تفسيرها •

حاولت أن ارى مساعده الجنرال هيج لكى اودعه ، ولكن هنرى خرج ورائى ونادى على الجنرال وكانه يخشى أن يدور بيننا حديث •

وبعد كل هذه الآمال التى خابت فى هوليود وفى واشنطون اخذت الطائرة ، ورجعت الى باريس •

لاول مرة منذ سنوات امضى الصيف مع بناتى فى باريس • لم يكن من الممكن السفر الى أى مكان ، وكن يشعرن أن الضائقة التى نحن فيها ترجع لسبب أو لاخر الى تلك العلاقة الغريبة التى ربطتنى فى الشهور الاخيرة مع كيسنجر • ولكننا لم نتحدث فى الموضوع مباشرة •

سافرت عدة مرات خلال الصيف فى اعمال سريعة فى أوروبا ، ولم اتردد فى أن ارسل لهنرى خطاباتى من أى مكان انقل له فيها رايى ورأى من اقابلهم فى تصرفاته ومناوراته السياسية العاصفة والسريعة •

وفى نهاية اغسطس جاءت فرصة اخرى لكى أرى هنرى • فقد وجهت لى الدعوة لحضور مؤتمر يعقد فى كولورادو لبحث المشاكل الاجتماعية المصاحبة لتطبيق التكنولوجيا وكان المؤتمر يعقد فى قرية اسن وهى من أجمل المناطق الجبلية فى أمريكا •

هناك قابلت كثيرا ممن عرفتهم وعادت لى بشكل واضح ذكريات الايام التى عملت فيها فى الفيلم القديم عن هنرى ، التقيت هناك باستانلى هوفمان ، ومكنمارا ، وبغيرهم •

وفى حفل الكوكتيل الاول قال لى هوفمان فجأة ونحن نقف فى الشرفة :

ــ هل تعرفين أن صديقنا هنرى سيصبح نجما فى فيلم للسى بى اس ، فيلم طويل ملون يظهر فيه نصف عارى على البلاج •

لو كان قد صفعني لما احسست بمثل هذه المفاجئة . فقلت .

— السي بي اس تنتج فيلما عن هنري هذا مستحيل ، لقد منعني من أن ابيع لهم فيلمي بحجة انه لا يريد ان يظهر على التليفزيون في أمريكا .
— لابد وانه قد غير رأيه ، أنه الآن في كل المجلات مع كل أنواع الممثلات فماذا يمنع من فيلم ملون في ال سي بي أس .

عادت الى تفاصيل اللقاءات . والمواقف التي ضحيت فيها من أجل موقف صادق مع كيسنجر . بل وقد فهمت الآن أعماق موقفه الاخير معي في مكتبه ، لقد كان يدفع عن نفسه الشعور بالذنب بعد أن وقع مع الشركة موافقته على تقديم الفيلم . هل هذه أمريكا ؟ أم هل هذا هو هنري ؟

كل انسان لنفسه فقط . من يخسر هو المخطىء ، لايهم أن تكون أمينا ، ولكن المهم أن تكسب .
عقب هذا الحفل وصل هنري الى المؤتمر في طائرة خاصة تابعة للبيت الابيض وكان الجميع في انتظاره ، ولم أكن قد تغلبت على صدمة الفيلم بعد ، كنت اقف الى جوار هوفمان الذى قال لي :

— انه يبدو مستمتعا جدا بكل هذه الأهمية ولكنني أعتقد انه لم يفسد بعد .

ولكنه حدد لي موعدا في البيت الابيض يوم ٩ سبتمبر للغداء
حدث بعد ذلك أن طلبت مني فتاة شقراء قالت أنها تعمل صحفية حديثا عن الفيلم الذى قمت بتصويره عن هنري ، واثناء الحديث شعرت بأن الفتاة تريد أن تكشف شيئا ما .. فاثار الموقف غضبي وقطعت الحديث .

لا شيء ثابت .. حتى الحقيقة

قبل أن أذهب الى موعدي في البيت الابيض أخذت أتجول في شوارع واشنطون ، كنت أحاول أن أنتقي هدية صغيرة لهنري ، فوقع أختياري على محفظة صغيرة من المغرب أخذتها بعد أن وضعت عليها حروف أسمه .
في البيت الابيض كانت هناك أكثر من مفاجأة ، أن هنري لم يعد يقيم في البدرون ولكنه انتقل الى الدور الاول اكثر قربا من الرئيس . أما المفاجأة الثانية فهي ان هنري كان مشغولا الآن بتصوير اللقطات الاخيرة في فيلم ال سي بي أس وقد أختار لي الوقت المناسب لكي أرى الاشخاص الذين انتصروا علي .

جلست في الانتظار ، الذى طال وخرج هنرى كعادته لكى يعتذر . ثم شاهدت رجال التليفزيون يجمعون الاسلاك ويرفعون الكبلات فعلمت أن التصوير قد انتهى ، وخرج هنرى مسرعا يبدو عليه الحرج وسألنى هل أريد أن أتناول غذائى هنا أم فى الخارج وكنت أريد أن أخرج . فخرجنا .. ولاحظت أن هناك حرسا يتبعوننا ..

كان الجميع فى المطعم الذى أختاره يعرفوننا .. استغرق على غير عادته فى اعداد قائمة الطعام وطلب لى «بط بالبرتقال» ، ثم بدأ يتحدث عن الفيلم ، ورفع وجهه يسألنى :

ـ هل تعتقدين أننى تصرفت تصرفا سليما ، لقد صورونى فى ملابس غريبة ، بل لقد صورونى بلا ملابس تقريبا .. ولكنهم متخصصون أليس كذلك ، انهم يعرفون عملهم .

هززت رأسى موافقة ولم أقل شيئا ، فعاد يقول :

ـ ان فيلمك كان بالفرنسية على أية حال ، وهو الآن قديم يرجع الى فبراير .

هكذا ... انتهى كل شيء ، لقد وجد لنفسه المبرر ، وهو الآن يشعر بتحسن ، حاولت أن أغير الموضوع فقلت له :

ـ .. أوه .. أنا لم أعطك هدية بعد .

ـ لقد أحضرت لك هدية .

ثم أضاف انه يحب الهدايا ولكن أحدا لا يقدم له شيئا .

فسألت .

ـ ألا تقدم لك كل الممثلات التى تخرج معهن شيئا .

ـ أنهن مملات جدا . انهن يحصلن معى على دعاية مجانية .

شعرت بأن هناك شيئا غريبا يحدث لشخصية هنرى ، وان شخصية لاعب البوكر التى تتمثل فى شخصية نيكسون تغلب فيه شخصية لاعب الشطرنج . لقد كان واضحا أن هنرى لم يعد يتحدث فى نهايات الاشياء ، لم يعد يرى حقائقها .. ولكنه غارق فى الظروف .

أنتهزت لحظة صمت . وقلت :

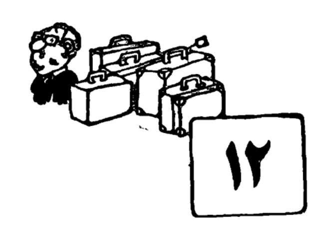
ـــ فى المرة الاخيرة عاملتنى كما لو كنت متهارى الجاسوسه .

ـــ لا . أنت لست كذلك ، أنا أعرف من أنت .. ولكننى أمام شخصيتك ونظرا لظروفى يجب أن أهرب .

ـ هنرى .. هل تكذب أحيانا .

ـ نعم عندما يكون هذا ضروريا للدفاع عن نفسى .





أعلن ان نيكسون سيقوم بجولته الأوربية الشهيرة . وكان هذا الحدث الجديد فرصة لكى نعود حية فى خيالى كل الذكريات والمناقشات واللحظات العصيبه التى عشتها .

ظللت أتابع أخبار الاستعداد للزيارة فى باريس وأمريكا . وأتابع تكهنات الصحف عن الدور الذى سيلعبه هنرى فى الاتصالات مع القادة والزعماء الأوروبيين . وتذكرت بعواطفي وقلبى كلمات هنرى لى فى لقائنا قبل الأخير .

ـ سوف أجىء الى باريس يوما .. ونمضى معا عطلة نهاية الاسبوع .

وفى يوم الأحد تلقيت دعوة من السفارة الامريكية لتناول العشاء مع هاربرت كلين . مدير العلاقات العامة للبيت الأبيض ئ فى لقاء موسع مع الصحفيين فى باريس . وكنت أعرف هاربرت : صحفى محترف قديم قادم من كاليفورنيا ، ربط مراكبه جميعا فى قافلة نيكسون منذ البداية وخاض معه كل المعارك الانتخابية وغير الانتخابية .

وفى العشاء فوجئت بأننى أجلس الى يساره مباشرة . ولاننى لا أعرف كيف أغير طريقة حديثى ، ولا أعرف كيف أحول أفكارى على هوى محدثى ، فقد

بدأت أتحدث معه قائلة بصراحة أنني لا أعتقد أن نيكسون قد أستطاع خلال هذه السنوات ان يكتسب الشخصية المقنعة التى تبعث على الثقة ، وان العلاقات القائمة بينه وبين الجماهير يشوبها كثير من الأفتعال وقلة الجدوى • كنت أقول له هذا ، لانني أعرف انه رجل مسئول ومؤثر ، واقول أيضا أعتمادا على أننى أصدر فى موقفى هذا عن حب وتقدير للتجربة الامريكية كلها • لو كان هنرى كيسنجر هو محدثى نفهم ماذا أقصد ولدفع الحديث الى آفاق أكثر فائدة وجدوى • أما محدثى هذا فقد بدا عليه الغضب وكأننى أتحدث عن كفاءته الشخصية ، وانتهى حديثنا كما بدأ أو اسوأ •

فى اليوم التالى مباشرة أعلن ان هنرى سيتوقف بمفرده فى باريس لمدة أربع وعشرين ساعة لاجراء محادثات عاجلة مع رئيس وفد فيتنام الجنوبية • ومن الطبيعى أننى لم التقى بكيسنجر فى هذه الزيارة ليس هذا فقط بل أن التليفون فى منزلى بقى صامتاً لم يدقّ • والاغرب اننى علمت فيما بعد أن قائمة المدعوين للعشاء الذى رتب فى هذه الزيارة قد رفع منها اسم واحد، وكان هذا الاسم هو اسمى •

وعندما فكرت فى هدوء فيما حدث أكتشفت أن هذا كان تصرفا طبيعا يتفق مع خجل كيسنجر الفطرى فقد حاول أن يتجنب دعوة سيدة بمفردها فى حفل شبه رسمى قاصر على بعض الرجال المقربين • وأحسست أن الرجال من أمثال هنرى يفضلون فى أغلب الاحوال مصاحبة السيدات البسيطات اللائى لا يكن دائما مصدر أزعاج • وقد تذكرت أنه قال لى معلقا عندما سألته عن مرافقته المستمرة لنجوم السينما الحسناوات :

ـ أنهن مريحات جدا •

لو لم تكن أقدار هنرى قد ساقته الى البيت الأبيض ، لو كان قد بقى مدرسا مغمورا فى اكسفورد لكان من الممكن ومن الطبيعى بالنسبة لشخصيته أن يقع فى غرام جارف مع امرأة ما وان يضحى من أجلها بكل مستقبله •• أنه يذكرنى بشكل ما ببطل قصة الملاك الأزرق •

مسكينة انا اذن • واقعة حتى قمة رأسى فى غرام مع هذا الوحش الذى يمثل كل عقد السلطة وبطشها ، أبكى فى ركنى المنعزل • وتكف كل وسائل الثقافة والحرية والتجربة والفكر عن أن تقدم لى سبيلا أخرج به من الحالة التى تجد جميع النساء انفسهن فيها فى قلب قفص الغرام • الحالة التى تجعل منهن فى الشكل وفى المضمون مجرد « كائنات مسكينه مثيرة للشفقة » •

لقد عاشت بناتى معى كل لحظات الفرح والتعاسة • وراقبتنى فى صمت

وقلق وما كادت الكبرى تراه فى التليفزيون حتى قالت لى مواسيه :

ـ ولكنه منظره فظيع ياماما

لقد كانت هى تعبد النجم الامريكى شارلتون هوستن

وقالت الصغرى وهى تشارك أختها

ـ ولكنه يضع يده فى جيب البنطلون ٠

ـ فظيع أم لا ٠ يضع يده فى جيبه أم لا ٠٠

لقد كنت أتمنى حقا مجرد أن يتصل بى بالتليفون ٠

متعصبة ٠٠ ولكن للحق والعدالة ٠

لم يكن العقل او التفكير هو السلاح الملائم للحالة النفسية التى أصبحت فيها ٠ كانت كل المواقف تقودنى اليه ، وكل الصور تدفعنى الى التفكير فى ردود فعله أو بالاصح سلبيته معى ٠ أصبحت أسمع بناتى وهن يحاولن تعزيتى تعزية صريحة :

ـ لقد كان مشغولا جدا ٠

ـ كل هذا السفر والجرى وراء نيكسون لا يترك له لحظة واحدة لنفسه ٠

ـ ربما نسى رقم تليفونك ٠

ـ ربما حاول الاتصال بك وكان التليفون مشغولا ٠

كل هذه الأشياء المحتملة والبسيطة لم يكن لها وقع فى نفسى أبعد من مجرد الصوت ٠

وجدت نفسى أسترجع تاريخ حياتى فى محاولة يائسة لتفسير كلمة « متعصبة » التى اتهمنى بها هنرى ٠ تذكرت الضوضاء التى أثارها رجال الجيش الامريكى حولى أثناء تغطيتى للحرب فى جنوب شرق آسيا ، وتذكرت أنهم أصروا على أبعادى فى الأيام الاخيرة ٠ كذلك عاد الى ذاكرتى الموقف الذى أتخذته منى السلطات فى فرنسا أثناء حرب الجزائر ٠٠ ولكننى كنت أجد أن كل هذه المواقف دليل على موقفى الشريف ، وهى فى الحقيقة مصدر سعادتى ونجاحى ٠

وفى تلك الايام قررت أن أقبل دعوة دبلوماسى أمريكى شاب للعشاء بعد أن ظل يلاحقنى مده طويلة ٠ ومن الطبيعى ان يشغل هنرى والحديث عنه كل اللقاء ٠ وفى غيرة طفلية حمقاء ، قال الدبلوماسى :

ـ هنرى كيسنجر ٠٠ هنرى كيسنجر ٠٠ أنه لا شئ ٠

نظرت الى الدبلوماسى الشاب الغنى فى أشفاق ٠ فانه حقا لا يستطيع أى يرى الغنى أو التنوع الذين يملئان شخصية هنرى ٠ ان لهنرى حدودا

واخطاء ، ولكنه بالتأكيد يأتي في مستوى اخر فوق كل هؤلاء الدبلوماسيين الذين لا يملكون سوى الاناقة المصنوعة ، والثقافة السطحية ، والاصل الاورستقراطي · أنني معجبة بهنرى بالذات لأنه قد تفوق على هؤلاء جميعا واخضعهم لفكره ولمنهجه الخاص في رسم السياسة الامريكية ·

وفي اليوم التالي وضعت الظروف في طريقي صحفيا امريكيا شهيرا ، كان زميلا في حرب فيتنام وكنت أعرفه معرفة وثيقة ، والاهم من ذلك انه كان صديقا حميما لهنرى · تقابلنا مصادفة في حفل كوكتيل أنا وبوب ، ومنذ اللحظة الاولى صار هو مركز العالم بالنسبة لي · أخذت أسأله على كل شيء يتعلق بهنرى عن حياته ، عن أصدقائه المشتركين ، عن الالوان التي يفضلها ، هل عرفا هما الاثنان أمرأة واحدة ·· على كل ما يخطر على بالي · وأحس بوب باهتمامي فأخذ يجيب في أمانة واسهاب · وكان لقاء ممتعا أستمتعت فيه بالحديث الحر الذكي عن الشخصية التي أحبها · وفي نهاية اللقاء قال لي بوب :

ـ هنرى ·· أنني أعرفه جيدا · أنني واثق أنك أنت بالتحديد هي الفتاة التي يتمناها دائما · أنك انت النوع الذي يفضله ·

وعلى الرغم من أنني لم أوافقه تماما الا انني سألته :

ـ ان هنرى يخاف من النساء ·· أليس كذلك ·

ـ لقد حرقت أصابعه مره · ولكنه ما زال يبحث عن حل لتوتره الابدي في صحبة الجميلات منهن ·

كل هذا لا يعني أنني احبك :

دعتني السفارة الامريكية بعد ذلك لحضور عرض خاص للفيلم الذي صورته ال سي بي أس لهنرى · وقد كنت متحرقة شوقا لرؤية بطلي في أيد غريبة · لم يكن هناك شيء أكثر أو أقل مما توقعت · لقد شحذت كل الكفاءات التكنيكية والامكانيات الفنية لتقديم صورة مسطحة وقبيحة لهنرى · صورة خالية من أى قدر من الدفء والحرارة الانسانية · وما ان وصلت الى الجزء الذى صوروه له وهو على شاطيء البحر عاري الصدر والساقين وأطفاله يلعبون فوق كتفيه ، حتى قمت واقفه وتسللت خارجة في الظلام ·

ذهبت مباشرة الى البيت وأخذت اكتب خطابا لهنرى :

« أنني أفكر فيك بشكل منتظم ودائم ، الى حد أنني أسأل نفسي في بعض الاحيان أين يسكن مستر كيسنجر أفي البيت الابيض أم في رأسي · أنني أفكر جديا في أن أكتب تاريخ حياتك ·· وطبعا لن أقوم بهذا دون

موافقتك ٠٠ سواء أكنت صحفية أم لا ، فأنا لم أعتبرك ابدا « مصدرا للاخبار » وهذا لا يعنى أننى أحبك ، ولكن لاننى بذلت جهدا خارقا لكى أفهمك ، فقد مست أعصاب الحب دون قصد وقادت الى حالة الرغبة فى الخلق التى أشعر بها ، من أجل هذا أشعر برغبة فى الكتابة لكى أخرج من داخلى الشخصية التى تنبض فى خيالى دون أن ترى النور » ٠

ولم يتلق خطابى هذا ردا ، ولكننى علمت فيما بعد أن هنرى قد تأثر به بشكل خاص ٠ لقد قلت له فعلا أننى لن أكتب كتابا عنه الا بأذنه ٠٠ ولكن الاحداث فى قصتنا لم تكن قد أنتهت بهذا الشكل التراجيدى الذى سمح لى بأن أخرج للقارىء هذا الكتاب ٠

من حق القارىء أن يسأل كيف اسمح لنفسى بأن انشغل واشغله بقصة رومانتيكية لحب خائب ٠ أنها فى الحقيقة ليست كذلك ، كما أننى فى أثنائها لم أتوقف عن العمل لحظة واحدة ، كذلك لم أتوقف عن العمل للتليفزيون ٠ لقد كانت علاقتى مع هنرى منشطة الى أقصى درجة ٠ لأننى كنت دائما مدفوعة لان أكون فى قمة الوعى ٠





حى ديسمبر وجدت نفسى مرة أخرى فى فلورنســـا • وفلورنسا مدينة أعشقها واعرفها ظهرا لقلب ، أعرف أحجارها وبيوتها ، وكل مفاتنها • وأعود اليها فى فرحة اللقاء لموعد غرامى •

وعلى جبل سان منيتو فى نقاوة الفجــر أجتاحتنى رغبة عارمة فى أن يشاركنى هنرى هذه اللحظة • فعلى الرغم اننى أعرف أن أحساسه بالجمال ليس مرهفا كحاسته الفكرية والعقلية ، الا أننى أيقنت أنه ســوف يفهم • وسيكتشف من جديد الموسيقى التى تنبعث من هذا المنظر حولنا • الجبل ، وأشجار الزيتون ، والفجر •• تحت قبة السماء الزرقاء ، والمدينة فلورنسا فى وسط كل هذا نائمة لم تستيقظ بعد ، لا ترتفع فوق بيوتها مدخنة مصنع واحده • ولا أعلان واحد ، ولا عمود تليفون ولا ســلك •• وأدركت انه لو كان موجودا لفهم كما فهمت أن فلورنسا هى تحد للزمن نفسه ، وانها أخاذة حتى لأقل العيون تعودا على رؤية الجمال •

أن هذه المدينة تطرح كما لا يفعل أى مكان قضايا الانســان فى روعة فنية تقارب موسيقى باخ أو بترارك • انها ترنيمة أبديه رددتها الروح •
وأنا أهبط الجبل وسط شجيرات الزيتون الصغيرة كنت ما أزال أفكر فى هنرى • كنت أقول لنفسى أن ميكيافيلى قد ولد هنا ، فى بيت من هــذه

البيوت الحجرية ، أن الفارق بينهما هو تلك الوسامة والاحساس الفائق بالجمال الذى ينفرد بهما ميكيافيلي ، وقد اكتسبهما دون شك من هذا الجمال الذى ولد في وسطه ، لا وسط غابات بافاريا كما ولد هنرى .

أخذت أبحث عن بطاقة بريد أرسلها له . ولكنها كانت جميعا فظيعة مسطحة .

وعدت بعد البطاقة أرسل له خطابا طويلا هل يمكن لى أن أنفذ خلال كل أسواره . هل يمكن للضوء الذى أحاول أن أبعثه اليه أن يشق كتل الظلام . وواصلت سيرى الدائم فى طرقات فلورنسا مفكرة فيه وفى ميكيافيلى .

وتسير الحياة ولا ينقلب الحلم الى الحقيقة ، الى أن رأيت وانا أقلب في مجلة أمريكية صورة لهنرى بوجهه المنتفخ وشعره الرمادى في صحبة ممثلة حسناء شابه ، والصورة مأخوذة فى ناد ليلى باهر . انني فى الحقيقة كنت أحب هذا النوع من الصور . فرجل مثله مثقل بفظائع عمله الشاق من حقه أن يرتاح وليتمتع ، وهذا الذى يفعله هو دون شك أفضل من أن يمضى بقية وقته في وسط دوائر المسئولين الرمادية اللون القاتلة .

ولست أدرى ماذا كان فى هذه الصورة بالذات . ولكنها بلورت فكرة كانت تراودنى لفيلم تليفزيونى طويل . لقد كان هناك شيء في الصورة يؤكد أن هنرى يكتسب من هذه الفتاة الجميلة الساذجة العقل دون شك ، شيئا حيويا وأساسيا جدا لوجوده كأنسان . لقد كان هنرى يرى أن يبقى ملتصقا بالشباب لكى يقاوم الشيء الوحيد الذى لا يقاوم وهو الزمن .

لقد بلورت الفكرة ونفذتها خلال أيام . فقد درت في وسط مصانع فرنسا الكبرى واخترت شابا مهندسا كهربائيا فى مصنع للطائرات لكى أدور معه حول العالم واكتشف العلاقة التى بين الصور التى فى ذهنه عن الامور وبين واقع الاشياء نفسه .

كان على الشاب المهندس أن يختار ثلاثة بلاد تكون المجتمع المثالى في ذهنه ، وندور معا بالكميرات نسجل انطباعته وانفعالاته . وكان شابا جميلا فاتنا أشقر ، وكانت البلاد التى اختارها لحسن الحظ هى : كوبا . وامريكا . واليابان .

وقد لاقت الفكرة ترحيبا غريبا من كل من فى التليفزيون وجندت لها أمكانيات لم أحلم بها من قبل . وكان علينا أن ندور حول العالم فى أقل من اربعين يوما وان نعود لنقدم فى أقل من شهرين فيلما طوله تسعون دقيقة .

وقالت لى مديرة التليفزيون وهى تتمنى لى بحرارة التوفيق .

ـــ ما أجمل هذا الشاب ٠٠ وما أبرع الفكرة ٠٠ كم عمره بالتحديد ؟
ـــ العشرون ٠ فبعد العشرين يدرك كل انســـــان أن المجتمع المثالى لا وجود له ٠

وبدأنا الاوديسه الجديدة ٠

مع هنرى من جديد

ما أن وصلت أمريكا حتى فكرت فى الانصـــال بهنرى ٠ كان قد مضى وقت طويل لم أســـــمع صــوته وان كنت لم أكف لحظه فى التفكير فيه بل والكتابه اليه ٠ شيء صغير لم أذكره وسط كل هذه التفاصيل التى اغرقت القارىء بها . هو اننى كنت احمــل رقم تليفون هنرى الخاص ٠ واننى كنت أستطيع فى أى يوم ان أتصل به ٠ اما فى تمام السابعة صباحا ، أو بعــد الواحدة مساء ٠ فقد كان موعد نومه واستيقاظه هما الشيئان الثابتان وسط كل الفوضى التى تملأ حيــاته ٠

أتصلت به فى السابعة صباحا ، وكان صـــوته كما هو دائما ، دافىء وحار وعلى الرغم من انه لم يكن قد استيقظ بعد الا أنه قد عرفنى فورا ولم يسأل من أنا وصاح :

ـــ كم أنا سعيد لانك رجعت الى هذه البلاد ٠ تعالى على الغذاء ٠ هــل تحبين هذا ؟

ولانها دعوة لا تقاوم فقد رتبت أمورى ، وكنت هناك فى الموعد ، مع هنرى من جديد فى هذه المرة كانت هناك اشياء كثيرة نتحدث فيها ٠ وكان هنرى يبدو متألقا وقادرا على النفاذ الى أعماق ما أشعر به ٠ كلمته عن مشروع الفيلم ٠ وأبدى أعجابه به ٠ وقال وانا أعرض عليه صورى مع بطلى القادم :

ـــ هل أستطيع الاحتفاظ بصورة ؟

هل يمكن أن يقول رجل هذا السؤال لسيدة دون أن يعنى شيئا ما ٠ ثم حدثته بصراحة عن رأيى فى حملات الدعاية التى يقوم بها نيكسون لنفسه وقلت له بصراحة اننى أرى انهم يخسرون الرأى العام كل يوم ولا يكســبون شيئا ٠ وكان يسمع بشغف وأهتمام جدى ٠ قلت له :

ـــ هنرى ٠٠ هل هناك أحد يسجل عليك لقاءاتك الخاصة فى مكتبك ٠

ـــ لا ٠ لا أعلم ٠ الا اذا كان هذا بأمر من الرئيس نيكسون مباشرة ولا أظنه يفعل هذا معى ٠

فعدت أسأله لماذا لم يتصل بى عندما كان فى باريس ٠٠ فقال :

ـــ لاننى كنت مقيما فى السفارة الامريكية ولم أغادرها ٠

لقد عاد هنرى فى لحظات بريئا صادقا لا يمكن اتهامه . حاول أن يساعدنى فى تحديد موعد مع نيكسون فقال :

ـــ انت تعرفين زيجلر أتصلى به .

ـــ ولكنك ستساعدنى .

ـــ بالتأكيد .

أمضيت مع هنرى وقتا أكثر من سعيد وقال وهو يودعنى :

ـــ عندما تعودين من كوبا . أتصلى بى . هل تفعلين هذا ؟

ـــ سوف أحمل تحياتك لكاسترو .

ليس هنا مكان تسجيل تفاصيل رحلتى فى كوبا ، ولكنها كانت فى الحقيقة تجربة مرة جدا . فقد ارتبكت كل المواعيد ، ودخلت فى تعقيدات روتينية وفظيعة من الفساد الادارى والاخلاقى ، وضاع منى وقت طويل فى محاولة وهمية للحصول على لقاء مع كاسترو . لا يمكن أن يكون هذا حكما على كوبا .. ولكننى حقا ، فشلت فى أن أجد هناك الثورة التى كان يحلم بها الشباب . وهذا موضوع يحتاج الى نقاش طويل فى ضوء دراسة تفصيلية لفكرة الثورة فى البلاد النامية .

حاولت من كوبا فى فترة الانتظار والقلق الفظيعة أن أكتب لهنرى عن هذه المشكلة ، وأوضحت له كم يهمنى أن أسمع رأيه . ورجعت الى الولايات المتحدة ، وأمضيت مع نجمى التليفزيونى الباهر عشرين يوما نصورفى طول البلاد وعرضها . وكنت أتوقع فى كل مكان أن أحصل على رد من هنرى . ولكنه قال لى فيما بعد أن هذا كان مستحيلا لاننى اخترت الاسبوع الذى كان عليه فيه أن يعد تقريره السنوى عن السياسة الخارجية لامريكا . سافرت الى طوكيو ، بعد أن اتصلت به تليفونيا . وأنا هناك اندلعت حملة شعواء ضد كسنجر قادها اعضاء الكونجرس واخذوا يهاجمونه ويقولون انه يستولى على السلطة فى أمريكا .

وأرسلت له خطابا أقول فيه أن قلبى معه . فرد بخطاب طويل يحدثنى فيه عن رغبته فى الاستقالة .. وكتبت له ارجوه أن لا يفعل على الرغم من أن أستقالته كانت ستعنى اننا نفتح كل الابواب أمام علاقتنا .

وصلت باريس . وأعلن فى اليوم نفسه أن هنرى سيصل بعد عشرة أيام .

جعلتنى تصرفات كيسنجر أفكر فى مصير علاقتى معه هل . يصنع كل رجل وامرأة مصيرهما الخاص الذى يستمدان عناصره من خصائصهما .

وهل يستحيل علينا أن نهرب من الاقدار التى ترسمها طبائعنا لقد قال لى هنرى يوما :

ـ دانيل .. انها مأساة .
ويومها ضحكت . ولكن هل كان هو يتمتع ببصيرة تكشف المستقبل ؟ أم انه كان يخطط للمأساة بوعى وقصد وتعمد .
تركت بناتي في المصيف الصغير ورجعت الى باريس ومازالت اذكر انني قلت للفتاة الكبرى وانا اغادرها ، وكنت قد عرفت انباء زيارة كيسنجر لباريس :
ـ هنرى كيسنجر سيصل الى باريس في الاسبوع المقبل .
فقالت ابنتي دون أن تدرى كم كانت تصيب لب الموضوع :
ـ ولكن هل ستستطيعين رؤيته ؟
لقد زار باريس مرتين خلال هذه الشهور القليلة ، مرة اثناء جنازة الجنرال ديجول والاخرى لاستكمال مباحثاته مع الوفد الفيتنامى . وفى المرتين لم استطع أن أراه .
فى هذه المرة كان هناك شوق عارم وأصرار على أن اراه . كما انه فى هذه المرة سيبقى فى باريس لمدة اطول ، كذلك سيكون فى هذه الفترة معرضا لجميع الاتصالات الصحفية ، فقد استطاع ان يحمل الى باريس انباء باهرة بانهاء القتال فى فيتنام ، لذلك لن اعدم فرصة لكى التقى به ولو لدقائق .
ما أن وصلت الى باريس ، حتى اتصلت بالتليفزيون وطلبت منهم الترخيص لى بتغطية رحلة كيسنجر فى باريس . وعلى الرغم من أن طلبى جاء مبكرا ، فلم تكن انباء الزيارة قد اصبحت فى بؤرة الاحداث بعد ، الا انني حصلت فى اليوم التالى على موافقة رسمية من التليفزيون .
بعد الموافقة على أن اقدم ثلاث دقائق فى نشرة اخبار المساء يوم وصوله اخذت اجمع كل الجرائد والمجلات التى تتحدث عن رحلته فى آسيا ، وكتبت له خطابا مستعملة أوراق التليفزيون الفرنسى لاول مرة ، وطلبت منه أن يسمح لى بحديث صحفى قصير عقب وصوله الى باريس . لقد استعملت الاوراق الرسمية معه للمرة الاولى ، فاذا قبل كان بها ، واذا لم يقبل فسوف يتصل بى على الاقل . وفى نهاية الخطاب الذى كتبته بآلة كاتبة اضفت بخط يدى :
« هذه الرحلة تبدو كأنها نجاح شخصى ـ عظيم بالنسبة لك !! أليس كذلك » ؟
ولن أصف تفاصيل الاجراءات التى اتخذتها لكى أضمن وصول رسالتى فى الوقت المناسب .
لقد كانت نفسى منقسمة . الجزء الحريص منها يحاول حماية الجزء

المتهور . لقد كنت استطيع طوال الوقت أن أتصور الاماكن وانظارات التى يتحرك خلالها هنرى . لقد زرت كل هذه الاماكن سايجون . ونيودلهى وغيرها . وعندما وصل الى الهند كنت أفكر فى لقاءاته مع أنديرا غاندى ، التى كنت قد قابلتها فى بيتها وفى مكتبها ، وكدت أن أرسم فى خيالى تفاصيل هذا اللقاء .

وأنا أفكر فى هنرى فى الهند ، عاد الى ذاكرتى مرض الدوسنتاريا الذى كان يصيبني فى كل مرة أزور فيها الهند ، هل حذره أحد من أن يشرب كوب ماء ، أو أن يستعمل حتى مكعبات الثلج ؟ فى صباح اليوم التالى علمت من وكالات الانباء أن جدول زيارة هنرى قد تغير لانه أصيب بوعكة صحية فى باكستان .

ولا أدرى كيف أمضيت بقية هذا الاسبوع فى انتظار وصوله . لم اكن أستطيع أن أنام أو ان احصل على طعام ، وكانت اكوام الجرائد وقصاصات وكالات الانباء تتراكم امامي وكأنها تريد أن تدفنني تحتها .

وكان قد أصبح واضحا بالنسبة لجميع الصحفيين أن السياسة التى رسمت فى واشنطون ، وأتقن هنرى تنفيذها فى سايجون ، ونيودلهى ، وباكستان ، هى عدم الادلاء باية تصريحات .

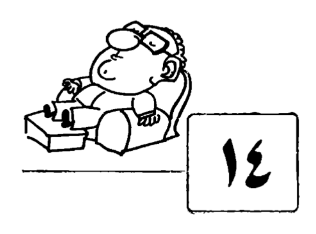
وجاء أحد الصحفيين المحترفين يقول لى وكأنه يحاول أن يعرف منى أسرار زيارات كيسنجر .

ـ هناك يوم خال فى زيارته فى آسيا ؟ الا تعرفين أسرار هذا اليوم . وكان يشير الى يوم باكستان . لم أقل له شيئا . فعاد يقول لى :

ـ لقد علمت انه قابل شواين لاى ، فى باكستان ؟

ولم يكن هذا مقنعا ولكنه محتمل .

كنا جميعا فى المطار قبل وصوله بساعات ، عشرات من المسئولين الكبار واكثر من مائة صحفى كنا ندور فى طرقات المطار خلف دافيد بروس رئيس وفد المفاوضين الامريكيين في باريس ، لكى نحاول الحصول منه على كلمة ، ولكنه كان باردا ومتجمدا كأنه الجليد . كان المطار يبدو جافا خاليا من الحياة ، حتى وصل السفير الامريكى ، مستر واطسون . لقد جاء هو وزوجته ، وكانت زوجتهقد أرتدت ملابس يمكن أن يقال عنها ملابس أمريكية تقليدية ، وكانت قد أحضرت معها أولادها وبناتها جميعا ، وقد أرتدوا هم أيضا ملابس كالفورنيا الملونة ووقفوا فى صف واحد فى أنتظار الزائر الكبير .



١٤

أخذت أراقب الجميع ، المسئولين والصحفيين ، انهم جاءوا جميعا لاستقبال هنرى كيسنجر مستشار الرئيس • أنا وحدى أريده هو • أريد أن أراه وان أتحدث اليه سواء أكان مستشار الرئيس أو مجرد أستاذ بسيط فى الجامعة ... أو لم يكن شيئا على الاطلاق •

لقد اقام المسئولين عن المطار حاجزا بين المسئولين ، وبين الجانب الذى يقف فيه الصحفيون ، وكنت أستند الى هذا الحاجز وأشعر أن هذا هو أول تجسيد بسيط أتعرف عليه لفكرة السلطة

ووصل هنرى • نزل من الطائرة وأخذ يصافح بعض الذين تقدموا الصفوف • كان يرتدى بالطو أسود رغم أن الجو كان حارا ، وكان وجهه يبدو تحت الأضواء منتفخا مشربا بالحمرة • كان يبدو لى وكأنه ملك فى ملابس الكوتشينة • على الرغم من الضوضاء والزحام الذى أحاط به ، فقد كان يبدو لى وحيدا جدا ، تائها كأنه طفل صغير •

لم يكن من الممكن ان أخلو اليه قبل أن يصل الى السيارة • هناك قبل أن يركب السفير الامريكى سيارته وقف هنرى للحظات قصيرة وحده • وهجمت عليه ، ولكنه لم يفزع ، قلت :

ـ كيف حالك ٠٠ هل تشعر بتحسن الآن ؟
ـ دانيل ٠٠ نعم ٠ نعم ٠
ـ هل أستطيع أن أراك لعشر دقائق غدا ٠
ـ طبعا ٠٠
ثم تردد قليلا وقال :
ـ غدا في الصباح ، لا أعتقد ، اتصلي بي على أية حال ٠٠ أتصلي بي ٠
وأقبل بعض الناس واختفى داخل السيارة ٠

ليس هناك داع لان اكرر انني لم استطع النوم في تلك الليلة ، لقد كنت خائفة وكأنني مقدمة في الغد على أمتحان أو مأساة ٠

في العاشرة صباحا اتصلت بالسفارة ، وكان الرد جافا وحاسما :
ـ لا يمكن الاتصال بمستر كيسنجر ٠ لقد قرر تجنب أي اتصال بالصحافة ٠

ولكننا أصدقاء ، وقد اتفقنا امس على أن اتصل به ٠

واتصلت بالملحق الصحفي شخصيا وحاولت أن أشرح له الموقف ٠ ووعدني الرجل أن يكلم هنري مباشرة وان يحمل له أسمي ٠ وأن يتصل بي فورا عندما يعرف رد هنري ٠

لكنه لم يتصل ٠ وكان واضحا أن هنري قد أدار وجهه عندما سمع أسمي ٠ عشرين شهرا أمضيتها في علاقة دائمة ومستمرة مع هنري تجلعني احسم أنه عندما سمع أسمي يتردد على لسان الملحق الصحفي ، أدار وجهه في خجل ولم يرد ٠

عدت الى نفس الظنون والافكار القديمة ٠ هل كان اصراري على لقائه ارباكا له ؟ ٠ هل حملته الافكار الى حد أن يتصور أنني أمارس عليه بصداقتي ضغطا أو أنني أنصب له فخا ؟ لقد وصلت الى الحد الذي فصلت في علاقتي به ، بين نفسي وبين مهنتي ولم أكن معه صحفية ٠

ولم استطع في نهاية كل هذه الافكار الحارقة الا أن أقول لنفسي معزية ٠ لا ، لابد وأن الارهاق قد بلغ به منتهاه ، بعد يوم حافل بالمناقشة والصراع ، لم يجد في نفسه متسعا لحلاوات الصداقة ٠

في الخامسة بعد الظهر ، اتصلت بي ادارة الاخبار في التليفزيون الفرنسي وطلبت مني أن أغطي بأى ثمن رحيل هنري كيسنجر من مطار « أورلي » في باريس ٠

وضعت الشركة تحت تصرفى أقصى ، وأحسن الامكانيات .

لحظة واحدة بين التجمد والغليان :

وضعنى هذا التكليف أمام تحد غـــريب .. كأننى انتقلت فى لحظة واحدة من التجمد الى الغليان .. انهم يطلبون منى بوضوح أن اطارد هنــرى كيسنجر حتى اللحظة الاخيرة واحصل منه على حديث يذاع مباشرة ، وسيكون هذا أول حديث عن الرحلة .

وكان على أن اتخذ القرار ، والا اتردد لحظة .

قبل أن تمضى ساعة كنت فى مطار « اورلى » معى عربة ارسال تليفزيونى كاملة .

وكان قد اصبح من المعروف فىأواسط المراسلين المحترفين ، أن السفارة الامريكية سترتب لهنرى مغادرة سرية للمطار ، وقد اتخذ المراسلون كافــة الاحتياطات لكى يقفوا على جميع المداخل والمخارج فى المطـــــار ، بل ورتبوا اتصالا مباشرا مع مبنى السفارة الامريكيـــة ، ومع نقط للمراقبة فى طريق المطـــار .

وكان على أن اتخذ بسرعة مجموعة من القرارات اتمكن بها من أن أضع كاميرات التليفزيون فى نقط متقدمة تجمع أكبر الاحتمالات .

ان بول فليرى يقول : عند الاعدام لاتهم التفاصـــيل وقد أخذت أنفـذ قراراتى وترتيباتى بهذه الروح الباردة المجردة .

كان الوقت المحدد لمغادرة هنرى باريس هو العاشرة والنصف .. وكنا نراقب صالون كبار الزوار ، والصالونات الاخرى ، ومخارج المسافرين جميعا وفى العاشرة تجمع المراسلون جميعا بالصدفة بعد أن أنهكهم جميعا الجرى فى الطرقات ودار الحديث التالى :

ـ لقد تأكد لى أنه لم يذهب أمس الى مكسيم ؟

ـ اين ذهب مساء الامس اذن ؟

ـ بعد أن غادر السفارة مع الشقراء .

ـ نعم بعد أن غادر السفارة مع الشقراء فى العربة المغلقة لم يره أحد .

ـ كانت السيارة خالية على بعد مائة متر .

ـ هو بالتأكيد لم يذهب الى « المكسيم » .

كان ايقاع الحوار ، والشغف الذى يبدونه فى تتبع لحظات هنرى يبدو لى وكأنه ايقاع فظيع يدفع الى الجنون .

ـ هل تحققت من وجه الشقراء ·
ـ نعم ·· بالتأكيد ـ فى غاية الأناقة ·· لم تكن بالتأكيدامرأة عادية

كانوا يتفرقون ليتأكد كل منهم من أن هنرى لم يغادر المطـــار بعد ، ويعودوا ليواصلوا حديثهم الذى لا يفرغ :
ـ أمريكية ·· أم باريسية ؟
ـ أمريكية على ما اظن ·
ـ هناك أقوال غير مؤكدة انهم ذهبوا الى المطعم ، هذا الصغير ·
ـ ما اسمه ؟
ـ جرين ·· !

كانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة ، ولم ير أحد شيئا ولم يعرف أحد شيئا ·· وعاد المسئول عن الاتصال بادارة المطار لكى يقول أن الموعـد المحدد للاقلاع مازال العاشرة والنصف ·

وكان الاحتمال الوحيد ـ وهو الذى حدث فعلا ، أن هنرى قد دخـــل بالسيارة مباشرة الى آخر ممر الاقلاع ، وانه الآن فى طريقه الى نيويورك ·

فى صالونات المطار التى خلت فجأة من الحياة لم ار الا جثة الاحلام التى عاشت معى عشرين شهرا ملقية بين أسلاك الكاميرات ·
ـ فى الثلاثين أو الخامسة والثلاثين ·

مفاتيح تدور فى أقفال صدأة ·

فى خارج المطار حملت ما بقى من نفسى واخذت طريقى راجعة الى المدينة وسمعت فوقى فى السماء صـــوت الطائرة النفاثة التى أقلعت لتوها تحمل هنرى ·· لابد وان هذه الشقراء التى تحدثوا عنها تجلس الآن الى جواره ·· لم أكن أشعر بغيرة منها لاننى لم اكن اعرفها ·

لمدة عشرين‌شهرا وأناأفكر بشكل‌متصل فى‌هذا ، عشرين شهرا غيرت‌منى وأصابتنى بالكبر ·· لقد حاولت أن افهمه ، وأن احميه وأن أقدم له الضوء فى أشد لحظات الظلام ·

كنت اراقب تحركاته عن بعد ، وأعرف متى ينام ومتى يستيقظ ، ومتى يقابل الرئيس ·· ومتى يغلق على نفسه فى مكتبه ·

لقد كان يدوس على صداقتى بتعمد لم افهم سببه ·· فقد رأيتـه فى المطار فور وصوله وعلى الرغم من أنه غليظ الاحساس فلابد أنه قد شعر بحاجتى

الى لقائه . لا يمكن أن تمنعه مشاغل الارض كلها عن أن يدير قرص التليفون ليعتذر أو ليقول كلمة واحدة .. أن عندي دليلا على أن صداقته كانت قائمة معي في يوم من الايام ، ولا أستطيع أن أجد أي مبررات لتغير هذه الصداقة..

لقد كنت أعرف جميع عيوب هنري ، وقد مرت بي خلال هذه الشهور العشرين كل الغلظة والوحشية والمرارة التي يعيش تحت ظلها .. ولكنني كنت أعرف أن له روحا بريئة بعد هذا كله .. لقد كان انسانا وبسيطا عندما قابلته فهل قتلته السلطة الآن ، وحولته الى انسان مغرور لا يرى الا نفسه . هل هو اذن شك المسئولين الفطرى فى الصحافة ؟ ولكننا كنا فوق هذا جميعه أن الاحتمال الوحيد القائم هو أن الرجل قد تغير .

وعادت الى صورالمسئولين والسياسيين الذين عرفتهم فى حياتى ، لقد كنت أتصور أن هنرى يختلف عنهم جميعا .. أنهم جميعا كانوا يعطوننى الشعور بأنهم مفاتيح تدور فى اقفال صاة ، وانهم عاجزون جميعا عن أن يعيدوا خلق العالم عن طريق رؤية خاصة .

تذكرت فيلم « الموت فينيسيا » .. اننى كنت «كتوماس مان» أطارد الشعر طوال حياتى وابحث عنه فى كل مكان .. لقد تصور توماس مان أنه وجده فى الولد الصغير ، وتصورت أنا اننى وجدته فى شخصية هنرى الانسان الذكى القادر على خلق اللحظات الحقيقية . هل حلمى هو الآخر أسطورة ووهم ، وهل كان الوهم يقود فى النهاية الى موت كامل .

ماذا أحمل لبناتى الآن سوى الفشل والشعور بالذنب ، قابلتهن فى البيت فى فتور ، وحاولت الاختباء فى حجرتى حتى أستطيع تمالك مشاعرى، ولم يوقظنى من هذا الخدر المؤلم سوى تليفونى يعلن لى على لسان صحفى صديق قمة المأساة .

لقد كانت الفتاة التى صاحبت هنرى فى باريس ، هى مخرجة الفيلم التى قدمته الى سى بى أس.

أنهم لم يختاروا سوى الفتاة التى يمكن أن تقتل فى أى احتمال للغفران له .

فى اليوم التالى كان يعلن أن هنرى سيسافر الى الصين ، وكان يصل الى منتهى المجد .

أخذت اراقب تحركاته ، وأراقب ألوان أربطة العنق التى يرتديها .. بمزيج من الاشفاق والقلق على مصير الانسان .

لقد كان هنري بالنسبة لي أملا في الحرية ، ولكنه تجمد .



آراء وتعليقات
على حياة كيسنجر

يروى الصحفى الأمريكى «برنارد بوكوليير » عن زميل صحفى آخر وجد نفسه ذات ليلة مدعوا الى حفلة من حفلات واشنطن الشهيرة

وهناك فوجىء بالدكتور هنرى كيسنجر يتحدثالى فتاةجميلة ٠ والفتاة عيونها تلمع وتضحك من قلبها ولم يهدأ الصحفى الا بعد أن انتحى بالفتاة جانبا وسألها عن الحديث الذى دار بينها وبين كيسنجر والذى جعلها تضحك وعيونها تلمع ٠

قالت الفتاة : ان له أسلوبا جذابا في الحديث وهو ذكي ويستطيع الحديث في أى موضوع ببراعة ولكنه دائما ينهي حديثه بالوصول الى النقطة التي يريد ان يصل اليها مع محدثه ٠

ويكمل الصحفى ان كيسنجر دائما يقول عن نفسه : «انني أستاذ مهاجر من جامعة هاردفورد الى واشنطن ٠وهكذا أجد نفسى هنا فى هذا المنزل الكبير وبين هؤلاء الرجال الكبار وأقف لأتحدث مع فتاة جميلة جدا ٠ انني أعرفأن الأهمية ليست لشخصي ، ولكنها للمنصب الذي أشغله ٠

فلولا انني أقرب المستشارين الى الرئيس ، لما كنت اليوم هنا بينهؤلاء الناس المشهورين وفي هذا البيت الكبير ٠٠ على العكس ٠٠ » وهنا يصمت

ويبدو الحزن على وجهه » كنت الآن أتعشى بمفردي في حجرة صغيرة بأحـــد الفنادق لانني مجرد أستاذ في التاريخ بجامعة هارفرد ٠

ويحرص كيسنجر على السخرية من الاشـــيا التى لايحبها فى نفسه وبهذا يسبق الآخرين حتى لايستخدمونها فى التشنيع ضده ٠
ويتنبأ الكثيرون من أساتذة التاريخ فى الجامعات الامريكية اليـــوم أن التاريخ المعاصر لو حدث كما يهوى كيسنجر ، فان هذا الرجل يكون قد لعب دورا حساسا فى وقت من أوقات التغيير الكبير فىالسياسة الخارجية لأمريكا٠

ويضيف هؤلاء الأساتذة قائلين : ان ردود فعل وآثار مايحـــدث الآن سوف تكون له نتائج لن يستطيع تقديرها وتحليلها الا مؤرخـون لم يولدوا بعـــد ٠

ثم يتساءلون : ماذا ياترى يكون شعور كيسنجر عندما يفحص مؤرخوا المستقبل الوثائق السرية لهنرى كيسنجر وفترته فى البيت الابيض ٠

واذا كان صحيحا مايذكره كيسنجر فى أحاديثه الصحفية من أن عالم السبعينيات ليس فيه مكان للتفكير الذى حكم مشروع مارشال بعد الحـرب وليس فيه مكان للجمل الانشائية الجميلة التي كان يتفوه بها جون كينـــدى الذى جاء في خطابه يوم تقلد منصب الرياسة «ان الولايات المتحدة ســـوف تحارب فى أى وقت وفى اى مكان وأى عدو فى سبيل الدفاع عن الحرية»

اذا كان هذا صحيحا فان مؤرخي المستقبـل سوف يكتبون انه فى عصر كيسنجر أصبحت السياسة الدولية لامريكا مبنية على التفكير الانانى ٠ ذلك ان كيسنجر يصرح اليوم بأنه ليس فى استطاعة أمريكا ان تمنع أو تشترى الد ول لكى تبعدها عن الاتصال بالدول الشيوعية ٠

ويضيف كيسنجر : والآن اصبحت الدول التى تهـم أمريكا فى أوربا بعيدة عن متناول الاحزاب الشيوعية وتستطيع ان تحمى نفســـها ٠ كما أن معظم هذه الدول الغربية يتمتع اليوم برخاء اقتصــــادي ويأخذون بالنظـام الرأسمالى ٠ ومن أجل هذا أصبح الوقت مناسبا جدا لأمريكا فى أن تبـــدأ تخطيط سياستنا على أساس الاهتمام بنفسها أولا وأن تستخدم قوتها فىتأمين مصالحها بطرق جديدة لاتحملها أعباء اقتصادية بل يستحسن ان تكونطرقها تخطيط سياستها على أساس الاهتم بنفسها أولا وأن تستخدم قوتها فىتأنين الجديدة بلا أعباء مالية ٠
ويجمع المعلقون السياسيون هنا على أن كيسنجر استطاع فى السنوات

الثلاث الاخيرة أن يجعل سياسة نيكسون الخارجية أهم وأنجح أعمال نيكسون .

● ما مدى العلاقة بين نيكسون وكيسنجر ؟

سؤال يطرحونه من آن لآخر هنا . ولكن لم يستطع أحد معرفة أسس العلاقة وكل ماكتب عنها مجرد تخمينات أو جزء بسيط جدا من حقيقة العلاقة وبالتالى لايمكن معرفة مدى قوة وتأثير كيسنجر على نيكسون .

ولكن من المعلومات القليلة التى أفضى بها بعض الذين يعملون فى البيت الابيض واستقالوا بسبب انفراد كيسنجر بالسلطة . اتضح أن الرئيس نيكسون يمضى أوقاتا كثيرة مع كيسنجر فى مناقشة شتى الموضوعات وأن الذين يعتقدون ان كيسنجر ينصح الرئيس نيكسون فى السياسة الخارجية فقط يرتكبون خطأ فاحشا . ذلك ان تقليدا بدا منذ عهد الرئيس كيندى على أن يهتم المستشار الخاص للرئيس بالقضايا الهامة فى السياسة الخارجية والداخلية . ذلك ان مثل هذا التقليد يسهل العمل للرئيس الامريكى فى وضع الخطوط الرئيسية لسياسته بينما يهتم وزراء الخارجية والدفاع بالبيروقراطية التى نمت فى هذه الوزارات والتى لاتخلو من المنافسات الشخصية بين رؤساء الاقسام المختلفة فى كل وزارة وادارة .

وقد وضع كيسنجر منذ أن خطا الى داخل البيت الابيض قانونا يقول ان كل ماله علاقة بالسياسة الخارجية لابد وأن يكون من خلاله .» ومثل هذا القانون وضع حدا لنفوذ العائلات الامريكية فى واشنطن وبوسطن ونيويورك وأساتذة جامعة هارفرد الذين كانوا دائما يجدون الفرصة لايصال آرائهم الى الرئيس الامريكى فى الماضى . واختلف الامر بعد مجىء كيسنجر ، ذلك أن الرئيس نيكسون أبدى رغبته منذ تولى الرياسة فى أن يكون الى جواره عقل منظم يمكنه أن يقدم له المشكلة ومعها احتمالات الفشل والنجاح وكل مايحيط بها من اختبارات بوضوح يجعله يتخذ القرار المناسب .

وقد أفصح كيسنجر عن عمله قائلا : ان وظيفتى فى هذا المكتب ليس أن أكون المخطط الرئيسى للسياسة ، ولكن وظيفتى أن أجعل فى متناول الرئيس مجالا واسعا للاختيار . بالطبع انه دائما يسألنى عن رأيى ولكن الذى يحدث أننى لاأقول رأيى الا بعد أن أتعرف على آرءا وزارة الخارجية ووزارة الدفاع . ثم اننى لاأجرؤ على أن أحمل أحد الآراء أكثر مما يحتمل لكى أحصل على نتيجة معينة . ولذلك فاننى أحرص على أن يتعرف الرئيس على كل رأى

الأجهزة المختلفة وهنا أضيف رأيي الشخصي ووجهة نظري في الموضوع المطروح للنقاش ٠

ويروى كيسنجر بنفسه أسلوب عمله مع الرئيس نيكسون بقصة يحكيها وهذا هو نصها ٠

ذات يوم بعد فترة قليلة من تولى الرئيس نيكسون الحكم اتصل عدد من كبار المسئولين في الحكومة وكان جميعهم يتصرفون على أساس الطريقة التي تعاملوا بها مع الرئيس السابق ليندون جونسون ٠ اتصل هؤلاء الكبار وكانوا من وزارة الدفاع ووزارة الخارجية والمخابرات المركزية وقالوا ان هجوما كبيرا من فيتنام الشمالية ضد الجنوبية حدث ويريدون الاجتماع مع الرئيس في غرفة العمليات حتى يستطيع الرئيس أن يباشر استراتيجيه العملية بنفسه ٠ وهنا قاطعهم كيسنجر قائلا : انتظروا لا أحد يحضر ٠سوف أرى ماذا يريد الرئيس ان يفعل ٠

وذهب كيسنجر الى الرئيس نيكسون وأخبره بالموضوع فسأله الرئيس:
هل هناك قرار أستطيع اتخاذه الآن قد يكون له تأثير على المعركة ؟
أجاب كيسنجر : لا ٠
سأله نيكسون : هل هناك مخاطرة اذا لم أتخذ قرارا في هذا الموضوع الآن ؟ ٠

أجاب كيسنجر : لا ٠
فقال نيكسون : اذن أخبرهم ألا يحضروا الآن ٠ فسوف أتخذ قرارا عندما يكون هناك قرار واضح أستطيع اتخاذه ٠
وبالطبع مثل هذا التصرف لايقبله ـ الجميع والرجال الذين لم يستطيعوا التعاون مع أسلوبه قدموا استقالاتهم ولكن كيسنجر يصر على أن يحصل على ما يريد من الذين يعملون معه ومن موظفي الوزارات والادارات المختلفة ٠

كثيرون في واشنطن يصفون كيسنجر بأنه طاغية صغير ، وآخرون يصفونه بأنه ظاهرة تاريخية طبيعية ، عدد كبير من الذين يقدرون موهبته تعلموا كيف يعملون معه بأسلوبه ، وقد علق أحد الذين عملوا معه ثم استقالوا بأن الدكتور كيسنجر يدفع الانسان الى المنطقة التي يستطيع فيها استخراج الأشياء منه مهما كان اعتقاد هذا الانسان انه ليس في قدرته انتاجها أو من المستحيل القيام بها ٠

وهذه المعلومات عن الدكتور كيسنجر تعطينا بعض الفهم الى أي مدى

هذا الرجل قوى ولماذا اطلقت عليه الصحافة هنا لقب « ثانى أقوى رجل فى العالم » . وبالطبع معظم النظريات التى على اساسها اقتنع الكثيرون بأنها السبب فى قوة كيسنجر تعتمد على الاعتماد القائم بأن آخر رجل يتحدث الى الرئيس هو الذى يحصل على تنفيذ الامور حسب رأية .

وسواء كانت هذه هى الحالة بين نيكسون وكيسنجر فأنه من المعروف مدى قرب كيسنجر وآرائه من نيكسون ، ولعل هذه العلاقة سوف تكون من أهم بحوث مؤرخى المستقبل ، الذين سوف يفحصون الدور الذى يقوم به كيسنجر اليوم فى السياسة الامريكية .

فعندما جاء كيسنجر الى واشنطن كان المناخ العام للشعب الامريكى يطالب بالسلام فى فيتنام وبالسلام فى الشرق الاوسط وبنبذ الحرب ، ولكن كيسنجر تولى مواجهة هذا المناخ وتقوية موقف نيكسون فى اتخاذ سياسة عنيفة فى الموضوعات الدولية . لدرجة ان كيسنجر فى بداية عمله بالبيت الابيض وصفه مساعدوه واصدقاؤه بالخازن للمثقفين .

ويتقاضى كيسنجر مرتبا سنويا يصل الى ٤٢ ألف دولار ، ولكن يقول الذين يعرفونه ان أهم من المرتب الكبير لقد كسب كيسنجر من منصبه الجديد الثقة فى تحقيق طموحه . فلم يعد ذلك الاستاذ الجامعى المتعصب الذى يشعر بخيبة الامل اذا لم يدع الى جميع اجتماعات هيئة التدريس .

كما انه لايشعر بالنقص اذا لم تأخذ اهتماماته الدرجة الاولى من الاعتبار .

كما يروى جورج فرانكلن رئيس تحرير مجلة الشئون الدولية المتفاء. كيف ان الاستاذ الشاب هنرى كيسنجر القادم من هارفورد كان أكثر الذين تقدموا «بمشروع دراسه» لمجلس الشؤون الخارجية استقلالا واعتزازابنفسه . وكان المشروع الذى تقدم به كيسنجر هو أساس أول كتاب قدمه وهو :

«الأسلحة النووية والسياسة الخارجية» . وهو عبارة عن مجموعة أفكار جادة حول موضوعات لم يكن يفكر فيها أحد فى ذلك الوقت وهى ان استراتيجية الولايات المتحدة يجب أن تتأقلم لتستخدم على أوسع نطاق تلك القوة المخيفة لهذه القنبلة .

ويعيش الدكتور كيسنجر فى منزل استأجره قريبا من منطقة الحفارات فى واشنطن . وتوجد لديه مديرة منزل تقوم بالتنظيف ولكنه لايدعو أحدا الى منزله . وعندما يريد اقامة حفلة فانه يسأل بعض الاصدقاء أن يقيموا له الحفلة فى منازلهم .

وقد طلق كيسنجر زوجته عام ١٩٦٤ بعد خمسة عشر عاما من الزواج سبقتها سبع سنوات من العلاقة الشخصية · ولديه طفلان: اليزابيث ١٢ عاما ودافيد عشر سنوات ·

ويحرص كيسنجر على الظهور في الحفلات مع أجمل الفتيات في واشنطن، وعندما يذهب الرئيس نيكسون الى كاليفورنيا فان كيسنجر يخرج هناك مع فاتنات هوليوود ·

وقد سأله أحد الصحفيين عن حياته الخاصة وهل يفضل أن يطلق عليها «حياته الاجتماعية» أو «حياته الجنسية» فضحك كيسنجر وقال: الجميع يعرفون انني أتمتع بعمل جبار · ولكن لم أكن أعلم انني أيضا محبا موهوبا · انني أعمل ١٨ ساعة في اليوم وعندما أخرج أريد حقا أن أمتع نفسي ·

● ويقول الدكتور فريتز كرامر وهو يعمل الآن في البنتاجون كمفكر عسكري وسياسي في المشاكل الاستراتيجية عن هنري كيسنجر الذي عرفه طوال ثلاثين عاما : «ان هنري على قدر من الذكاء عظيم» · ولكن يوجد أناس كثيرون لهم قدر عظيم من الذكاء أما هنري كيسنجر فيختلف عن كل هؤلاء الناس بأن لديه شيئا آخر ، شيئا أكثر من الذكاء وهذا يجعل منه عبقريا · والطريقة الوحيدة لكي أصف هذا الشيء هي ان أقول ان كيسنجر على موعد مع التاريخ · وهذا ليس شيئا يمكن أن يتعلمه الانسان مهما كان ذكيا · انه هدية من عند الله ·

وفي جامعة هارفرد يتناقلون قصة تقول ان كيسنجر هو تلميذ نجيب للاستاذ «ويليام ياندل اليوت» وهو اليوم يبلغ من العمر ٧٥ عاما وقد تقاعد في مزرعة بولاية فرجينيا · وقد صرح البروفسور اليوت عندما سئل عن علاقته بكيسنجر قائلا : «ان هنري كيسنجر مسئول عن نفسه · انني لاأشعر بأي مسئولية تجاهه · ولكنني أقول انه يتمتع بعقل غير عادي و «أوريجينال»·

وعنده احساس بالفلسفة السياسية · انه ليس مثل الأغبياء الذين يدركون الاشياء من خلال نظريات السلوك أو الذين يرجعون الاشياء · الى افتراضات أما هذا أو ذاك انه ليس أعمى عن طبيعة الدور البطولي للتاريخ · وهو ليس بأعمى عن التوراة · انه يفهم الأسس التي قام عليها التاريخ ·

أما الدكتور اليوت فيعود ليقول : «ان هنري نشأ في التقاليد اليهودية التي تعلمه انه من أبناء الشعب المختار »

اسمه الحقيقي «هينز الفرد كيسنجر» · انه الاسم الذي كتبه والده في

سجلات قرية فيرت الألمانية التى ولد فيهـــا يوم ٢٧ مايو عام ١٩٢٣ ٠ كان والده يعمل مدراسا فى مدرسة بنات ووالدته زوجة ألمانية من الطبقة المتوسطة ٠ والعائلة يهودية ٠

وبمرور الوقت كسب النازيون السلطة فى ألمانيا ، وبدأ اضطهاد النازى لليهود يشتد . وأصبح الصبى يتعرض لمشاكل يومية من زملائه فى المدرسة الذين انضموا الى جماعات الشباب النازى ٠ وذات صباح وجد والده نفســه بلا عمل ٠ لقد طرده النازيون ٠ ووجد هنرى نفسه منقولا الى مدرسة يهودية ٠ ويقول أصدقاء هنرى كيسنجر القدامى ان شـخصيته تأثرت بتلك المعامـلة القاسية التى تلقاها فى صباه على يد النازى وأن من يريد التعرف على كيسنجر فالمفتاح يكمن فى التحقير وفقدان الحرية اللذين عانى منهما الصبى وهو ينمو ٠ وقد سأله البعض عن تأثير ماعاناه على يد النازى على شخصيته فأجاب كيسنجر بأن ذلك الجزء من طفولته لايعنى شيئا لديه ٠

وقد هاجر والداه من ألمانيا الى أمريكا عام ١٩٣٨ ٠
وفى أمريكا دخل هنرى كيسنجر مدرسة ليلية واشتغل بالنهـار فى مصنع لصنع «فرش الحلاقة» فى مانهاتن بنيويورك ثم رقاه العاملون بالمصنع الى وظيفة عامل توصيل ٠

ويرد هنرى على الذين يتهمونه بالعنف بسبب الحياة القاسية التى سلكها لكى يتعلم قائلا : اننى لم أربى على الكماليات وليس هناك ماأخجـل منه ٠ ان ماكنت أعانيه هو أسلوب التحدث باللهجة الامريكية ٠ وقد تغلبت على ذلك بعد صدور أول كتاب لى وهو الاسلحة النـووية والســـياسة الخارجيـة عام ١٩٥٧ ٠

وعندما جاء وقت التجنيد كان من حظ هنرى أن استدعاه الجيش فعند اختباره اكتشف المتحنون انه حصل عـلى أعلى درجات اختبـارات الذكاء ٠ وبالطبع أعطاه هذا النجاح حظا فى أن يكون من بين الممتازين فى الخدمة والذين قد يحتاج اليهم الجيش فى مهمات خاصة أثناء الحرب ٠ وكان من المفروض أن يرسل الجيش مثل هؤلاء الانفار الى الدراسات العليا فى الجامعات ولكن ثارت مناقشة فى الجيش حول مثل هذا الموقف الذى يجعل بعض الشباب يذهبون الى الجامعات بينما الآخرون يذهبون للقتال ٠ ولهذا أرسل الجميع الى الوحدات المختلفة استعداد للحرب ٠

ولكن بعد ستة شهور حدثت مفاجأة فقد جاء رجل الى المعســكر الذى

يتدرب فيه كيسنجر لكي يحدث الشباب عن السبب فى دخول أمريكا الحرب الى جانب الحلفاء · وكان الرجل هو الدكتور فريتزكرامر وهـــو محامى فى الخامسة والثلاثين من عمره فر من ألمانيا وجاء الى أمريكا أيضا ·

التقى الشـــاب اليهودى كيســنجر بالدكتور كرامى الذى حرص على أن يأخذه فى كتيبته ، واستخدم جميع الحيل لكى يصبح هنرى مترجما للوحدة (٨٤) فى حالة ذهابها الى ألمانيا · وهذا ماحدث · ففد أرسلت الوحدة ٨٤ الى ألمانيا وكان كيسنجر المترجم الخاص للجنرال · وعندما احتلت الوحدة مدينة

كريفلد استطاع كرامر أن يجعل كيسنجر الشاب مســئولا عن تنظيم حكومة لهذه المدينة الصغيرة · ويقول كرامر انه فوجىء بالشاب هنرى يعيد تنظيـم حكومة المدينة خلال ثلاثة أيام . وأثبتت التجربة ان هنرى يستطيع أن يجـد لنفسه مخرجا عندما تكون كل الطرق مسدودة ·

وخلال عام واحد أصبح هنرى مسئولا اداريا عن مقاطعــة برجستراس وكمسئول فى هذه المقاطعة كان من سلطة هنرى ان يقبض على أى شخص فى أى وقت ولأى سبب يراه ·

وأصبح هنرى شاويشا والدكتور كرامر ملازم أول · واستطاع الدكتور كرامر تعيين هنرى مدرسا فى مدرسة المخابرات للقيادة الاوروبية والتى كان من أهدافها تعليم الضباط كيفية القبض على النازيين الفارين · فى هذه المدرسة كان كيسنجر يقوم بالتدريس للضباط برتبــة الـكولونيل وما أعلى منها · وأثبت كفاءة فى التدريس لدرجة ان الجيش بعد انتهاء الحرب تعاقد معه على أن يستمر مدرسا بمرتب قدره عشرة آلاف دولار فى السنة · وبالطبع كان هــذا المبلغ ثروة بالنسبة للشاب هنرى الذى لم يكن يحمل من الشهادات فى ذلك الوقت سوى الثانوية العامة ·

وذات مساء تحدث الشاب مع الدكتـــور كرامر قائلا : اننى أرغب فى العودة لأمريكا واكمال دراستى العالية · اننى هنا لاأعــرف ســوى ماأقوم بتدريسه فى المدرسة وماعدا ذلك لاأعرف شيئا ·

وعاد هنرى الى أمريكا فى مايو عام ١٩٤٦ وتقدم بطلبــات الالتحاق الى عدد من الجامعات ، ورد عليه الجميع بأنهم مستعدون لقبوله فى العام الدراسى التالى ولكن جامعة هارفورد أبدت استعدادها لقبوله فورا · وفى جامعة هارفرد تعرف على الدكتور اليوت الذى اهتم به وقال له : « أنت تحمـل فى داخلك مايصنع فيلسوفا عظيما » ·

وفى المناخ الثقافى لجامعة هارفرد ازدهرت معلومات هنرى كيسنجر وأصبح معروفا لدرجة أنه عندما خلت وظيفة فى مجلة السياسة الدولية كان أول المرشحين لها الدكتور هنرى كيسنجر .

وعاش فى شقة بمدينة نيويورك وعندما كان يعود من عمله كان يفرض على زوجته أن لاتحدثه فى شىء حتى لاتقطع عليه حبل التفكير المتصل الذى يشغل ذهنه .

وكان كتابه هو الكتاب المناسب فى الوقت المناسب ..

فقد جاء فى فترة كانت روسيا وبريطانيا تعلمان أسرار القنبلة الذرية الى جانب أمريكا وكانت أمريكا تريد أن تتفوق على روسيا فى هذا السلاح بالذات .

وفى هذا الكتاب «الأسلحة النووية والسياسة الخارجية» حاول هنرى كيسنجر اثبات انه يمكن وجود احتمال حرب نووية محدودة بدلا من الحرب النووية الشاملة . وفى ذلك الوقت أى فى نهاية الخمسينيات كان الحديث يدور حول ماذا يحدث لو أن أمريكا ضربت موسكو بالقنابل الذرية وحدث العكس .

ولم يكن الحديث يدور حول التكتيك أو الاستراتيجية النووية .

ولأن الاسلحة النووية أصبحت معقدة فقد أصبح العالم يخشى من الاحتمالات غير المعروفة التى تقدمها ، ولم يكن أحد يستطيع تقدير النتائج وجاء كتاب هنرى كيسنجر ليلقى ضوءا على هذه المشاكل الحربية وعلى السياسة الدولية فى العصر الذرى . وكان الكتاب فى لغة أكاديمية صعبة لدرجة أنه علق على ذلك قائلا : ان هذا الكتاب يشتريه الناس ولايقرأونه تماما مثل كتب تونبى !

ولم تمض شهور حتى أخرج كتابه الثانى «اعادة بناء العالم» وكان هذا الكتاب عبارة عن نسخة منقحة من رسالة الدكتوراه التى قدمها فى جامعة هارفرد . وهذا الكتاب يتحدث عن الامير النمساوى «مترنخ» و « اللورد كاسلريج» وجهودهما فى مؤتمر فينا لاعادة ميزان القوى الذى اختل بسبب الحروب التى شنها نابليون . وكان الاثنان يحاولان ان يعملا بجد واجتهاد حتى لاتصبح احدى القوى أقوى من القوى الاخرى لدرجة تمكنها من املاء ارادتها على الآخرين . وكل الذين يكتبون عن كيسنجر اليوم أو يحاولون دراسته يعتمدون على فهمه من خلال قراءة هذا الكتاب .

وخلال فترة الستينيات التحق هنرى كيسنجر بمؤسسة روكفلر . وكان

لقاء نيلسون روكفلر وهنرى كيسنجر لقاء مفيدا فقد ترك كل منهما انطباعا حسنا لدى الآخر واتفق الاثنان فى ذلك الوقت على أن يعمل كيسنجر مستشارا لروكفلر حاكم نيويورك فى الشئون الخارجية ويستمر فى نفس الوقت فى التدريس بجامعة هارفرد ٠

وقد سأل الصحفيون كيسنجر عن نيلسون روكفلر ٠

ــ أى نوع من العقول يحمل نيلسون روكفلر ؟

وأجاب كيسنجر : انه يحمل عقلا من الدرجة الثانية ، ولكن لديه حاسة ذكية تجاه الناس ٠

وسألوا كيسنجر : وأى نوع من العقول تحمل أنت ؟

فأجاب دون تواضع أو خجل : اننى أحمل عقلا من الدرجة الاولى ولكن حاستى تجاه الناس من الدرجة الثالثة ٠

ثم بعد أن نطق بهذه الجملة ابتسم ابتسامة من يريد أن يظهر كما لو انه لايحمل أى سلاح ثم أضاف : يبدو اننى أثق فى بعض الناس الذين لايجب أن أثق بهم ٠

وقال لمحدثه ضاحكا : أتمنى أن أثق بك !

وحدث فى عام ١٩٦٨ عندما حاول نيلسون روكفلر الحصول على ترشيح الحزب الجمهورى له فى انتخابات الرياسة ان اتخذ موقفا من حرب فيتنام وترك بالطبع أمر الدفاع عن موقفه للبروفسور كيسنجر ٠

وكان روكفلر هو الذى قدم كيسنجر لنيكسون بعد نجاحه فى الانتخابات ٠ وكيسنجر هو اليوم المتحدث الرسمى للبيت الابيض فى كل مايمس الشئون الخارجية ٠ وهو دائما يتحدث الى الصحفيين اما من أجل تقديم خلفيات الاحداث لمعلوماتهم الشخصية ويطلب اليهم أن لايذكروا المصدر أو يذيع عليهم بعض الترتيبات الخاصة بالرئيس نيكسون فى رحلاته الخارجية ٠

وكان معروفا عن كيسنجر انه لايكذب ٠ وانه سيقول الحقيقة واذا كان هناك مايجب عدم نشره فهو يطلب ذلك صراحة ٠ ولكن حدث مؤخرا ماهز هذه الصورة وخاصة أثناء حرب الهند وباكستان حيث استطاع أحد الصحفيين الحصول على نص اجتماعات كيسنجر مع رجال البيت الابيض ، والتى ثبت بعد نشرها ان كيسنجر كذب على الصحفيين عندما كان يحدثهم عن موقف أمريكا المحايد من الحرب بين الهند وباكستان ٠

كما ان صورة كيسنجر عند زملائه أساتذة هارفرد اهتزت كثيرا بعد

العمليات الحربية التى قامت بها أمريكا فى كل من كمبوديا وفيتنام وكـذلك بعدما جرى فى باكستان وما أدت اليه الحرب بين الهند وباكستان ، من فضيحة لأمريكا بين دول العالم .

وكان أستاذه كرامر قد نصـحه فى البداية أن لايقبل العمل فى البيت الابيض لانه لن يكون المهندس الذى يصمم السياسة الخارجية ولكنه سـوف يكون الفرملة فقط وأن اليمين سوف يصفه بأنه اليهودى الذى جعـل أمريكا تفقد جنوب شرق آسيا ، واليسار سوف ينعته بالخائن الذى تخلى عن المبادىء .

وفعلا اليسار وعدد كبير من المثقفين يصفون كيسـنجر هنا بأنه الخائن للمثقفين . ذلك أن اليسار هنا كان يتوقع من كيسنجر ان ينهى الحـرب فى فيتنام والذى حدث أن الحرب ازدادت شراسة مما دعى بعض أسـاتذة جامعة هارفرد يذهبون ذات صباح الى مكتب كيسنجر بالبيت الابيض ويقولون له انهم لن يتحدثوا اليه مرة أخرى حتى يروا آخر جندى أمريكى قد ترك فيتنام .

وقد اكتشف الكثيرون ان كيسنجر كان يحاول فى مناقشـاته ان يوهم الناس ويوحى اليهم بأنه ضد الحرب فى فيتنام بينما هو فى حقيقة الامر يؤمن بضرورة تحقيق نصر عسكرى فى فيتنام .

ويروون عن كيسنجر القصة التالية انه بعد هزيمة نيلسون روكفلـر فى الترشيحات الاولية للحزب الجمهورى شوهد كيسنجر وهو يبكى ويقول . «ذلك الرجل نيكسون لايصلح أن يكون رئيسا للويات المتحدة» !

وبالطبع يتساءل الناس هنا كيف يستطيع كيسنجر أن يعمل مع نيكسون وهذا رأيه فيه .

ويرد الآخرون قائلين كيف استطاع نيكسون وهـــو يعلم كل ماقاله كيسنجر عنه أن يطلبه ويستخدمه ويقربه ويعمل معه طوال السنوات الثلاث الماضـية .

ولكن هذه هى السياسة .. كما يقولون !

ويقول كيسنجر انه واع تماما لخطورة اليمين فى أمريكا لدرجة انه اذا كانت أمريكا سوف تتعرض لثورة . فهذه الثورة لن يقـوم بها الطلبة أبنـاء الطبقة المتوسطة والذين يطلقون شعر رءوسهم ولحاهم دون حلاقة . ولكن الذين سيقومون بالثورة هم أولئك القوم الغاضبين من اليمين الذين يشعرون بأن أمريكا تصاب بالتحقير والهزيمة عسكريا واقتصاديا .

ومثل هذه الاعمال التى يقوم بها كيسنجر على الصـعيد العالمى اليومى تثير التساؤلات عند أصدقائه وزملائه من المثقفين .. انهم يسألون ماذا يريد هنرى كيسنجر ؟

هل يريد أن يصفه التاريخ على انه أعظم اليهود الألمان الذين هاجروا الى أمريكا منذ اينشتاين ؟!

هل كيسنجر يؤمن بالدور البطولى للتاريخ ؟
وهنا يجيب كيسنجر قائلا : اننى أعتقد فى العنصر الدرامى للتاريخ . اننى أعتقد انه توجد دراما ذلك الانسان الذى يعمل جاهدا ولا يحصل على مايريد .

وأيضا أعتقد فى وجود الدراما المرة التى يتعرض لها الانسان الذى يحصل على مايريد ثم يكتشف ان ماحصل عليه حقا ليس مايرغب فيه .

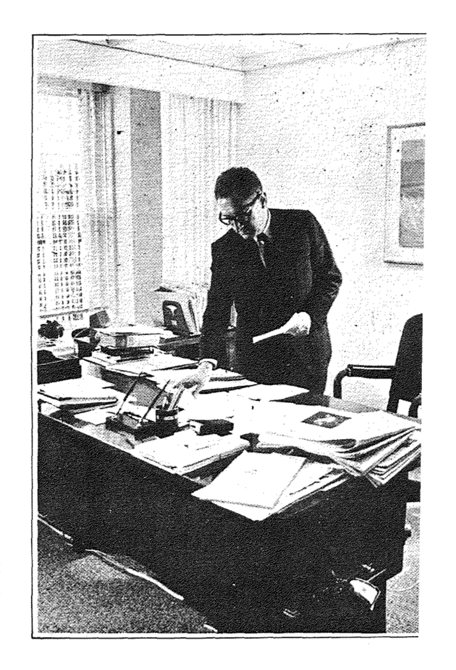


كيسنجر

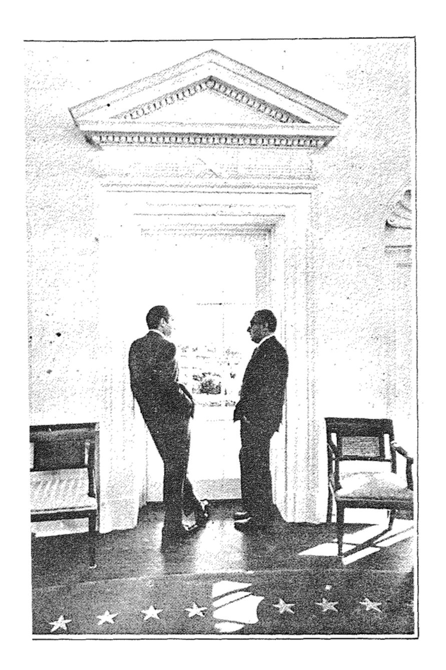
بالصور



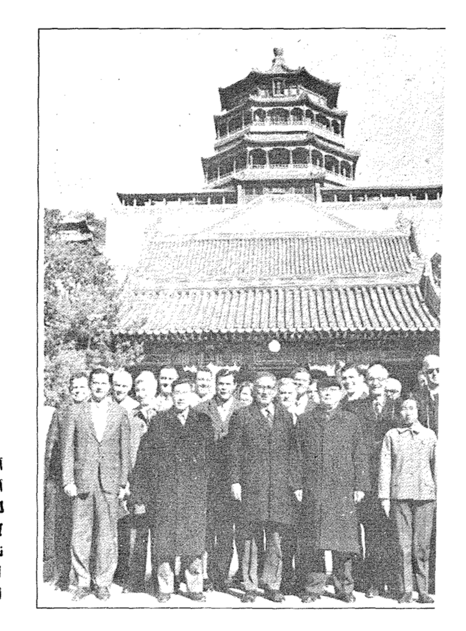
هنرى كيسنجر فى الحادية عشرة من عمره يضع يده على كتف أخيه والتر ، قبل عامين من هروب العائلة من المانيا فرارا من الاضطهاد النازى .



هنرى كيسنجر فى
أول مكتب يشغله
فى البيت الابيض
كمستشار للرئيس
كان ما يزال نحيفا
يبدو فى شـــكل
أساتذة الجامعة !



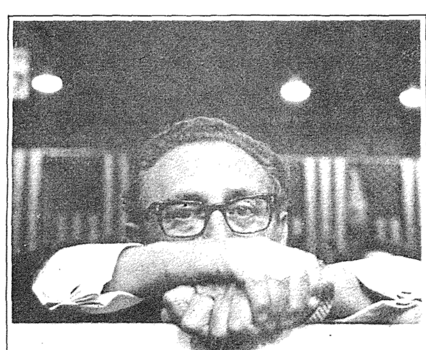
نيكسون وكيسنجر وبينهما ضوء شمس الشتاء .
لقد ظل كيسنجر طوال السنوات التى عملها مع نيكسون يكرر « اننى لا أسمح لنفسى أبدا بأن أناقش مع أحد مايدور بينى وبين الرئيس أو ماأقدمه له من ملاحظات أو آراء » .



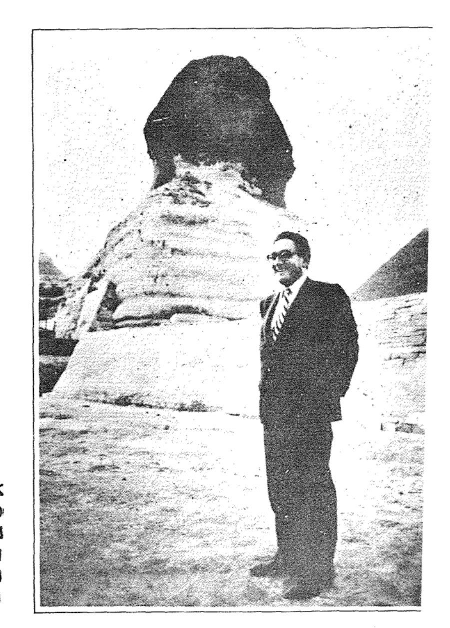
أكتوبر ۱۹۷۱ ، أول اقتحام لكيسنجر وجماعته لاسوار الصين تمهيدا لزيارة الرئيس الامريكى الاولى لبكين .



هنرى كيسنجر مع آخيه فى جبال الالب بسويسرا ، والعائلةكلها تحتفل بالذكرى الخمسين لزواج أبويه .



كيسنجر يستمع الى احدى خطب الرئيس السابق نيكسون .



كيسنجر مع «أبو الهول» . لقد كان تعليقه الساخر على هذه الصورة : « أينا أبو الهول الحقيقى»



« تحذير وابتسامة وكاس » !

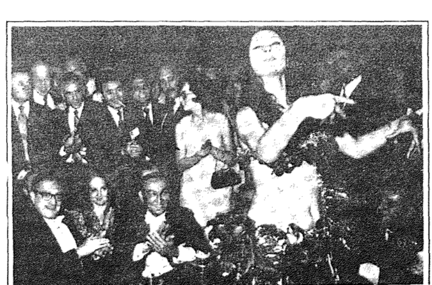
لقاءات القمة : مع ماوتسي تونج وشو اين لاى ، ومع بريجينيف ، ومع تاناكا ،رئيس وزراء اليابان .



كيسنجر مع عروسه فى شهر العسل .

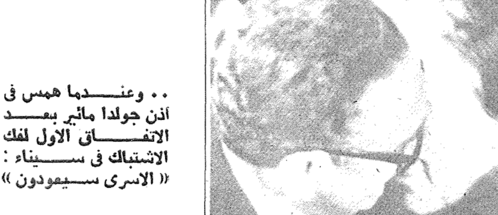


عندما يهرب من متاعب السياسة والزواج !

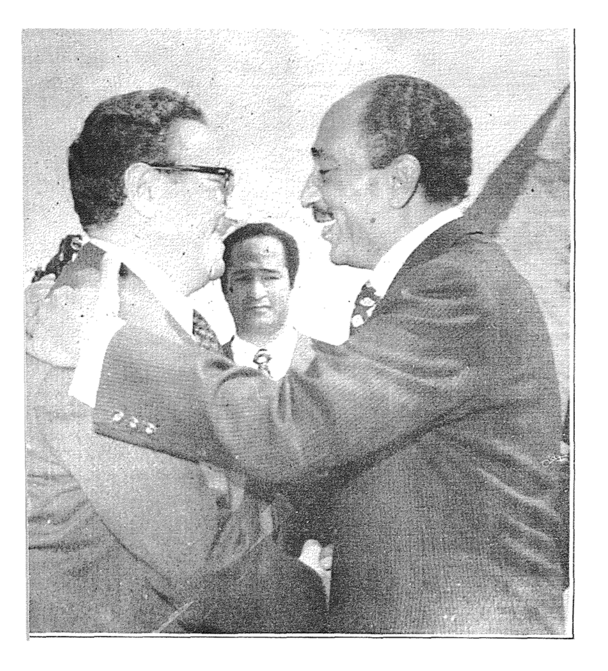


مع الراقصة الايرانية : ناديا بارسا .

عندما قال للرئيس الامريكى فورد : « ليس لدنيا أصابع كافيه لنضعها فى كل شقوق العالم »!

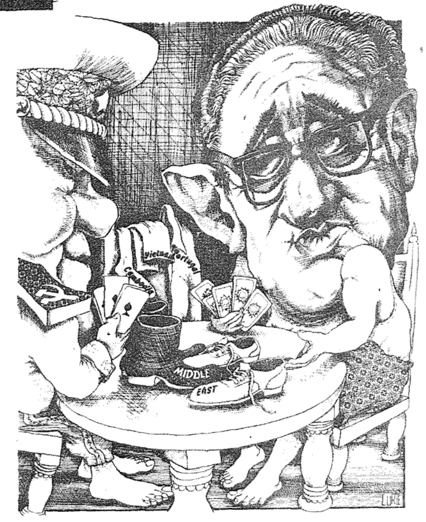


.. وعندما همس فى أذن جولدا مائير بعد الاتفاق الاول لفك الاشتباك فى سيناء : « الاسرى سيعودون »



الرئيس السادات مع كيسنجر أمام أهرامات الجيزة .





لاعب البوكر ، الذى خسر ((كامبوديا)) و((فيتنام))
و ((البرتغال)) ولم يبق الا ((الشرق الاوسط)) !

مجلة ((نيوزويك)) الامريكية — ٧ ابريل ١٩٧٥



.. والرجل الذى تصدى لحل كل مشاكل العالم فحاصرته هذه المشاكل !



الرجل الذى يرى السلام في فيتنام .. بعين واحدة !

غلاف مجلة « تايم » الامريكية ـ ٣٠ أكتوبر ١٩٧٢

مجلة « نيوزويك » الامريكية ـ ٧ ابريل ١٩٧٥



بعد فشل مباحثات مارس ١٩٧٥ حول الاتفاق الثانى لفك الاشتباك فى سيناء والجولان !

مجلة « نيوزويك » الامريكية ـ ٧ ابريل ١٩٧٥



الطبيب « كيسنجر » يصف علاج المريض
« حلف الاطلنطى » بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣
وقرار وقف ضخ البترول !

غلاف مجلة « تايم » الامريكية ــ ١٢ نوفمبر ١٩٧٣

يقال دائما أن المؤتمرات الصحفية التي يعقدها كيسنجر مسرحيات درامية مليئة بالذكاء والطرافة وخفة الدم . ولكن يبقى هذا المؤتمر الذى عقده فى أعقاب حرب اكتوبر واحدا من أهم مؤتمراته الصحفية ، والتى تبدى فيه على حقيقته مناور كبير قادر على كشف الحقائق واخفاء معانيها . وقادر على مواجهة أكثر الصحفيين شراسة وفضول فى حدود مارسمه لنفسه من خطه وما حدده من اتجاه .

لذلك نورد هنا النص الكامل لهذا المؤتمر الذى عقده هنرى كيسنجر فى واشنطن بتاريخ ٢٥ اكتوبر سنة ١٩٧٣ كوثيقة تكشف تفكير الرجل وأسلوبه .



سيداتى سادتى :

أعتقد أن أفيد تقديم لأسئلتكم هو اعطاء ملخص للأحداث التى جرت بين السادس من تشرين الاول واليوم . كى تتمكنوا من تقييم اجراءاتنا والوضع الذى نجد أنفسنا فيه ومسلكنا المقبل .

بدأت الأزمة بالنسبة الينا الساعة السادسة من صباح السادس من تشرين الاول ، عندما أوقظت من نومى بمعلومات تفيد أن حربا عربية ـ اسرائيلية أخرى توشك أن تندلع . وأنا أذكر هذا التفصيل الشخصى لانه يجيب عن السؤال القائل أن تدخل الولايات المتحدة منع اسرائيل من القيام باجراء استباقى . ان الولايات المتحدة لم تقم بأى مسعى لدى أى من الجانبين قبل السادس من تشرين الاول . لان جميع معلومات الاستخبارات التى كانت فى حوزتنا وجميع المعلومات التى أعطيت الينا ، من قبل دول أجنبية ،أوحت بأنه ليس هناك احتمال باندلاع حرب . ولم يكن لدينا أى سبب لاسداء أية نصيحة لأى من المشتركين فى القتال ، لاننا لم نعتقد ـ وبامكانى أن أقول ان الحكومة الاسرائيلية لم تعتقد أيضا ـ ان هجوما كان وشيكا .

وافى غضون الساعات الثلاث بين السادسة والتاسعة صباحا ، بذلنا

جهودا كبيرا لمنع اندلاع الحرب عن طريق العمل كوسيط بين الطرفين مؤكدين لكل واحد منهما ، أن الطرف الآخر يحاول الحصــول على ضمانة بأن الجانب الآخر ليست لديه نية عدوانية ٠

ولكن قبل ان يصبح بالامكان انجاز هذه العملية ، نشبت الحرب وبدأت العملية التي لانزال مشغولين بها ٠

ولا أعتقد ان أية غاية مفيدة تخدم باستعراض كل تحـــرك دبلوماسي فردي ، ولكن أعتقد انه من المفيد الاشارة الى بعض المبادىء الاساســية التي حاولنا أن نتبعها :

فطوال الازمة كان الرئيس مقتنعا بأن لدينا قضيتين رئيسيتين : أولا ، انهاء الحرب بأسرع وقت ممكن ٠ ثانيا : انهاء الحرب بطريقة من شـــأنها أن تساعدنا على القيام بمساهمة رئيسية لازالة الاوضاع التي ولدت أربع حروب بين العرب والاسرائيليين في الخمس والعشرين سنة الماضية ٠

لقد كنا ندرك أن هناك عدة أطراف مهتمة بالموضــوع ٠ هناك بالطبــع المشتركون في النزاع ــ مصر وسوريا من جهة العرب ، تساعدهما دول عربية عديدة ٠ واسرائيل من الجهة الاخرى ٠ وكان هناك الاتحاد السوفييتي ،وكان هناك الأعضاء الدائمون الآخرون في مجلــس الامن ، وبالطبــع كانت هنــاك الولايات المتحدة ٠

وكان رأينا ، ان الولايات المتحدة تستطيع أن تكون فعالة جدا في كلتا المهمتين اللتين أعلنهما الرئيس ــ انهاء الحرب ،وكذلكالقيام بمساهمة لتحقيق سلام دائم في الشرق الأوسط ــ اذا تصرفنا بطـريقة نستطيع فيها أن نبقى على اتصال دائم مع جميع هذه العناصر في المعادلة ٠

وطوال الاسبوع الاول حاولنا ان نبلور اجمــاعا في الرأي في مجلــس الأمن ، من شأنه أن يحقق وقف اطلاق نار بشروط ، باستطاعة الأسرة العالمية أن تدعمها ٠ وقد أعلنا عن مبادئنا الاساسية في الثــامن من تشرين الاول ٠ ونحن لم نطرحها لتصويت رسميلانا أدركنا انه مامن أغلبية كانت متوافرة٠ ولم تكن نريد أن يتم تحديد الجهات بصورة سابقــة للاوان ٠ وفي العاشر من تشرين الاول ، بدأ الاتحاد السوفييتي يشحن الأســلحة بطريق الجو بصورة معتدلة الى حد ما ، في بادىء الامر ، ولكنها مالبثت أن بلغت في الثاني عشر من تشرين الاول مستويات جوهرية ٠

دعوني أقل كلمة هنا ، حول علاقتنا مع الاتحاد السوفييتي ، طوال هذه الازمة وما حاولنا ان نحققه ٠ أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي هما بالطبع

خصمان من الناحية الايديولوجية ، والى حد ما من الناحية السياسية • ولكن للولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ايضا مسئولية خاصة جدا • اننا نملك ـ كل واحد منا ـ مخزونات نووية قادرة على ابادة الانسانية • ولدى كل منا ، واجب خاص للتأكد من ان المواجهات تظل محصورة ضمن حدود لا تهدد الحياة الحضارية • وكلانا سيدرك ، عاجلا أم آجلا ، أن القضايا التى تقسم العالم اليوم والقضايا التى يمكن التكهن بها ، لاتبرر الكارثة التى لا نظير لها والتى تشكلها حرب نووية • ولذلك حاولنا فى جميع اتصالاتنا مع الاتحاد السوفييتى ، أن نبقى (هذه الحقيقة) فى ذهننا • وحاولنا أن ننقلها الى وضع لاتغيب فيه عن النظر هذه المصلحة المهيمنة التى تشاركنا فيها الانسانية •

وقد اشرت فى خطاب ـ القيته فى مؤتمر الســـلام على الارض ـ الى أن هناك حدودا لا يمكننا ان نذهب الى أبعد منها • وقلت اننا سنعارض المحاولة التى تقوم بها اية دولة لتحقيق وضع من السيطرة ، ســـواء كانت عالمية أو اقليمية ، واننا سنقاوم اية محاولة لاستغلال سياسة من الانفـراج لاضعاف محالفاتنا ، واننا سنرد اذا استخدمت تخفيفات حدة التوترات ، كغطاء لزيادة حدة النزاعات فى الاماكن الدولية المضطربة • وقد اتبعنا هـذه المبادىء فى الوضع الراهن •

انه من الســـهل بدء مجابهات ، ولكن يتوجب علينا فى هذا العصر ، أن نعرف اين ســـنكون فى النهاية ، وليس فقط أى وضـــع يجب أن نتخذه فى البـــداية •

لقد حاولنا طوال الاسبوع الاول ، تحقيق اعتدال فى مســتوى شحنات الاسلحة الخارجية التى كانت ترسل الى المنطقة ، وحاولنا أن نعمل مع الاتحاد السوفييتى على وضع مشروع قرار لوقف اطلاق النار ، من شـــأنه أن ينهى النزاع •

وقد فشلت هذه المحاولة الاولى يوم السبت الثالث عشر من تشرين الاول ، لاسباب عديدة ـ بما فيها سوء تقييم للوضـــع العســـكرى من قبل بعض المشتركين •

وقد ووجهنا بعدها بعدم القدرة على اصدار قرار لمجلس الامن يحظى باجماع فى الرأى ، وعلى ادخال جوهرى للاسلحة من قبل دولة خارجيـــة الى المنطقة • وعند هذه النقطة قرر الرئيس يوم السبت الثالث عشر من تشرين الاول ، أن على الولايات المتحدة أن تبدا بنفسها مجهودا من اعادة التموين • ومنـــذ ذلك

الحين عملت الولايات المتحدة على المحافظة على توازن عسكرى فى الشرق الاوسط بغية التوصل الى تسوية عن طريق التفاوض كنا نسعى اليها ٠
وبالتزامن مع هذا أبلغنا الاتحاد السوفييتى ، أن اهتمامنا فى التوصل الى حل مقبول لايزال قويا جدا ، واننا كجزء من هذا الحل ، مستعدون لمناقشة خفض متبادل فى شحن الاسلحة الى المنطقة ٠

وفى الايام التى تلت ، بحثنا مع الاتحاد السوفييتى معالجات عديدةلهذه القضية ٠ وكانت الصعوبة الرئيسية كيفية التوفيق بين الحاح العرب على التزام فورى بالعودة الى حدود عام ١٩٦٧ ، والحاح اسرائيل على حدود آمنة ونتيجة يتم التوصل اليها عن طريق التفاوض ٠
وكما تعلمون جميعا ، ذهب رئيس الوزراء كوسيجين فى السادس عشر من تشرين الاول الى القاهرة لبحث هذا الموضوع مع زعماء مصر ٠ وقد عاد الى الاتحاد السوفييتى فى التاسع عشر من تشرين الاول ٠

وبدأنا باستقصاء صيغة جديدة لانهاء الحرب فى ذلك المساء ، ورغم أن تلك الصيغة كانت لاتزال غير مقبولة بالنسبة الينا ، وفى الوقت الذى كنا لا نزال ندرس فيه تلك الصيغة ، بعث السكرتير العام بريجنيف بطلب مستعجل الى الرئيس نيكسون كى أوفد الى موسكو ، لاجراء المفاوضات بغية الاسراع فى انهاء الحرب التى قد يصبح من الصعب احتواؤها اذا هى استمرت ٠

وقد وافق الرئيس على طلب المستر بريجنيف وكما تعلمون جميعا ذهبت الى موسكو باكرا فى صبحية العشرين من تشرين الاول ٠
وقد امضينا يومان من المفاوضات الكثيفة ، ووضعنا صيغة اعتقدنا انها كانت مقبولة لجميع الاطراف ، ولانزال نعتمد انها تمثل حلا عادلا لهذا النزاع المفجع ٠

وكما تعلمون جميعا تضمن قرار مجلس الامن ثلاثة أجزاء ٠ لقد دعا الى وقف اطلاق نار فورى فى الاماكن التى تحتلها القوات المتحاربة ، كما دعا الى تنفيذ فورى لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذى أقر فى شهر تشرين الثانى عام ١٩٦٧ ، والذى يحدد بعض المبادىء العامة التى على اساسها يجب تحقيق السلام فى الشرق الاوسط ٠ ودعا ، ثالثا ، الى مفاوضات بين الاطراف المعنية تحت اشراف ملائم لتحقيق سلام عادل ودائم فى الشرق الاوسط ٠

وهذه النقطة الثالثة ، كانت أول التزام دولى بالمفاوضات بين الفرقاء فى نزاع الشرق الاوسط ٠ وكانت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى مستعدين

لتقديم رعايتهما اذا ثبت ان هذه هى عملية المفاوضـــات · ولاتزال الولايات المتحدة مستعدة لتنفيذ هذا الاتفاق · كان هذا الوضع عندما عدت من موسكو وتل أبيب مساء الاثنين ·

ومنذ ذلك الحين ، تطورت الاحداث فى الاتجاه التالى : فى اليـــوم الاول – أى يوم الثلاثاء – من تنفيذ قرار وقف اطلاق النار ، كان هناك خرق للقرار أدى الى بعض المكاسب الاسرائيلية الاقليمية ، وقد أبدت الولايات المتحـــدة مشروع قرار يدعو المتحاربين الى التوقف عن اطلاق النار ، والعودة الى الاماكن التى نشب فيها القتال ، ودعوة مراقبـــين دوليين الى مراقبة تنفيذ قرار وقف اطلاق النار · وقد بدأ لنا هذا قرارا عادلا ·

وفى اليومين الاخيرين ، تطورت المناقشة فى مجلس الامن والاتصـــالات التى رافقتها فى اتجاه بدا لنا مقلقا · فقد واجهنا بصورة متزايدة ، سيلا من الاتهامات كان من الصعب التثبت منها فى غياب مراقبين دوليين ، وطلبا للقيام بعمل لم يكن فى مقدورنا ان نقوم به · مثل ذلك كان هناك اقتراح بان ترسل قوات أمريكية – سوفييتية مشتركة الى الشرق الاوسط لمراقبة تنفيذ وقف اطـــلاق النـــــار ·

وأود أن أحدد نيابة عن الرئيس موقف الولايات المتحدة أزاء هذه القضية بوضوح تام · أن الولايات المتحدة لا تحبذ ولن توافق على ارسال قوة امريكية سوفييتية مشتركة الى الشرق الاوسط · وتعتمد الولايات المتحدة أن المطلوب فى الشرق الاوسط قبل كل شيء هو تحديد للوقائع ، تحديد لاماكن الخطوط ، وتحديد لمن يقوم باطلاق النار حتى يتسنى بعد ذلك لمجلس الامن اتخاذ اجراء مناسب · ولايمكن التصور أن قوات الدول العظمى . يجب ادخالها بالاعـــداد التى ستكون ضرورية للتغلب على كلا المتحاربين ·

ولايمكن التصور اننا يجب أن نزرع تنافس الـــدول العظمى فى الشرق الاوسط ، أو بصورة بديلة . يجب ان نفرض سيادة عسكرية مشتركة من قبل الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى · أن الولايات المتحدة تعارض حتى أكثـر من ذلك ارسال قوات عسكرية الى المنطقة . من جانب واحد من قبل أية دولة عظمى ، وبنوع خاص من قبل دولة نووية ، أيا كان المظهر الذى تتخـــذه تلك القوات . وان غموض بعض التصرفات والاتصالات . وكذلك بعض الاجـــراءات التأهيبة التى اتخذت ، هو الذى دفع بالرئيس فى اجتماع خاص لمجلس الامن الوطنى ، عقد ليلة أمس الساعة الثالثة صباحا ، الى أن يأمر بأتخـــاذ بعض الاجراءات الوقائية من قبل الولايات المتحدة ·

أن موقف الولايات المتحدة بالنسبة الى السلام فى الشرق الاوسط ، هو كما يلي : أن الولايات المتحدة تؤيد تقيدا صارما بوقف اطلاق النار ، كما حدد في قرار مجلس الامن الدولى رقم ٣٣٨ الذى أقر فى الثاني والعشرين من تشرين

الاول ٠ والولايات المتحدة ستؤيد وستقدم كل مساعدة ، وهى على استعداد لتقديم بعض العناصر لقوة مراقبين دوليين ، تكون مسئوليتها ابلاغ مجلس الامن عن أعمال خرق وقف اطلاق النار والتي ستكون مسئوليتها أيضا مساعدة الاطراف على الاهتمام بالقضايا الانسانية وغيرها ، الناجمة عن كون أنه يوجد على الجبهة المصرية ـ الاسرائيلية سلسلة من الجيوب يصعب فيها الى حد كبير تحديد الحدود ٠

واذا رغب مجلس الامن ، فأن الولايات المتحدة مستعدة للموافقة على قوة دولية ، شرط أن لاتتضمن أية دولة تابعة للدول الاعضاء الدائمة فى مجلس الامن ، ترسل الى المنطقة كضمانة اضافية على تنفيذ وقف اطلاق النار ٠

أن الولايات المتحدة مستعدة لبذل مجهود رئيسى للمساعدة فى الاسراع بحل سياسى يكون عادلا لجميع الاطراف ٠

والولايات المتحدة تعترف بأن الاوضاع التى ولدت الحرب في السادس من تشرين الاول ، لايمكن أن يسمح لها بأن تستمر ٠ أن الولايات المتحدة مستعدة لان تضع بصورة ثنائية ومن جانب واحد ثقلها الدبلوماسي فيمجهود جد يبذل فى عملية التفاوض التى تصورتها الفترة الثالثة من قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ ٠

وعليه نحن الان فى نقطة حاسمة ٠ أن فرص السلام فى الشرق الاوسط من وجهات نظر عديدة ، مفعمة بالامل الى حد كبير ٠

فقد اختبرت اسرائيل مرة اخرى آفة الحرب ، واعطيت فرصة للمفاوضات التيسعت اليها طوال وجودها ، ويتوجب عليها ان تكون مستعدة للسلام العادل والدائم الذى يدعو اليه مجلس الامن ٠

واظهرت الدول العربية قلقها ، وتلفت ضمانات دولية بأن دولا أخرى ستهتم بهذه المفاوضات ٠

والاتحاد السوفييتى لايهدد فيأى من اوضاعه الشرعية فيالشرق الاوسط والمبادىء الخاصة الملقاة على عاتق الدول النووية العظمى لايجاد توازن بين مصالحها المحلية ، ومصلحتها العالمية . والتزاماتها الانسانية ، تبقي قائمة ٠

واذا نظر الى الامور فى هذا الاطار ، فانه ما من قضية من القضايا المتعلقة بالتقيد بوقف اطلاق النار ، تستدعى عملا من طرف واحد ٠

أما بالنسبة الى الولايات المتحدة ، فقد أعلن الرئيس مرارا انه ليس لهذه الادارة هدف اسمى من أن تترك للذين سيخلفونها ، عالما يكون مأمونا ومضمونا

اكثر من العالم الذى وجدناه ٠ انه التزام يجب أن يقوم به أي رئيس ، أيا كان الحزب الذى ينتمى اليه ، وهى مسئولية يجب أن تتحملهـــا ـ اذا كان يرجى للانسانية أن تبقى على قيد الحياة ـ الدول النووية العظمى ضد نقطة ما قبـــل فوات الاوان ٠

لكننا أعلنا دائما انه يجب أن يكون سلاما مقرونا بالعدالة ٠ والشروط التى تم الاتفاق عليها فى الامم المتحدة تتيح فرصة لشعوب الشرق الاوســـط لتقرير مصيرها بنفسها بالمشاورة والتفاوض ـ لاول مرة منذ خمسة وعشرين عاما ٠

وهذه فرصة نحن مستعدون لرعايتها ٠ انها فرصة ضرورية لهذه المنطقة المهدمة ٠ وهى ضرورية بصور مماثلة لسلام العالم ٠ وهى فرصة لايحـــق لان يسمح للدول العظمى بأن تضيعها ٠

والان سأكون مسرورا للرد على الاسئلة :

س : دكتور كيسنجر ، هل بأمكانك أن ندخل بمزيد من التفصيل حول التهديد السوفييتى الذى سبب استنفار القوات العسكرية الامريكية ليلة أمس!

وأيضا اذا كان بأمكانك أن تقول لنا اذا كان السفير دوبرينين قد سلمك مذكرة قاسية كما وصفها السناتور جاكسون حول الوضع فى الشرق الاوسط ٠

ج : أن السناتور جاكسون هو صديق حميم لى ، لكنه لايشـــــترك فى مداولاتنا ٠ انني لن اناقش تفاصيل الاتصالات الفردية ٠

لقد اصبحنا مدركين لاستنفار بعض الوحدات السوفييتية وكنا فى حيرة من تصرف بعض الممثلين السوفييت فى المناقشات التى جرت ٠

اننا لا نعتبر انفسنا فى مجابهة مع الاتحاد السوفييتى ٠ ولانعتقد انه من الضرورى ، فى هذا الوقت ، اجراء مجابهة ٠ وفى الواقع نحن مستعدون للعمل بشكل تعاونى لتحقيق الاهداف التى وضعناها بأنفسنا ٠

غير أن العمل التعاونى يستبعد اجراء من طرف واحد ، وقد قرر الرئيس انه كان من الضرورى أن نوضح موقفنا ازاء الخطوات الفردية ٠

س : حضرة الوزير ، عندما كنت تتحدث فى وقت سابق عن المسئولية الخاصة الملقاء على عاتق الدولتين النوويتين العظميتين لتجنب أى شىء من شأنه أن يدمر الانسانية ، أو يحولها الى رماد ، قلت ان هناك حدودا لانستطيع أن نذهب الى أبعد منها ٠

وقلت أنه من بينها : سوف نقاوم محاولة لاستغلال الانفراج ، بشكل يضعف الاخرين أو يضعف حلفاءنا ــ اننى لم استوعب ذلك جيدا ولكنك ستتذكر ما قلته ٠

أن ما أود أن اعرفه ــ ما اردت أن اسأله . هو ما اذا كنت تعتقد أن اجراء الروس حتى الان ــ وبخاصة الخروج عما اعتقدت انه كان ادفاقا ــ قد بلغ النقطة التى يهدد فيها استقلال الانفراج الى مدى غير ملائم ٠

ج : اننا لسنا مستعدين بعد لاعطاء هذا الحكم ٠ علينا ان ندرك بالطبع ، كما اشرت الى ذلك فى ملاحظاتى . اننا والاتحاد السوفييتى على علاقة فريدة من نوعها ، فنحن فى نفس الوقت خصمان وشريكان فى صيانة السلام ٠ فكخصمين غالبا ما نجد انفسنا منساقين نحو مجابهة مختلفة ، ولكل واحد منا أصدقاء يدعون انفسهم يمارسون أهدافا لايسعى وراءها كليا أى منا ٠

فعندما اتخذنا الخطوات الوقائية التى تعرفونها جميعا ، فعلنا ذلك لاننا فكرنا فى أنه قد يكون هناك احتمال أن القضايا قد تتجاوز الحدود التى وصفتها ٠ ولكننا لسنا مستعدين بعد للقول بأنها تجاوزت هذه الحدود ، ونحن نعتقد أن امكانية التحرك فى الاتجاه الذى حدده مجلس الامن فى وقت سابق هذا الاسبوع ، لا تزال حقيقية جدا ٠ واذا كان على مجلس الامن أن يتخذ اليوم قرارا يسمح بادخال قوات دولية . بأستثناء قوات الدول الاعضاء الدائمة ، فأن الولايات المتحدة ستشعر بأننا عدنا الى الطريق الذى رسم فى وقت سابق على هذا الاسبوع ٠

س : حضرة الوزير ، هل بامكانك أن نقول لنا ماذا كانت الولايات المتحدة قد تلقت انذارا محددا من الاتحاد السوفييتى بأنه سيرسل قوات من طرف واحد الى الشرق الاوسط «هل لديك معلوما بأن الروس يهينون لمثل اجراء كهذا (ان السبب الذى يدفعنى الى اثارة هذا السؤال ــ كما تعلم ــ هو انه كانت هناك بعض التخمينات هذا الصباح . بشأن الاستنفار الامريكى قد عجل به الى هذا الحد ، ربما بسبب متطلبات امريكية داخلية بقدر ماعجلت به المتطلبات الحقيقية للديبلوماسية فى الشرق الاوسط ، وانى لأتساءل اذا جميع أعضاء الأمم المتحدة الى تدعيم قوات ، اذا طلب منها ذلك ٠

كنت تستطيع ان تعطينا بعض المعلومات الاضافية حول ذلك ؟

ج : اننا نحاول تسيير سياسة الولايات المتحدة الخارجية بالنسبة الى مانحن مدينون به ، ليس فقط لجمهوز الناخبين بل للاجيال القادمة ٠ ومن أمارات مايحدث لبلادنا انه لكن حتى التصور بأن الولايات المتحدة تستثمر قواتها لاسباب داخلية ٠

اننا لانعتقد انه من الحكمة بىهذاالوقت الدخول فىتفاصيل المحادثات الدبيلوماسية التى عجلت باتخاذ هذا القرار ٠ وعند انتهاء الجهود الدبلوماسية الحالية بطريقة أو بأخرى ، سنجعل السجل متوافرا ، وسنكون قادرين على الدخول فى تفاصيل أوسع ٠واني واثق بشكل جازم بأنه سيرى ان الرئيس لم يكن له خيار آخر بوصفه زعيما وطنيا مسئولا ٠

س : دكتور كيسنجر هل بامكانك ان تقول ياسيدى ٠ لماذا تشعر الولايات المتحدة بأن على الدول الدائمة العضوية فى مجلس الأمن ، الاترسل قوات على رغم ان هناك فصلا فى مبناق الامم المتحدة يدعو ، على مااعتقد ،

ج : اننا نعتقد أن الفقرة الخاصة من الميثاق التى ذكرتها ، يجب أن ينظر اليها فى ضوء الظروف الخاصة . فعندما يكون وضع حيث قد توجد فيه نعدد من الاعضاء الدائمين . مصالح متضاربة . وعندما قد يكون وجود قوات للاعضاء الدائمين ، مساهما هو نفسه . في التوتر فى المنطقة ، يبدو لنا أن السبيل الوحيد الممكن هو استبعاد الاعضاء ــ قوات جميع الاعضاء الدائمين

انها ستكون فاجعة اذا أصبح الشرق الاوسط . الذى تمزقه الآن منافسات محلية . نتيجة قرار تتخذه الامم المتحدة ، مسرحا شرعيا لتنافس القوات العسكرية للدول النووية العظمى ٠

ولذلك بدا لنا ، أن الاهداف السياسية ستخدم بطريقة أفضل ٠ اذا كانت أية قوة دولية تم ارسالها تتألف من دول لايتوافر احتمال لان تنجرف هى نفسها فى منافسة نتيجة لتواجدها ٠

س : دكتور كيسنجر . قد يبدو واضحا . لكنى أود ان أسألك ــ هل ان الغاية من الاستنفار القائم حاليا ، هى القول للاتحاد السوفييتى بأنه اذا أرسل قوات الى الشرق الاوسط . فأننا سنعمل الشيء نفسه ٠

ج : لاأود ان أتكهن حول ماقد يقرر الرئيس ان يفعله فى ظروف نأمل بشدة ان لاتبرز ٠ وقد يبدو لنا أن تعريض كل ماتم تحقيقه فىالسعى منأجل

السلام ، للخطر عن طريق عمل من طرف واحد ، سيكون خطيرة من اللامسئولية لانعتقد انها محتملة . ولذلك لاأود ان اتكهن بما ستفعله الولايات المتحدة اذا اتضح انه عوضا عن بدء حقبة من التعاون ، قد دفع بنا الى الوراء ، الى مجابهات يجب التغلب عليها عاجلا أم آجلا ، لان الانسانية لاتستطيع أن تتحمل النزاع الأبدى لهؤلاء الذين يملكون القدرة على تدميرها .

س : حضرة الوزير ، أذاع راديو القاهرة ان مثل هذا العرض لارسال قوات سوفييتية لتنفيذ وعد اطلاق النار قد ورد من موسكو . هل قدم مثل هذا العرض ، واذا كان الامر كذلك ، هل استنفرت القوات السوفييتية فعلا وهل هى آخذة فى التحرك ؟

ج : اننا بالطبع لانذكر المبادلات الديبلوماسية التى ربما تجرى بين حكومة مصر وحكومة الاتحاد السوفييتى . اننا أيضا لانعلم أية قوة سوفييتية ربما تكون قد أدخلت الى مصر . ونحن نعتقد ، وما زلنا نوجه كل جهد فى ذلك الاتجاه ، ان أى اجراء يتخذ من قبل أية دولة فى الشرق الاوسط ، سيكون فى اطار قرارات مجلس الأمن والامم المتحدة .

وأود ان اكرر مرة اخرى : اننا لانعتبر أنفسنا الآن فى مجابهة مع الاتحاد السوفييتى . اننا مازلنا مستعدين ، ونعتقد انه من الممكن تماما المحافظة على الاتجاه الذى أوصلنا الى هذه النقطة ، والذى يتوقف عليه سلام العالم .

س : حضرة الوزير ، هل تعتقد ان الاتحاد السوفييتى قد هدد باتخاذ اجراء من جانب واحد ، ودفع بهذا الموقف الى حافة المواجهة ؟ هل ترى من الممكن أن يكونوا قد رأوا أحداث نهاية الاسبوع الماضى على انها أضعفت الرئيس الى حد كبير ، حيث كان مهددا بأن يوجه اليه الاتهام ، فرأوا هناك فرصة سانحة وقرروا التحرك ؟

ج : ان التكهن بصدد البواعث ينطوى دائما على خطر . غير أن المرء لايمكن أن يتعرض لأزمة سلطة فى مجتمع لمدة تمتد الى أشهر من دون أن يدفع ثمنا فى مكان ما على امتداد الخط .

س : دكتور كيسنجر ، من وجهة نظر الجمهور ، كان الاعتقاد السائد لديه حتى هذا الصباح ، ان هذه الازمة تمكنت للسيطرة عليها ، وان وقف اطلاق النار أخذ يترسخ . وقد رفضت ان تبحث المحتوى الديبلوماسى للاتصالات المحددة ، فهل كانت هناك قبل هذا التطور المفاجىء الاخير أية اشارة الى أن هذا الموقف قد يسير فى مثل هذا الاتجاه ؟

ج : كلا ، لم يكن هناك ، فحتى بعد ظهر أمس ، كان لدينا كـل سبب للاعتقاد أن الاتجاه الاساسي الذى ترسخ ، والذى وافق عليه جميـع الاطراف سيجرى في الواقع تنفيذه . وأكرر اننا مازلنا نعتقد اننا فى الامكان الاستمرار في هذا الاتجاه . ان أحدا لايستطيع ان يكسب من ادخال تنافس بين الدول الكبرى أو من مضاعفة التنافس بين الدول الكبرى . ان الهدف الذى يسـمو

على كل ماعداه في الشرق الاوسط ، يجب أن يكون تحقيق سلام عادل ودائم بين الدول العربية واسرائيل . وأن الولايات المتحدة مستعدة لتعـزيز تلك الهدف بل وملحة ، وتلك هى القضية التى يجب أن نهيىء أنفسنا لها .

س : دكتور كيسنجر : لمتابعة ذلك ، قال السناتور جاكسون وغيره ، ان هذه الحكومة كانت تتصرف وفق ما دعاه بوهم الانفراج منذ البداية ، فهل فى استطاعتك أن تكون اكثر دقة الآن فى هذه الظروف بشأن وضع الانفراج مع الاتحاد السوفييتي ؟

ج : مستر ليزاغور ، لقد اعترفنا منذ بداية هذه الادارة بأننا نتعامل مع خصم عقائدي وسياسي . كذلك اعتقـدنا ان الدينا التزاما تاريخيا في هـذه الظروف بالذات ، لان نقاوم ، وأن نحاول ازالة أخطار الحرب ، وقد أوضحنا دائما ومارسنا دائما اننا سنقاوم أية مغامرات في السياسة الخارجية عبر الأزمات العديدة فى المراحل الاولى من هذه الادارة .

وأن النواحي التى اختلفنا فيها مع بعض منتقدينا ، كانت فى قناعتنا انه من الخطر المحاولة التدخل فى الشئون الداخلية لدولة لهـا ذلك التـكوين المختلف عن تكويننا ، وذلك التفكير العقائدى المختلف عن تفكيرنا .
لقد حافظنا على سلامة حلفائنا وعلى أمن الولايات المتحدة ، بينما خففنا من خطر الحرب .

وكما قلت فى ملاحظاتي ، فهذا عمل تاريخى يجب أن يحله شخص ما ، وانه فى مصلحة جميع الامريكيين وجميع الانسانية أن يحـل فى أسرع وقت ممـكن .

وبالنسبة الى وضع الانفراج : أظن اننا نستطيع ان نعطى حكما افضل، عندما نعلم ماذا كان السلام قد ترسخ، عندما نعلم ما اذا كان السلام قد ترسخ، فاذا استطعنا نحن والاتحاد السوفييتي أن نعمل بصورة تعاونية أولا نحـو اقرار وقف اطلاق النار ، ثم نحو ترقية تسوية دائمة فى الشرق الأوسط ، فعندئذ يكون الانفراج قد أثبت نفسه . واذا لم يتم هذا ، فعندئذ نكون قـد

بذلنا جهدا ـ لاندفع في المقابل ثمنا ، وهو جهد يجب ان يبذل ، ثم ان المرء يجب أن ينتظر لحظة أخرى ، عندما تبذل محاولة تأمين السلام او جلبه للانسانية ؟

س : دكتور كيسنجر ، ان أنباء هذه الخطة السوفييتية بشأن قوة سوفييتية أمريكية مشتركة ، كانت منتشرة على نطاق واسع قبل توجهك الى موسكو ، وخاصة في أوروبا الشرقية ، فهل بحث المستر بريجيف هذه الفكرة معك في أية صورة ؟ واذا لم يفعل فلماذا تظن أنه التزم الصمت بشأنها عندئذ، ثم ليبعثها مرة اخرى بعد ايام قلائل

ج : لاأعلم أية خطط كانت منتشرة على نطاق واسع في أوروبا الشرقية . أستطيع فقط التصرف ازاء الخطط التى تبلغنا بصورة رسمية . ان الخطة المتعلقة بانشاء قوة عسكرية أمريكية ـ سوفييتية مشتركة في الشرق الأوسط، ثم تطرح علينا مطلقا سواء بصورة علنية أو خاصة حتى يوم أمس . وقد أوضحنا على الفور ، اننا لن نشترك في قوة كهذه ، واننا أيضا نعارض أية تحركات من جانب واحد .

س : دكتور كيسنجر ، لقد ذكرت أن الرعاية الامريكية السوفييتية ، قد تكون مفيدة في التحرك بهذا الامر ديبلوماسيا . هل انت مستعد شخصيا لان تلعب دورا في جعل هذه المحادثات تبدأ ؟ وثانيا . هل وافق جميع الفرقاء على ضرورة اجراء محادثات عربية ـ اسرائيلية مباشرة ؟

ج : اننا لم نكن على اتصال وثيق بصورة متماثلة مع جميع الفرقاء ، ولدينا سبب للاعتقاد أن عددا كافيا من الفرقاء قد قبل هذه المحادثات . والحقيقة هى أنه حتى بعد ظهر أمس ، جرت مباحثات تمهيدية بين السفير دوبرينين وبينى ، حول المكان والمشاركة والاجراءات المتعلقة بهذه المحادثات .

س : دكتور جيسنجر ، لقد أشرت في ظرف سابق الى مصالح سوفييتية مشروعة في الشرق الاوسط ، وأشرت الى اننا نشعر بأن تلك المصالح ليست مهددة هناك ، فهل أعطى السوفييت دليلا على انهم يوافقون على تقييمك »

ج : على أساس المحادثات التى أجريتها مع السكرتير العام بريجنيف فى وقت متأخر ، يعود الى يوم الاحد الماضي . والاتصالات التى تبودلت بعد ذلك ، بين الرئيس والسكرتير العام بريجنيف ، كان هناك كل سبب لتوقع الآتى : انه فى حين تكون بالطبع ، مصالحنا ليست متطابقة ، وتكون هناك اختلافات في المعالجة ، فهناك قدر من الموازاة يمكن تطويره في اتجاه ايجاد سلام دائم . وعليه أود ان أقول ان لدينا سببا للاعتقاد أن الرعاية المشتركة التى يتحدث عنها قرار مجلس الأمن لايمكن بعد تنفيذها .

س : دكتور كيسنجر ،خلال قرارى وقف اطلاق النار فى الامم المتحدة، قامت القوات الاسرائيلية عندئذ باحرازنا مكاسب عسكرية جوهرية على الارض • هل الولايات المتحدة مستعدة لان تحث اسرائيل على الالتزام بالقرار الذى يدعو جميع الفرقاء الى الانسحاب الى الخطوط التى كانت تقف عندها ، عندما وضع وقف اطلاق النار الاول موضع التنفيذ ؟

ج : لقد أيدت الولايات المتحدة القرارين ، وهى اليوم تؤيد قرارا آخر يتضمن بنودا مماثلة فضلا عن نص يقضى بتشكيل قوة دولية من جميع الدول الاعضاء فى الامم المتحدة ، يحق لجميع الاعضاء فى الامم المتحدة الانتساب اليها، باستثناء الدول الدائمة العضوية فى مجلس الأمن •

س : دكتور كيسنجر : انى ألاحظ انك قلت ان الرئيس اتخذ قرار الاستنفار العسكرى ، وانك قلت ان الرئيس لم يكن لديه خيار آخر • هل أوصيت بهذا أو أن الرئيس اتخذ مباشرة موضوع الاستنفار العسكرى ، وهل تشعر انه قرار حكيم كليا ؟

ج : مستر مولنهوف ، لدى قاعدة عامة ألا أقدم قائمة بالنصائح التى أعرضها على الرئيس ، ولكن نظرا الى المضامين الخاصة التى لملاحظتك ، يمكننى القول ان جميع كبار مستشارى الرئيس ـ جميع أعضاء الأمن القومى ـ كانوا مجمعين فى توصياتهم ، نتيجة مداولات لم يشترك فيها الرئيس نفسه ـ والتى انضم اليها فقط بعدما كانوا قد كونوا قرارهم ـ وان الاجراءات المتخذة ،التى أمر بها بالفعل ، كانت للمصلحة الوطنية الجوهرية •

س : دكتور كيسنجر ، هل فى الامكان أن تذكر ماالذى تغير فى رأيك من تلك الفترة من يوم أمس ، عندما كدت تتحدث أنت والسفير دوبرنين عن موضوع الاشتراك فى المحادثات ومكانها ، وغير ذلك ، وتلك الفترة من مساء أمس التى حملت السوفييت عن اتخاذ الاجراء الذى اتخذوه ؟ ما الذى تغير فى تقديرك ؟

ج : أود ان أوضح ، انه حتى الآن لم يتخذ الاتحاد السوفييتى بعد أى اجراء لايمكن الرجوع منه ، والذى نأمله هو ألا يتخذ مثل هذا الاجراء •

وأكرر مرة أخرى ما قلته فى مناسبات عديدة فى هذا المؤتمر الصحفى • اننا لانسعى الى فرصة لمجابهة الاتحاد السوفييتى • اننا لانطلب من الاتحاد السوفييتى التراجع عن أى شىء فعله • ان الفرصة لممارسة السبيل المشترك فى مجلس الامن وفى الديبلوماسية بعد ذلك مفتوحة • والاجراءات التى اتخذناها والتى أمر بها الرئيس كانت احترازية فى طبيعتها • انها لم تكن موجهة ضد أية أعمال تم اتخاذها ، وعليه فليس ثمة سبب لان تتراجع أية دولة عن أى شىء لم تفعله بعد •

وفيما يختص بالبواعث أظن أن علينا ان نقيم ذلك ، بعدما ينتهي الوضع الــراهن .

س : حضرة الوزير ، هل بين الأسباب التى حملت الرئيس على اتخاذ قراره ، مايتضمن تسهديدا موجها ضد أية دولة فى عكس تهــديد فى الشرق الأوســط ؟

ج : الحقيقة انى لاأظن انه من المناسب لى أن أخــوض فى تفاصيل المبادلات الديبلوماسية . اننا لانتحدث عن تهديدات نبودلت . اننا لانتحدث عن موقف من نوع أزمة صواريخ . نحن نتحدث عن موقف قدمنا فيه قبــل انتين وسبعين ساعة قرارات مشتركة ، حيث لاتزال ضرورة القيام بخطــوة مشتركة نحو السلام ، هى حقيقة الآن ، مثلما كانت عندئذ ، وحيث يوجد لدى الاطراف المشتركة في نزاع الشرق الاوسط كل شيء يكسبونه من فترة هدوء، ومن على الأقل مراقبة أو محاولة ؤرية مايمــكن ان يولده مجهــــود أمــريكى ديبلوماسى . وعليه فاننا نتحدث من موقف احترازى وليس من موقف فعلى .

س : حضرة الوزير ، يبدو لى انك تسأل الشــــعب الامــــريكى ــ أنت والرئيس ــ الذى صدم فعلا من أحداث الاسبوع الماضى ، أن يقبل استنفارا عسكريا مثيرا جدا يتناول قوات نووية ، على أساس نوع قبضة دخان ، دون أن تبلغاه او تبلغنا تماما لماذا . واذا كنت قد فهمتك من قبــــل ، لقد قلت انك اكتشفت استنفار بعض القوات السوفييتية ، وانك تضايقت من مسلك بعض الاشخاص ، على مايبدو ، والذين يتعامل معهم المسئولون الامريكيون ، وذلك هو حقا كل مانبرز به هذا الاستنفار . والآن ان هذه البلاد مخضوضة بشكل سيىء الآن . وانى لأتساءل اذا كان فى استطاعتك ان تعطينا أية معلــومات أخرى تساعد على أقناع الشعب بأن هناك أساسا راســـــخا للاجراءات التى اتخــذت .

ج : اننا نحاول المحافظة على السلام فى ظروف صــعبة جدا . وعـــلى السيدات والسادة أن يحددوا ما اذا كان هذا هو الظرف لمحاولة خلق أزمة ثقة فى حقل السياسة الخارجية ايضا . لقد حاولنا ان نعطيكم أقصى مانستطيع اعطاءه من المعلومات بصورة لطبقة ومأمونة ولائقة فى هذه الظروف . وحالما تصبح هناك نتيجة واضحة ،سنعطيكم كامل المعلومات، وبعد ذلك ستستطيعون اعطاء الحكم فيما اذا كانت القرارات قد اتخذت بصورة متسرعة او غير مناسبة . ان الاستنفار الذى أمر به هو ذو طبيعة احترازية ، وهــو ليس مما لايمــكن

الرجوع عنه بأية صورة · انه القرار الذى بد! ان الموقف يتطلبه · على اننا سنكون مستعدين ، وأنا متأكد خلال أسبوع لان نضع التحقيق أمامكم ·
ولكن يجب أن يكون هناك حد أدنى من الثقة بأن كبار موظفى الحكومة الامريكية لايلعبون بأرواح الشعب الامريكى ·
س : دكتور كيسنجر ، ان المشكلة الرئيسية فى الشرق الأوسط فى الوقت الحاضر ، تبدو انها تقلق المصريين على سلامة جيشهم التالث على الضفة الشرقية للقناة · هل هناك أية خطوات يجرى اتخاذها لامكان تحسين وضعه ؟وثانيا هل يمكنك أن تعطينا بعض التفاصيل الاخرى عن نتائج مباحثاتكم بالنسبة الى المحادثات المقبلة ؟ قبل اثنتى عشرة ساعة كان كل واحـد ينتظـر بدء المحادثات · هل يمكنك ان تقول لنا بأى اتجاه نستطيع ان نتوقع ان تسـير فيه تلك المحادثات ؟

ج : اننا نعتقد أن المشاكل المعينة التى ينيرها وقف اطلاق النار ،حيث الجيش الآخر ـ ان هذه الاوضاع تولد قبل كل شىء ،وخاصة فى المراحل الاولى، تنتشر القوات بتلك الصورة الغريبة ـ كل جيش له وحـدات وراء خطـوط صعوبات كثيرة اننا مقتنعون كليا بأنه مع وجود مراقبين بنية حسنة على الجانبين، وبالمشاركة الفعالة من قبل الولايات المتحدة والاتحاد السـوفييتى ، فأن الصعوبات يمكن تخفيفها بصورة جوهرية وازالتها آخر الامر ·
والذى أعلمه مثلا ان بعض المؤن الانسانية قد وصلت الى الجيش الثالث اليـوم ·

وسنكون بالطبع مستعدين لان نقدم مساعينا الحميدة لمجهود لم يكسب فيه أى واحد من الفريقين ميزة حاسمة نتيجة لتوزيع قواته ·
وعليه فأنا مقتنع بأن الاوضاع الخاصة لوقف اطلاق النار ، على صعوبتها ـ تمكن معالجتها وتحسينها ـ الحنكة السياسية من الجانبين ·
س : حضرة الوزير ، لقد أبلغت بالتأكيد دوبرينين وغيره ماأبلغنا اياه، وربما اكثر ، هل يمكنك اعطاؤنا أى دليل على التأثير الذى كان لذلك على هذا الشـعب ؟

ج : اننا فى هذه اللحظة فى مجلس الامن نناقش القرار الذى نؤيده · فاذا قبل ذلك القرار ونفذ ، فاننا نعتقد انه سيؤدى الى تخفيف عاجل للموقف، والى اعادة الاوضاع كما رأيناها ظهر أمس ·
وهل يمكننى أن أقول ايضا ان هذا المؤتمر الصحفى كان مقررا فى وقت قبل ان يعرف هذا الحدث الاخر او يشتبه به · وقد مضيت قدما به كى أتمكن

من ان أضع فى الاطار الصحيح التطور الذى جلبناه الى هنا ، وأقصىماستطيع من المنطلق بوجود دقة الموقف ٠

س : انك لم تجب عن الجزء الثانى من سؤالى ، دكتور كيسنجر ٠

ج : ماذا كان الجزء الثانى ؟

س : عن المفاوضات ٠ ماذا سيكون من أمرها ؟

ج : اننا نعتقد ان المفاوضات يمكن ويجب أن تبدأ فى غضون أسابيع قليلة جدا ٠

س : كيف ؟

ج : كيف ؟

س : نعم ، لقد قلت اننا نبحث موضوع الاشتراك والمنبر ، وأتساءل اذا كان فى استطاعتك أن تعطينا مزيدا من التفاصيل ٠

ج : أظن علينا ان ننتظر الى أن يصبح الفرقاء مستعدين لاعلان هذا ٠

س : حضرة الوزير ، هل لديك أى دليل على الكيفية التى سيصوتفيها الاتحاد السوفييتى على مشرورع القرار اليوم ؟

ج : أظن أن المناقشة لاتزالدائرة ، وعندما نعلم نتيجة ذلكالتصويت ٠

س : هل هناك أى دليل على الكيفية التى يمكن أن يصوتوا بها ؟

ج : اننا نأمل بأن يصوت الاتحاد السوفييتىالى جانب مشروع القرار ٠

س : اذا أقر مشروع القرار ، دكتور كيسنجر ، هل تتوقع الغاء حالة الإستنفار ؟

ج : ان الاستنفار لن يستمر دقيقة واحدة اكثر مما نعتقد انه ضرورى ٠

س : دكتور كيسنجر ٠٠

ج : وسيلغى حالما يزول أى خطر من قيام عمل من جانب واحد ٠

س : دكتور كيسنجر ، فيما يختص بالدور الذى تلعبه الولايات المتحدة فى الحصول على اوضاع تؤدى الى سلام دائم ، لقد ذكر قبل بضعة أشهر انك قلت بأنك تؤيد سياسة أمريكية تدعم اسرائيل ، ولكنك لاتؤيد فتوحات اسرائيلية ٠ ماهو رأيك فى ذلك الآن ؟

ج : أظن انه نقل عني بخصوص ذلك،قبل اربع سنوات ونصفالسنة، قبل ان أدرك القضية الخاصة التى تتصل بمبادىء العمل المختلفة ٠

ان موقفنا هو ـ كما ذكرت علنا ـ انالاوضاع التىأوجدت هذه الحرب، كانت بوضوح لاتغتفر بالنسبة الى الدول العربية ، وانه فى عملية مفاوضات سيكون من الضرورى تقديم تنازلات جوهرية

وستكون المشكلة ربط المخاوف العربية بشأن السيادة على الممتلكات ، مع المخاوف الاسرائيلية بشأن الحدود الآمنة ·

اننا نعتقد ان عملية المفاوضات بين الفرقاء هى مركب أساسى من هذا · وكما ذكر الرئيس لوزراء الخارجية العرب الاربعة ، وكما ذكرنا تكرارا ، اننا سنبذل جهدا كبيرا لايجاد حل يعتبر عادلا من قبل جميع الفرقاء · لكنى أظن انه لن تخدم أية غاية بمحاولتى تحديد الطبيعة الحقيقية لجميع هذه البنود ·

س : حضرة الوزير ، شكرا جزيلا لك ·



الكتاب الذهبى

٢١٥

يصدر عن

مؤسسة روز اليوسف

٨٩ (أ) ش القصر العينى

القاهرة ــ ت : ٢٠٨٨٨

رئيس مجلس الادارة

عبد الرحمن الشرقاوى

العضو المنتدب

لويس جريس

رقم الايداع ٧٦/١٩٩٨

الترقيم الدولى ٧ ـ ٠٠٥ ـ ٣٢١ ـ ٩٧٧



تضم المكتبة الامريكية والاوربيةعشرات الكتب الهامة والجيدة التى تدرس شخصية « كيسنجر » وأفكاره . ولكن يبقى لكتاب الصحفيةالفرنسية « دانيل أونيل » ، وهو من أوائل هذه الكتب ، اهمية خاصة . فقد صدر بعد أشهر قليلة من دخول « كيسنجر » الى البيت الابيض . كما يتميز بقدر كبير من الخصوصيةوالألفة .

لهذا تقدم « مكتبة روز اليوسف » الكتاب الى قرائها .

الثمن ٥٠ قرشا

طبعت بمؤسسة روزاليوسف